دولـة ليبيـا

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

الجامعة الأسمرية الإسلامية

إدارة الدراسات العليا

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم الدعوة – شعبة الدعوة والثقافة الإسلامية

(السنن الإلهية في سقوط الحضارات . الدولة العثمانية نموذجا)

إعداد الطالب : صالح على امشيري

إشراف الأستاذ الدكتور : عبد الرازق درغام أبوشعيشع

رسالة مقدمة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الإجازة العالية " الماجستير " في الدعوة والثقافة الإسلامية

العام الجامعي : (1436 – 1437 هـ / 2015 – 2016 م)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ .

سورة الروم، الآية: 9

الشكـــر والتقديـــر

أحمد الله سبحانه وتعالى وأشكره على نعمه وفضله فله الحمد والشكر والثناء الحسن

أشكر أستاذي وشيخي الدكتور عبد الرازق درغام أبو شعيشع

على جهده الذي بذله معي في سبيل إنجاز هذه الرسالة وعلى رحابة صدره وحسن تعامله معي

الشكر موصول لكل من مد لي العون ولو بكلمة طيبة

الإهـــــداء

إلى والدي العزيزين

إلى كل من يدافع عن الإسلام ويحترق من أجله

إلى مشائخي الأجلاء

أهدي هذا العمل المتواضع وأدعو الله أن ينفع به ويكتب له القبول

✍ الباحث

المقدمة:

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فهو المهتدي ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أما بعد :

فإن كتاب الله – ﷻ – خير ما تدارسته العقول وتدبرت معانيه الأفهام ؛ فهو كنز ملئ بالدُّرر لا تنقضي عجائبه ولا تنتهي علومه ، قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ [1] ، وعن عثمان بن عفان – ﷺ– عن النبي – ﷺ – قال : (خيركم من تعلم القرآن وعلمه) [2] ومن هذه العلوم علم (السنن الإلهية) التي جعلها الله قوانين ثابته وظواهر بائنة للعيان ، ذكرها الله في كتابه في العديد من القصص والأمثال ، وأمر بتتبعها والبحث عنها ، وأخذ الموعظة والعبرة منها ، قال تعالى : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [3] ، كما بَيَّنت بعضها سنة النبي– ﷺ – من خلال تصرفاته – ﷺ – وأخذه بأسباب هذه السنن : كالتدرج في عرض الدعوة ، والاستعانة بالأسباب المعينة على النصر في المعارك ، وغير ذلك من الأمور، ويجد المتتبع لهذه السنن أنها تشكل عِلماً مُستقلاً كغيره من العلوم الشرعية ، ولكنَّ هذا العلم لم يحظَ بالدِّراسة الكافية ولم ينل نصيبه من البحث كباقي العلوم الشرعية ، وإن كان قد تطرق بعض العلماء لبعض السُّنن وذكروا شيئاً منها على سبيل الإيجاز .

ومن هذا المنطلق رأيت أن أكتب عن موضوع السنن الإلهية ، ودورها في إسقاط الحضارات ، ولكثرة هذه السنن ، وضيق الوقت قمت باختيار بعضٍ منها ، وأنزلتها على دولة قريبة العهد منَّا ، كانت في يوم من الأيام سيدة العالم بلا منازع ، ثم لمَّا خالفت أوامر الله – تعالى – وقعت في هذه السنن فأسقطتها وأزالت حكمها بعد أن استمر مئات السنين وهي : " الدولة العثمانية " فجاء عنوان هذه الرسالة : (السنن الإلهية في سقوط الحضارات ، الدولة العثمانية نموذجاً)

---

[1] سورة النساء ، الآية : 82

[2] أخرجه البخاري في الصحيح . كتاب فضائل القرآن . باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه . حديث رقم (5027)

[3] سورة آل عمران ، الآية : 137

أهمية الموضوع :

1 . عدم وجود دراسة تناولت السنن الإلهية في سقوط الدولة العثمانية فيما أعلم .

2 . لمَّا فرط بعض المسلمين في دينهم وابتعدوا عنه ، واتبعوا أهوائهم ، وساروا في ركاب الأمم الأخرى ، تردَّى حالهم ، وضعفت شوكتهم ، وصاروا غثاءً كغثاء السيل ، وحلَّت بهم سنن الله – تعالى – التي لا تحابي أحداً أو تجامله ، فكان لزاماً على علماء الأمة ، وطلبة العلم فيها ، أن يعوا هذا الخطر ، ويهبوا لنجدة أمتهم وتشخيص دائها ، ومن هذا المنطلق كانت دراسة علم السنن الإلهية ودورها في سقوط الأمم وقيامها من العلوم الواجب تعلمها ، والبحث فيها .

3 . تسليط الضوء على دولة من الدول الإسلامية التي رفعت لواء الإسلام فترة من الزمن ودافعت عن حماه ضد كل معتد وظالم.

4 . أخذ العبرة مما حصل لهذه الدولة ووصل له حالها لمَّا تركت شرع الله ومنهجه القويم ، والابتعاد عن الأخطاء التي وقعت فيها لتجنب تكرارها في بلاد المسلمين .

أسباب اختيار الموضوع :

تعددت أسباب هذا اختيار الموضوع ، ومن أهم هذه الأسباب :

1 . الإسهام في خدمة كتاب الله وتدبر علومه .

2 . الجانب المعرفي ، وحب الدراسة والتعلم .

3 . الحرص على معرفة كل ما يقيم الأمة ، ويبث فيها روح الحيوية من جديد .

4 . استكمال متطلبات الحصول على رسالة الماجستير .

المنهج المتبع :

اقتضت طبيعة البحث أن ينهج الباحث العديد من المناهج ، ولكن أهمها هو المنهج الاستقرائي والتحليلي والاستدلالي ، حيث قمت باستقراء النصوص ، ثم تحليلها مستدلاً على كل سنة بدليل من واقع تاريخ الدولة العثمانية ومن القرآن الكريم والسنة المطهرة .

الإشكاليات :

تعددت إشكاليات هذه الدراسة ويمكن إجمالها في عدد من التساؤلات هي : هل يمكن للأمة إذا نزلت بها سنن الهلاك والعقاب أن تتجه لسنن الصعود والرقي فتنهض مرة أخرى أم أن الأمة التي هلكت لا تقوم مرة أخرى ؟ وهل إذا أخذ بعض الأفراد بسنن الرقي ، والبعض الآخر بسنن الهلاك ، لمن تكون الغلبة ؟ وهل يمكن الجمع بين السنن الشرعية والكونية في رقي الأمم أو في تفادي سقوطها ؟

الخطوات المتبعة في البحث :

1 . عزو الآيات الكريمة إلى سورها مع ذكر اسم السورة ورقم الآية .

2 . تخريج الأحاديث النبوية ، وذكر الكتاب ، والباب ، ورقم الحديث في مصدره

3 . الرجوع إلى المصادر الموثوقة في أغلب المنقولات التاريخية ، لأن الدولة العثمانية ظلمت من قبل الكثير من الكتاب وشوهت حتى سماها بعض المثقفين احتلالاً لبلادهم .

4 . عند ذكر المصادر والمراجع : أذكر اسم الكتاب ، ومؤلفه ، ودار النشر التي طبعته، ورقم الطبعة إن وجد ، وسنة النشر ، وإن لم يذكر شيء من هذا أنبه عنه ، ثم أذكر رقم المجلد والصفحة . ثم إذا تكرر بعد ذلك أذكر اسم المرجع والمؤلف ورقم الصفحة فقط .

الصعوبات :

لقد واجهت الباحث في هذه الدراسة مجموعة من الصعوبات أهمها :

1 . قلة المصادر والمراجع التي تناولت موضوع السنن عموماً وتاريخ الدولة العثمانية بإنصاف خصوصاً .

2 . ندرة المتخصصين في هذا المجال في بلادنا ، وصعوبة التواصل معهم للاستعانة بهم

3 . الظروف التي تمر بها البلاد منعت الباحث من السفر والبحث داخل البلاد وخارجها .

4 . ضيق الوقت المحدد لإنجاز هذا العمل .

الدراسات السابقة :

بالبحث عن مثل هذا الموضوع أو شبيه له من حيث الارتباط بالدولة العثمانية لم يعثر الباحث على شيء يخص هذا العنوان ، ولكن وجدت بعض الدراسات التي تتحدث عن السنن بصفة عامة ككتاب " السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد " للدكتور : عبد الكريم زيدان ، ولكنه تحدث عن موضوع السنن بشكل عام ولم يقم بربطها بواقع الدول الإسلامية قديماً أو حديثاً ، فكان الكتاب عبارة عن إنزال لآيات القرآن الكريم على بعض السنن مع عدم ذكر نماذج محسوسة وأمثلة حديثة لهذه السنن ، فكان الكتاب مفتاح للدخول لهذه السنة وإسقاطها على الواقع المعاصر ، وكتاب " سنن القرآن الكريم في قيام الحضارات وسقوطها " لمحمد هيشور الذي كان الحديث فيه عن سنن النهوض مع إغفال العديد من سنن السقوط ، وكتاب " في سنن الله الكونية " لمحمد أحمد الغمراوي الذي أغفل السنن الإلهية في الكون وتحدث عن خواص المادة وأحوالها وطرق انتقال الحرارة والضوء وغير ذلك مما يبعد الكتاب عن الجانب الدعوي ويذهب به إلى الجانب العلمي التطبيقي ، وكتاب " سنن الله في الأمم من خلال آيات القرآن الكريم " لحسن بن صالح الحميد ، الذي تطرق مؤلفه لخصائص السنن ومجالاتها أكثر من ذكره للسنن ، ولم يتكلم الباحث عن ذكر الأمم إلاَّ في مبحث أو اثنين بشكل بسيط ومختصر ، وكتاب " سنة التمكين في ضوء القرآن الكريم " لرمضان خميس الغريب، وهو كتاب تطرق فيه مؤلفه لسنة واحدة من سنن التمكين ولم يتحدث عن سنن السقوط ، وهناك مجموعة من البحوث والدراسات التي نشرت في بعض المجلاَّت الجامعية ، والمواقع الإلكترونية لا يتسع المجال لذكرها ولكنها كانت جهود بسيطةً درست جانباً وأغفلت جوانب أخرى .

خطة البحث :

اشتمل هذا البحث على مقدمة وتمهيد وخمسة فصول وخاتمة

أمَّا المقدمة تشتمل على :

أهمية الموضوع وأسباب اختياره والمنهج المتبع وإشكاليات البحث والصعوبات التي واجهت الباحث والدراسات السابقة وخطة البحث .

وأمَّا التمهيد فيتناول التعريفات بمفردات عنوان البحث مثل السنن والسقوط والحضارة والدراسات السابقة ، وجعلته مدخل للتعريف بأهم مفردات البحث .

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يقسم إلى فصول ، والفصول إلى مباحث كذلك اقتضت طبيعة البحث أن يكون بعض المباحث أكبر من الآخر لمقتضيات السياق فكان كالتالي :

الفصل الأول : الدولة العثمانية الأصل والامتداد

المبحث الأول : أصول العثمانيين ودخولهم في الإسلام وأسماء الدولة العثمانية

المبحث الثاني : مراحل الدولة العثمانية وأهم خصائصها

المبحث الثالث : دور الدولة العثمانية في نشر الإسلام

الفصل الثاني : سنة الله في الظلم والظالمين

المبحث الأول : تعريف الظلم وأنواعه

المبحث الثاني : نماذج من الظلم في الدولة العثمانية

الفصل الثالث : سنتا التغيير وموالاة غير المسلمين

المبحث الأول : سنة التغيير

المبحث الثاني : سنة موالاة غير المسلمين

الفصل الرابع : سنتا التدافع الحضاري والاختلاف

المبحث الأول : سنة التدافع الحضاري

المبحث الثاني : سنة الاختلاف

الفصل الخامس : النتائج المترتبة على سقوط الحضارة العثمانية

المبحث الأول : إلغاء الخلافة الإسلامية واحتلال باقي الأراضي العربية

المبحث الثاني : انتشار التخلف العلمي وكثرة الفرق المنحرفة

الخاتمة وبها بعض النتائج والتوصيات

الفهارس

قائمة المصادر والمراجع

وختاماً فإني : أتوجه بالشكر إلى الواحد الأحد الذي وفقني إلى إتمام هذه الرسالة وأنعم علي بالصحة والعافية ، كما أتوجه بالشكر والتقدير إلى أستاذي الدكتور : "عبدالرازق درغام أبو شعيشع عيسى " الذي تعلمت منه الأدب قبل العلم ، والذي قبل الإشراف على رسالتي ، وما بذله من جهد في إرشادي وتوجيهي إلى كل خير ، كما أشكر كل من مد لي يد العون ولو بكلمة طيبة ، كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر لعضوي اللجنة المناقشة اللّذين تفضلا بالموافقة على مناقشة هذه الرسالة ، فجزى الله الجميع عنِّي خير الجزاء . هذا ما استطعت التوصل إليه فإن كان صواباً فمن الله وحده ، وإن كان خطأ فمن نفسي والشيطان والله ورسوله منه براء ، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه .

الباحث ....

التمهيد :

تعريف السنن لغة واصطلاحاً

السبيل لمعرفة السنن الإلهية

أقسام السنن الإلهية

خصائص السنن الإلهية

أهمية دراسة السنن الإلهية

تعريف السقوط والحضارة

التمهيد :

تعريف السنن لغة واصطلاحا :

قبل الولوج في صلب البحث تجدر الإشارة إلى إلقاء الضوء على تعريف السنن ، وأقسامها وخصائصها ؛ ليتضح للقارئ معالم هذا البحث ، بتقديم وعرض هذه السنن يستنتج القارئ كيفية تقدم الأمم وارتقائها ، وأسباب سقوطها وزوالها ؛ ليتعرف على كيفية التعامل معها ، فإن أحسنت الأمة استخدامها ارتقت ، وغلبت ، وإن تركتها فشلت وصارت في ذيل الأمم ، ولهذا تحتاج الأمة الإسلامية إلى مراجعة تاريخها مراجعة دقيقة لِتتجنب الوقوع في سنن الهلاك ، وتأخذ مكانتها في سنن الصعود والارتقاء .

أولا تعريف السنن لغة :

جاء في تفسير قوله تعالى : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [1]

وأَمَّا السُّنَّة فهي الطريقة المستقيمة والمثال المتبع ، [2]

والمراد بالسُّنَن هنا: وقائع في الأمم المكذبة ، أجراها الله – ﷻ – على حسب عادته ، وهي الإهلاك ، والدمار بسبب كفرهم ، وظلمهم ، وفسوقهم عن أمره . [3] وقيل إنها : " العادة " [4] " ومن الله حكمه ، وأمره ، ونهيه ، قال تعالى: ﴿ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴾ [5]: أي معاينة العذاب " [6] وقيل هي السِّيرة من العمل أو الخُلق الذي يلازم المرء صدور العمل على مثالها ، وفي القرآن إطلاق السُّنَّة على هذا المعنى كثير ، قال تعالى : ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [7]

---

[1] سورة آل عمران ، الآية : 137

[2] مفاتح الغيب . فخر الدين محمد ضياء الدين عمر الرازي . دار الكتب العلمية . بيروت . ط 1 . 1990 م . مج 5 / 10 – 11

[3] المصدر نفسه . مج 5 / 11

[4] معجم التعريفات . على بن محمد الجرجاني . تحقيق . محمد صدّيق المنشاوي . دار الفضيلة . مصر . لم يذكر رقم الطبعة ولا سنة النشر. ص / 105

[5] سورة الكهف ، الآية : 55

[6] القاموس المحيط . مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي . تحقيق . مكتب التراث بمؤسسة الرسالة . ط 8 . 2005 م . ص / 1207

[7] سورة فاطر ، الآية : 43

وفسَّرُوا السُّنن هنا بسُننِ الله في الأمم الماضية . [1]

ثانيا: التعريف الاصطلاحي :

تعددت تعريفات السُّنّة في اصطلاحات أهل الشرع " حسب اختلاف الأغراض التي اتجهوا إليها في أبحاثهم " [2] وأذكر هنا بعضا من هذه التعاريف :

أولاً : السنة في اصطلاح المحدثين :

" هي كل ما أُثر عن الرسول – ﷺ – من قول ، أو فعل ، أو تقرير ، أو صفة خِلقية أو خُلقية ، أو سيرة أكان ذلك قبل البعثة ، أم بعدها " [3]

ثانيا: السنة في اصطلاح علماء أصول الفقه :

فهي تطلق على " ما صدر عن الرسول من الأدلة الشرعية ممَّا ليس بمتلوٍ ، ولا هو معجز ، ولا داخل في المعجز ، ويدخل في ذلك أقوال النبي – عليه السلام – وأفعاله وتقاريره . [4]

ثالثا : السنة في اصطلاح الفقهاء :

" اسم للطريقة المسلوكة في الدين من غير افتراض ولا وجوب " [5]

رابعا : السنة في الفكر الإسلامي :

" هي مجموعة القوانين التي يسير الوجود وفقها ، وتتحرك الحياة بمقتضاها في جزئياتها ، ومفرداتها ، فما في الكون من ذرة أو حركة إلا ولها قانون وسنة ، والإنسان وحدهُ المطالب بالبحث عن هذه السنن، ومعرفتها في الحياة للاضطلاع بإعمار الأرض ، وأعباء الاستخلاف " [6]

---

[1] تفسير التحرير والتنوير . محمد الطاهر بن عاشور . دار سحنون . تونس . ج 2 / 96 . بتصرف

[2] الحديث والمحدثون . محمود محمد أبو زهو . دار الفكر العربي . لم يذكر رقم الطبعة ولا سنة النشر . ص / 9

[3] أصول الحديث وعلومه ومصطلحه . محمد عجاج الخطيب . دار الفكر لبنان . ط1 . 1998 م . ص / 14

[4] الإحكام في أصول الأحكام . سيف الدين أبي الحسن على الآمدي . دار الفكر لبنان . 2003 م . لم يذكر رقم الطبعة . مج 1 / 119 : بتصرف

[5] معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية . محمود عبد الرحمن عبد المنعم . دار الفضيلة مصر . لم تذكر سنة النشر ولا رقم الطبعة ج 2 / 298

[6] سنن القرآن الكريم في قيام الحضارات وسقوطها . محمد هيشور . طبع المعهد العالي للفكر الإسلامي . ط 1 . 1996 م . ص /1

وقيل هي : " النُّظُم التي فطر الله عليها الخلق ، فكل ما اشتملت عليه هذه النظم وكل ما اتصل بطبائع الأشياء ، وخصائصها ، وعلاقاتها ، بعضها ببعض داخل في علم سنن الله الكونية " [1]

وقيل هي : " هي الطريقة المتبعة في معاملة الله للبشر ، بناء على سلوكهم، وأفعالهم، ومواقفهم من شرع الله وأنبيائه ، وما يترتب عن ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة " [2] وقد يكون هذا التعريف الأمثل والمناسب من بين كل التعريفات ؛ لأن سنة الله هي طريقته في معاملة البشر كلٌّ حسب عملهِ ، وهي تسير وفق قوانين ثابتة وواحدة تنطبق على الجميع دون استثناء .

---

[1] في سنن الله الكونية . محمد أحمد الغمراوي . طبع مطبعة التأليف والترجمة والنشر . مصر . ط 1 . 1936 م . ص/1

[2] السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد . عبد الكريم زيدان . مؤسسة الرسالة بيروت . ط 3 . 2002 م . ص / 13

السبيل لمعرفة سنن الله :

إن السبيل لمعرفة سنن الله الكونية هو : الرجوع إلى كتاب الله العظيم ، وسنة نبيه الكريم – ﷺ – ففيهما القول الفصل " وما بَيَّنَاهُ ، أي القرآن والسنة النبوية من أنه هو سنة الله أي قانونه العام الذي تجري بموجبه أحداث ووقائع البشر ، فهذا البيان هو الحق المبين والقول الصادق ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴾ [1] وهو الإخبار الحق الصادق عن هذا القانون العام [2] ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ [3] فالقرآن الكريم يحدثنا عن أخبار السابقين ، ويذكر لنا أفعالهم ، لنستفيد من تجاربهم فلا نقع في ما يستوجب عقاب الله – ﷻ – ونَحذَرَ منه ، ونعرف طريق الحق ، والخير فنسير فيه ، ونأخذ بأسباب النهضة والتمكين .

فلم يقص القرآن الكريم علينا قصص الأمم الخالية والقرون الأولى في تفصيل وتكرار، ولم يفض في الحديث عن اليهود . ولم يتوسع فيه هذا التوسع إلاَّ ليؤمن المسلمون بنتائج الأعمال والأخلاق ، ومناهج الحياة ، ويعتبروا بمصير اليهود ، وما كتب عليهم من الشقاوة ، والسعادة ، والهزيمة والنصر في مختلف أدوار تاريخهم خاضعاً ذلك كله لمنهج الحياة الذي آثروه ، والأخلاق التي تخلّقوا بها ، والحياة التي عاشوها . [4]

وفي السُّنَّة النّبوية إخبار عن أحداث ووقائع عن أمم ماضية ، وأقوام سابقين : كقوم نوح وبني إسرائيل ، وغيرهم مِمَّن ذكرهم رسول الله – ﷺ – ليحذِّر أمته مِمَّا وقعوا فيه حتى لا يحل بها ما حل بهم من عذاب وسخط .

كذلك في استقراء التاريخ يجد الإنسان أخباراً عن أُمم غابرةٍ ، وحضارات هالكة قد أزالها الله تعالى من على الأرض ، وصارت أحاديث ، ويجد أخرى مكَّن لها في الأرض وفتح عليها كل أسباب العزة والتمكين، وعند تتبع هذه الأحداث ، والوقائع التاريخية تتكشَّفُ

---

[1] سورة النساء ، الآية : 122

[2] السنن الإلهية في الجماعات والأمم والأفراد . عبد الكريم زيدان . مرجع سابق . ص / 10 : بتصرف

[3] سورة النساء ، الآية : 87

[4] إزالة أسباب الخذلان أهم وأقدم من إزالة أثار العدوان . أبو الحسن على الحسني الندوي . دار عرفات للدِّراسة والنشر بالهند . لم تذكر سنة الطبع ولا رقم الطبعة . ص / 6 : بتصرف

أمام الإنسان أسباب القوة والتمكين ، ويعثر على أسباب الدمار، والهلاك التي أضاعت أُمماً بحالها ، ولهذا أمرنا الله بالسَّير في الأرض ، والنظر في أخبار هذه الأمم ووقائعها ، قال تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [1]

[1] سورة غافر ، الآية : 82

أقسام السنن الإلهية :

تنقسم السنن الإلهية إلى قسمين رئيسين هما :

1 . السنن الاجتماعية :

وهي تلك السنن التي تتعلق بسلوك البشر، وأفعالهم ، ومعتقداتهم ، وسيرهم ، في الدنيا والآخرة وفق أحوال الاجتماع ، والعمران البشري ، وما يترتب على ذلك من نتائج في العاجل والآجل .[1] كالكفر بالله ، والظلم ، والفسق ، والبغي ، والعدوان بغير الحق، وأكل أموال الناس بالباطل، واتباع الهوى ، والإعراض عن شرع الله ، وغير ذلك من الصفات والأعمال التي امتلأت آيات القرآن الكريم بالتحذير منها ، وهذا النوع من السنن هو الذي يدور عليه محور هذا البحث ، وعماد هذه الدراسة .

2 . السنن الكونية :

" وهي التي تتعلق بالأشياء ، والظواهر، والأحداث المادية ، والطبيعية غالباً " [2]

وعُرِّفت السنن الكونية أيضا بأنها : " منهج الله في تسيير هذا الكون وعمارته وحُكمه " [3]

ومن سمات هذه السنن " الثبات " وسريان أحكامها على الحوادث والظواهر التي يحكمها هذا القانون ، فالأرض تحيا بالمطر ، ويخرج منها النبات ، قال تعالى : ﴿ وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴾ [4]

وكذلك جريان الشمس والقمر ، وجريان الفلك في البحر وفقاً لهذا القانون العام الذي ذكره الله – تعالى – فقال : ﴿ وَآيَـةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَـا ذُرِّيَّتَهُـمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾ [5]، ولولا اطراد هذه السُّنن وثبوت قانونها ما لفت الله تعالى لها النظر في القرآن الكريم وجعلها

---

[1] السنن الكونية والاجتماعية . توفيق بن أحمد الغلزوي . منشورات كلية أصول الدين . جامعة القرويين بالمغرب . لم يذكر تاريخ النشر ولا رقم الطبعة . ص / 5 . بتصرف

[2] المرجع نفسه : ص / 5

[3] السنن الإلهية في الحياة الإنسانية . شريف الشيخ صالح الخطيب . مكتبة الرشد بالرياض . ط 1 . 2004 م . مج1 /76

[4] سورة يس ، الآية : 33

[5] سورة يس ، الآية : 41

آية من آياته . فمن هذه الآيات ، قوله تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [1] ، وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [2] وقوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [3]

ووجه الدلالة بهاتين الآيتين أن حصول تسخير الله تعالى البحر، وما خلقه في السموات والأرض لمنافع الناس إنما يكون لمعرفة الناس كيف يستمدون منافعهم من هذه المُسخرات وذلك بأن يعرفوا ما تخضع له هذه الموجودات من قواعد ثابتة ، أي قانون عام في وجودها وطرق الانتفاع بها بموجب هذا القانون العام . [4]

وقد يخرق الله تعالى هذا القانون في بعض الأحيان ، كما حدث مع إبراهيم – عليه السلام – عندما قذفه قومه في النار فأبطل الله قانون الإحراق في هذه النار لِيُنجي إبراهيم – عليه السلام – من الحرق ، قال تعالى : ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [5] وهذا من أبدع المعجزات فإن انقلاب النار هواءً طيباً ، وإن لم يكن بدعاً من قدرة الله ؛لكن وقوع ذلك على هذه الهيئة مما يخرق العادات . [6]

ويدخل تحت هذا الإطار كذلك ولادة مريم لعيسى – عليه السلام – من غير زوج ، قال تعالى : ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [7]

---

[1] سورة البقرة ، الآية : 164

[2] سورة الجاثية ، الآية : 12

[3] سورة النحل ، الآية : 14

[4] السنن الإلهية في الجماعات والأمم والأفراد . عبد الكريم زيدان . مرجع سابق . ص / 8 – 9 : بتصرف

[5] سورة الأنبياء ، الآية : 69

[6] روح البيان في تفسير القرآن . إسماعيل حقي بن مصطفى البروسوي . تحقيق . عبد اللطيف حسن . دار الكتب العلمية بيروت. ط 1 . 2003 م . مج 5 / 505 : بتصرف

[7] سورة آل عمران ، الآية : 47

وهذه الأمور يختص بها الله وحده ؛ لأنه هو المُتصرِّف في هذا الكون وفق مشيئته وإرادته ولا دخل للبشرية فيها . بل الواجب عليهم هو العمل بهذه القوانين ، وعدم مخالفتها والسير في إطارها التي تحدده .

وميَّز الله السنن الكونية بأن سخّرها لجميع خلقه على السواء : المؤمن ، والكافر؛ فمتى أخذ الإنسان بالمنهج الصحيح للتعامل مع هذه السنن سخَّرها الله له ؛ فالأرض مثلاً طوَّعها الله للمؤمن والمشرك ، ينتفعان منها على السواء ، ولهذا نلاحظ ازدهار الزراعة في بعض الدول الكافرة لأخذها بقوانين الله في استصلاح الأرض ، كاختيار مواسم الأمطار، وتحسين البذور ، ومقاومة الآفات الضارة ، وغير ذلك ؛ فأخرجت لهم الأرض من كنوزها وخيراتها حتى فاضت عندهم المحاصيل وصارت تصدر إلى الدول الأخرى بينما نلاحظ ظهور التَّصحر، والقحط في بعض دول الإسلام لإهمالهم هذه القوانين ، وعدم الأخذ بها واعتمادهم على غيرهم في تحصيل رزقهم ، وإيثارهم الخمول والكسل على السعي في الأرض ، واستخراج خيراتها وكنوزها .

ولهذا أمرنا الله تعالى بإدراك هذه السنن واستغلالها في خدمة مجتمعاتنا ، وأمتنا؛ لنرتقي في أعلى درجات التحضر والتمكين ، وذلك بالنظر إلى خلق الله تعالى ، والتفكر في هذه النعم التي تفضل بها على البشر، قال تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [1]

وأعلمنا أنه تفضل علينا بإنزال الماء الذي هو من لوازم الحياة والإنبات إذا أردنا أن تنبت لنا الأرض وتحيا لنا الزروع ، والأعناب ، قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ۗ انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [2]

---

[1] سورة الحج ، الآية : 46

[2] سورة الأنعام ، الآية : 99

أهمية دراسة السُّنَن الإلهية :

أرشدنا القرآن الكريم إلى دراسة السّنن ، والبحث عنها في كافة مظاهر الحياة للسير وفقها ، ولنتجنب الوقوع في مُصَادمتها ، قال تعالى : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [1] ، وقال سبحانه : ﴿ سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾ [2] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴾ [3]

ومن أهم فوائد دراسة هذه السنن والبحث فيها ما يلي :

1 . بدراسة السنن يتعرف الإنسان على قدرة الله التي تدل على أن لهذا الكون نظاماً بديعاً، ومحكماً ، وقانوناً ثابتاً لا يقبل التغيير والتبديل .

2 . فهم التاريخ على حقيقته ، والتعرف على عوامل البناء والأمن والاستقرار ، وعوامل الهدم والخوف ، والانحطاط والتقدم . [4]

3 . " إن استيعاب سنن الله في الأمم ، واستحضارها في بداية الطريق ، يمكن أن يسهم في تقليل الأخطاء في مستقبل المجتمع الفاقه لهذه السنن " [5]

4 . إن بحث وتتبع سنن الله في الأمم ودراستها يساهم في خدمة الدعوة الإسلامية وذلك بإثبات معجزات القرآن الكريم ، وصدق نبوة الرسول – ﷺ – وما حدث للأمم التي آمنت بالرسل فاستحقت ثواب الله تعالى ، والأمم التي خالفت أمره فنزل بها العذاب ، ولقد أخبر الله تعالى في كتابه أن آياته ظاهرة في العالم ويمكن مشاهدتها ، قال تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ [6]

---

[1] سورة آل عمران ، الآية : 137

[2] سورة غافر ، الآية : 185

[3] سورة الكهف ، الآية : 55

[4] مقالة بعنوان : (كيف نفسر التاريخ) ص : 7 . مجلة البيان الصادرة بالكويت : العدد . 50 . السنة : 1992 م .

[5] سنن الله في الأمم من خلال آيات القرآن الكريم . حسن بن صالح الحميد . دار الفضيلة بالرياض . ط 2 . 2011 م . ص / 8

[6] سورة النمل ، الآية : 93

ويمكن القول : إن جل أحداث الدَّمَار التي أوردها القرآن الكريم قد أصبحت ظاهرة وبادية للعيان ، وأمكن تحديدها عن طريق الكشوفات والدراسات الأثرية " [1]

5 . " وَعْيُ سنن الله تعالى يقود إلى الحركة باطمئنان واتزان في الحياة ، فإن تقرير الله –ﷻ – لوجود هذه السنن وثباتها قوانين لا تتخلف يُوجِد لدا المسلم حساً بالشعور والراحة في حركته وسكونه ، فلا يبقى فريسة للمفاجآت التي لا يمكن التنبؤ بها ، ومن أجل أن نطمئن بين لنا القرآن الكريم في أكثر من موضع ثبات هذه السنن ونفادها وعدم تبدلها أو تحولها وهذا الاطمئنان يشكل عاملاً مهما في حركة الفرد نحو الإصلاح، وممارسة دوره في عمارة الأرض دون قلق أو وجل " [2]

6 . " إن موضوع دراسة السنن أصبح موضوعاً تدعو الضرورة إلى الاهتمام به ؛ لما يحيط بالأمة الإسلامية من صراع المذاهب والإيدلوجيات ، التي تدعي أنها تفسر حقائق الوجود وسنن الكون ، وتُحدد وظيفة المجتمعات البشرية ، وتطورها في الحضارة والتاريخ ، وأن إحياء فقه السنن الربانية وتفعيله والعمل على استثماره في كثير من العلوم والاختصاصات مطلوب اليوم أكثر من أي وقت مضى " [3]

7 . الانتفاع من السنن واستثمارها في مختلف الاختصاصات والتطبيقات العلمية وتوظيفها في عملية التنمية الشاملة للمجتمعات البشرية ، وتسخيرها من أجل عِمارة الأرض والقيام بواجبات الاستخلاف المطلوب ، وذلك باكتشافها والانتفاع بها ، واستثمار خواصها في مختلف التخصصات العلمية . [4]

---

[1] الأمم البائدة . هارون يحيى . ترجمة . ميسون نهلي . مؤسسة الرسالة . لم يذكر رقم الطبعة ولا سنة النشر . ص / 10: بتصرف

[2] مقالة بعنوان : " السنن الإلهية حقيقتها و إدراكها في ضوء القرآن الكريم " . ذو الكفل بن الحاج محمد : منشورات مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية بالسعودية : العدد السابع جمادى الآخر : 1430 هـ . ص / 78 . بتصرف

[3] بحث بعنوان : " تأصيل علم السنن الربانية " راشد سعيد شهوات . منشورات مجلة القسم العربي . عمّان . العدد 15 – 2008 م . ص / 33 : بتصرف

[4] المصدر نفسه : ص / 35 : بتصرف

8 . المُطَّلع على سنن الله تعالى والمدرك لحقائقها ، يستطيع الصبر على المحن والشدائد لمعرفته بأن نصر الله قريب ، وأنه لا يخلف الميعاد في نصرة عباده ، فمن أغرق الأرض لدعوة نوح قادر على أن ينصر أضعف عباده ؛ فسننه واحدة وثابتة .

خصائص السنن الإلهية :

لسنن الله مجموعة من الخصائص انفردت بها ، وميزتها عن غيرها ، ومن أهمها ما يأتي:

1 . الربانية

" إن أهم خصائص السنن في القرآن الكريم الربانية ، أي ربانية السنن الكونية والاجتماعية ، فهي مرتبطة بالله سبحانه وتعالى خلقاً ، وإيجاداً ، وتقديراً ، وليس ذلك لأحد من الناس ، ولذلك ورد لفظ السنة في القرآن الكريم بإضافتها إلى الله تعالى في مواضع من القرآن الكريم . قال تعالى : ﴿ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ [1]

والقرآن الكريم حينما يُصبغُ الطابع الرَّبّاني على السنن الكونية ، والاجتماعية التي تحكم عالم الشهادة ، يريد أن يؤكد الصلة الوثيقة بين العلم والإيمان ؛ لأن اكتشاف انتظام هذه السنن ، والقوانين وعملها ينبغي أن يقود إلى الإيمان بالله – ﷻ – " [2]

وفي هذه الخاصية تظهر قوة التحدي الإلهي فلا أحد من البشر يستطيع أن يتحدى هذه السنن ، ولا أن يقف في طريقها إلى يوم الدين مهما بلغت البشرية من قوة وارتفاع .

2 . الثبات :

سنن الله ثابتة لا تحابي ، ولا تجامل ، ولا تتحول ، فهي غير قابلة للنسخ ، قال تعالى: ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ ﴾ [3]، وقال تعالى : ﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾ [4]

فالقوانين التي وضعها الله ليسير عليها هذا الكون ، وتدور وفقها الحياة هي قوانين ثابته فمن عالم الذَّرة إلى عالم المجرة ، ومن عالم البحار ، والمحيطات ، والنجوم ، والكواكب إلى عالم البشر ، والأجِنَّة نجد أن هذه المخلوقات مرتبطة بقوانين لا تحيد عنها، ولا

---

[1] سورة الأحزاب ، الآية : 62

[2] السنن الكونية والاجتماعية . توفيق بن أحمد الغلزوي . مرجع سابق . ص / 9

[3] سورة فاطر ، الآية : 43

[4] سورة الأحزاب ، الآية : 62

تتغير، ثابتة في كل وقت ، وحين ، ولولا ثبات هذه القوانين ما استطاع الإنسان أن يكتشف الجاذبية ، ولا سرعة الضوء ، ولا الطول ، ولا العمق ، ولا عالم المجرات فكلها مقيدة بقوانين تحكمها ، وتنظم عملها، فلو لم تكن ثابتة لما استطاع الإنسان أن يستفيد منها. فكيف يستفيد بشيء غير ثابت وغير محكوم بقواعد محكمة ؟

قال تعالى : ﴿ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ﴾ [1] وقال تعالى في كتابه العزيز : ﴿ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾ [2]

وإذا ما انتقلنا إلى نطاق المجتمعات البشرية ، فإننا نجدها أيضاً محكومة بسنن ربانية ثابتة صارمة إذا حَادَ عنها المجتمع حلّت سنن الله فيه ، وإذا أخذ بها نال الفوز ، والسعادة قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴾ [3] ، وقال تعالى : ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [4]

3 . عامة وحاكمة على جميع البشر

الناظر في حياة الرسول – ﷺ – وسيرته يجد هذا المعنى واضحاً ، فعندما أخذ الصحابة بسنة الله في النصر أتى لهم بأُكله وأعطى ثمره ، وعندما خالفوا أمر الرسول – ﷺ – وترهلت قبضتهم عن عنصر من عناصر النصر لم تنخرم لهم القاعدة ، ولم تتبدل لهم السنة ، بل حكمت عليهم وفيهم أعظم خلق الله محمد – ﷺ – فمخالفة بعض المسلمين لأمر الرسول – ﷺ – في غزوة أحد ، بدلت الأمر وحولت النصر إلى هزيمة ؛ لأنهم لم يحققوا سبب النصر وهو السمع ، والطاعة المطلقة لرسول الله – ﷺ – والسنن الإلهية تجري على الجميع لا فرق بين مجتمع ومجتمع ، وديانة وأخرى ، ولا فرق بين جيل وجيل ، وإلا لَما دعانا القرآن الكريم إلى التفكر في آثار السابقين والنظر في أحوالهم

---

[1] سورة الزمر ، الآية : 5

[2] سورة الرحمن ، الآية : 5

[3] سورة الرعد ، الآية : 11

[4] سورة الأعراف ، الآية : 165

ولا تشمل هذه السنن البشر وحدهم ، بل تشمل الرسل والأنبياء فما يجري على البشر يجري على الأنبياء والرسل – عليهم السلام – فآدم عندما عصى ، وأكل من الشجرة نزل من الجنة ، ولم تمنعه مكانته كنبي ، وأول مخلوق من البشر أن يبقى في الجنة . قال تعالى : ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴾ [1]

كذلك الشيطان لمَّا طغى ، وتجبَّر ، وعصى ربَّه طردهُ الله من الجنة ، وأنزل به العقوبة فهو ملعون ومطرود إلى يوم الدين ، قال تعالى : ﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ [2] .

وهكذا الأمم ، والأفراد ، والموجودات على سائر الدهور ، والعصور فإنّ سُنن الله ماضية فيهم إلى يوم الدين لا تحابي أحداً على حساب الآخر، ولو كان نبياً مرسلاً أو ملكاً مقرباً .

4 . الإطّراد :

ومعناه التَّكرار فكلما وجدت الظروف المناسبة مكاناً ، وزماناً ، وأشخاصاً ، وأفكاراً ، حصلت هذه السنن ، فالسَّحاب كلما تشكل ، وحصلت الفرصة للمطر أمطر ، والنار تحرق ، والنبات ينمو كلما سُقي ، وهكذا المجتمع البشري ، فكلما ارتكب المخالفات وقع في عقوبات الله تعالى ، وكلما سما ، وتمسك بحبل الله نجا ، وأفلح ، وعليه فالمقصود باطراد سنة الله تتابع حصولها ، أو تكرار آثارها على الوتيرة نفسها ، كلما توافرت شروطها ولهذا قَّصَّ علينا القرآن الكريم قصص الغابرين ، وما حل بهم من جراء ما اقترفوه من مخالفات للأوامر الإلهية ، لنأخذ الدروس والعبر ، ولنرجع إلى الصراط السوي ، حتى لا يصيبنا ما أصابهم . قال تعالى : ﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [3]

---

[1] سورة البقرة ، الآية : 35

[2] سورة الأعراف ، الآية : 13

[3] سورة آل عمران ، الآية : 137

وقال تعالى : ﴿فاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [1] وفي غزوة (حُنين) خالف بعض المسلمين الأوامر القرآنية وظنوا أن النصر يأتي بكثرة العدد وقوة الجيش متناسين أن النصر لا يأتي إلا من عند الله تعالى ، وهذه معصية ومخالفة للشرع الحكيم فنزلت العقوبة وكادت أن تدور على المسلمين الدائرة لولا أن الله – تعالى – سلَّم ، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ [2]

5. الواقعيــة

والمعنى من كونها واقعية هو أنها تتعامل مع حقائق موضوعية ، ذات وجود حقيقي ، وأثر واقعي إيجابي ، ومع الواقع المشهود ، لا مع تصورات علمية مجردة ، ولا مع مثاليات خيالية ، لا مقابل لها في حياة الناس ولا وجود ، وهي ليست كما صنع (الفارابي)* في مدينته الفاضلة ، أو (أفلاطون)* في جمهوريته الخَيَالية وكما تخيَّلت (الشيوعية) * المادية الغافلة عن الله ، والدار الآخرة ، في أذهانها عن المجتمع الذي تنعدم فيه الفوارق ، والطبقية وتزول الملكية ، ومن هنا يتضح أن سُنن الله تُغيِّر أحداث الواقع أفضل تغيير ، ولم تنس هذه السنن في توجيهاتها ، وقوانينها واقع الكون والحياة ، وواقع الناس بكل ظروفه وملابساته ؛ لأن مصدرها صاحب الخلق والأمر الذي يعلم كل

---

[1] سورة الحشر ، الآية : 2

[2] سورة التوبة ، الآية : 25

* هو أبو الفضل محمد بن محمد بن اوزلغ الفارابي الملقب بالمعلم الثاني . ولد عام 874 م . في إقليم تركستان اشتهر بالفلسفة والطب ، والموسيقى . تلقى علومه في بغداد ، وتأثر بما يعرف بالافلاطونية الجديدة ، من أشهر كتبه كتاب إحصاء العلوم . قيل بأنه توفي في دمشق عام 950 م ودفن بها . ينظر الموسوعة الفلسفية المختصرة . ترجمة فؤاد كامل وآخرين . دار القلم لبنان . لم يذكر تاريخ النشر ولا رقم الطبعة . ص / 287 – 288

* فيلسوف يوناني ولد في أثينا سنة 347 ق . م . زار مصر وإيطاليا وصقلية لتعلم الفلسفة ثم رجع إلى بلده كان أول أمره شاعراً وكاتب للعديد من الحوارات الفلسفية وضع الأسس الأولى للفلسفة الغربية . له مؤلفات كثيرة منها : كتاب السياسة والنواميس وغيرها . ينظر الموسوعة الفلسفية . إسماعيل الشرفا . دار أسامة بالأردن . ط 1 . 2002 م . ص / 54

* الشيوعية هي حركة يهودية ، أسسها كارل ماركس وطُبِّقت بعد موته ، تقوم على الإلحاد ، وتنظر إلى الكون والحياة من منظور مادي ، وتسعى إلى تحقيق أهدافها بالحديد والنار ، وبكل ما تملكه من وسائل . ينظر . الشيوعية . محمد بن إبراهيم الحمد . دار ابن خزيمة بالرياض . ط 1 . 2002 م . ص / 11

كبيرة ، وصغيرة في هذا الكون . [1] قال تعالى : ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [2]

[1] السنن الإلهية وخصائصها .رشيد كهوس . منشورات كلية أصول الدين جامعة القرويين . تطوان المغرب . لم يذكر رقم الطبعة ولا سنة النشر . ص/ 20 –21 : بتصرف

[2] سورة الأعراف ، الآية : 54

تعريف السقوط والحضارة لغة واصطلاحاً :

أولاً تعريف السقوط لغة :

س ق ط " سَقَطَ " الشيء من يده من باب دخل و " أَسْقَطَهُ " هو ، و" المَسْقَطْ " بوزن المقعد السُّقُوط . وهذا الفعل " مَسْقَطَه " للإنسان من أعين الناس بوزن المتربة ، و" المسقط " بوزن المجلس الموضع ، يقال مسقط رأسه ؛ أي حيث ولد ... و" سَقَطَ " في يده : أي ندم ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ ﴾ [1] ... والسَّقطة بالفتح العثرة والزلة وكذا " السِّقاط " بالكسر . و" سَقَطَ الولد " ما يسقط قبل تمامه ..." [2] والسُّقُوطُ هو: " الوقوع من علوّ" [3] " والسَّقطةُ هي الوقعة الشديدة : سَقَطَ يَسقُطُ سُقُوطاً فهو سَاقطٌ ومَسقط الشَّيءِ موضعُ سُقوطه ... والسَّقطُ من الأشياء ما تُسقطُه فلا تُعتدُّ به " [4]

السُّقوط اصطلاحا :

يمكن أن يُعَّرف السّقوط بأنه : زوال وإهلاك أُمَّة أو دولة ، وانهيار قوتها وانكسار شوكتها بين الحضارات الأخرى عقوبة من الله بذنب اقترفته أو مخالفة لأوامره . ويمكن أن نمثل للنموذج الأول بقوم لوط فعندما خالفوا أمر الله – ﷻ – واستمروا في عنادهم ، وتعاطي فواحشهم استحلوا به عذابه ، وغضبه عليهم فأهلكهم ، وأزالهم من على وجه الأرض ، قال تعالى : ﴿ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ ﴾ [5] وكقوم ثمود الذين عصوا ربهم وكذبوا رسله ، واستبدلوا الهداية بالغواية ؛ فأخذهم الله بعذاب من عنده ، قال تعالى : ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [6]

---

[1] سورة الأعراف ، الآية : 149

[2] مختار الصحاح . محمد بن أبي بكر الرازي . مكتبة لبنان . لم يذكر رقم الطبعة . 1986 م . مادة (س ق ط) ص / 128 : بتصرف

[3] تفسير البحر المحيط . لأبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي . تحقيق . عادل أحمد عبد الموجود و آخرين . دار الكتب العلمية بيروت . ط 1 . 1993 م . مج 4 / 392

[4] لسان العرب . أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور . دار صادر بيروت . لم يذكر رقم الطبعة . 1992 م . فصل السين مادة (سقط). مج 7/ 315 – 316. بتصرف

[5] سورة الحجر ، الآية : 74

[6] سورة فصلت ، الآية : 17

وذكر غيرهم الكثير في القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ [1]

والأمثلة على النوع الثاني كثيرة ؛ فقد عاقب الله العديد من الدول ، والحضارات على معاصيها ، ولكنه لم يزلها من على وجه الأرض ، فانهزمت بعد قوّة ، وتشتّتت بعد وحدة، كما حدث للحضارة الإسلامية في الأندلس ، حيث تسلط الأعداء عليها بسبب ذنوبهم ، وتفرقهم ، وعدم استمساكهم بشريعة الله – ﷻ – وكذلك ما حدث للدولة العثمانية من انهيار، وتقهقر كان عاقبته سقوط الخلافة الإسلامية بسبب الابتعاد عن شرع الله ، ومنهجه الذي ارتضاه لعباده .

---

[2] سورة الإسراء ، الآية : 17

ثانياً : تعريف الحضارة لغة واصطلاحاً

أولاً تعريف الحضارة لغة :

" حَضَرَ فُلان حَضَارة : أقام في الحَضَرِ . و" الحَاضِرُ " القوم النزول على ماء يقيمون به ولا يرحلون عنه ، والحي إذا حضروا الدار التي بها مجتمعهم ، وفي التنزيل العزيز : ﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ ﴾ [1] " وخلاف البادية ، وهي المدن والقرى والريف " [2]

تعريف الحضارة اصطلاحاً :

للحضارة تعريفات عديدة ومتنوعة بين علماء التاريخ ، والاجتماع ، وغيرهم ومنها: الحضارة في المفهوم العام : " هي ثمرة كل جهد يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته ، سواء كان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصوداً أم غير مقصود ، وسواء أكانت الثمرة مادية أم معنوية " [3]

وعُرِّفت بأنها " جملة مظاهر التقدم الأدبي، والفني ، والعلمي ، والتقني التي تنتقل من جيل إلى جيل في مجتمع واحد أو في عدة مجتمعات متشابهة " [4]

ومن خلال هذه التعريفات يمكن تعريفها بأنها : نتاج فكري ، واقتصادي ، وسياسي، لشعب ما في زمن معين وعلى أرض معينة .

---

[1] سورة الأعراف ، الآية : 163

[2] المعجم الوسيط . إصدار مجمع اللغة العربية . نشر دار الدعوة . تركيا . لم يذكر رقم الطبعة . 1989 م . مادة حضر . مج 1 / 181

[3] الحضارة . حسين مؤنس . دار عالم المعرفة للطباعة . الكويت . لم يذكر رقم الطبعة . 1978 م . ص / 13

[4] أصول ومقدمات تمهيدية في الثقافة الإسلامية . الصديق عمر يعقوب . دار الوليد للنشر. طرابلس ليبيا . لم يذكر رقم الطبعة . 2003 م . ص / 18

الفصل الأول : الدولة العثمانية الأصل والامتداد

المبحث الأول : أصول العثمانيين ودخولهم في الإسلام وأسماء الدولة العثمانية

المبحث الثاني : مراحل الدولة العثمانية وأهم خصائصها

المبحث الثالث : دور الدولة العثمانية في نشر الإسلام

المبحث الأول : أصول العثمانيين ودخولهم في الإسلام وأسماء الدولة العثمانية

تمهيد :

تُعدُّ الدولة العثمانية من أطول الدول الإسلامية عُمراً ، فقد بدأت في أغلب الروايات التاريخية عام (1299 م) واستمرت إلى عام (1924 م) حيث سقطت ، وانهارت بعد مقاومة كبيرة للضعف ، والمرض الذي أصابها وأنهك قواها ، وجعلها مغلوبة بعد أن كانت غالبة ، وضعيفة بعد أن كانت قوية ، ومن أهم أسباب هذا الوهن الذي أصابها ، تركها لعوامل النصر ، وعدم الأخذ بأسباب القوة ، مما جعل سنن الله – ﷻ – تحل بها ، فسبقت عليها كلمات الله ، وانهارت ، وألغيت آخر خلافة في الأمة الإسلامية ، بعد أن كانت حاميةً لحمى الإسلام وناشرةً لهُ في أغلب بقاع الأرض ،وفي هذا الفصل يدور الحديث حول التعريف بهذه الدولة التي نقشت اسمها في جدران التاريخ ، وسطر أبناؤها أروع التضحيات والبطولات في تاريخ الإسلام ، وما مرت به من مراحل وتطورات ، والدور الذي قامت به ، ولعبته في نشر رسالة الإسلام الخالدة التي بذلت كل غالٍ ونفيس في سبيل إعلائها .

أصول العثمانيين :

تعددت الروايات التاريخية حول أصول العثمانيين ، ولعل أغلب الروايات ، وأرجحها هي التي تُرجع أصولهم إلى منطقة ما وراء النهر والتي تسمى اليوم (تركستان) والتي تمتد من هضبة منغوليا ، وشمال الصين شرقاً إلى بحر الخزر(بحر قزوين) غرباً ، ومن السهول السِّيبيرية شمالاً إلى شبه القارة الهندية ، وفارس جنوباً ، استوطنت عشائر (الغز) وقبائلها الكبرى تلك المناطق ، وعُرِفُوا بالترك أو الأتراك ... ثم تحركت هذه القبائل في النصف الثاني من القرن السادس الميلادي ، وبدأت في الانتقال من موطنها الأصلي في هجرات ضخمة نحو آسيا الصغرى . [1]

واختلف المؤرخون في أسباب هذه الهجرة هل هو لطلب المراعي أم لشح المياه والبحث عن أماكن أخرى للعيش فيها ، والأرجح هو : إحساسهم بقرب خطر المغول فعبروا إيران ، واقتربوا من الأناضول ، وأخذ بعضهم يستقر في العراق ، والبعض في غرب إيران ، وقفقاسيا [2]، وواصلت عشيرة صغيرة تسمى (قَايْ) المسير نحو الأناضول بعددها البالغ حوالي (أربعة آلآف) إنسان يرأسها رجل تركي يدعى (كوندوزألب) ونزلت في بقعة بين حدود مملكة سلطان قُونيه السلجوقي ، والإمبراطورية البيزنطية، وهو المكان الذي تلتقي فيه ولايات (أسكي شهر، وبيلا جيك ، وكوتاهيه) في تركيا اليوم، ويعتبر هذا المكان الاستراتيجي مكافأة لهم من السلطان السلجوقي بعد وقوفهم معه في المعركة التي دارت بينه وبين (جلال الدين خوارزم شاه) حاكم تركستان والتي كاد أن يهزم فيها لولا وقوف هذه العشيرة معه وبعد وفاة (كوندوز ألب) سنة (1253م) خَلَفَهُ على رئاسة العشيرة ، ابنه

---

[1] الدولة العثمانية عوامل النهضة و أسباب السقوط . على محمد الصلابي . دار التوزيع والنشر الإسلامية . مصر . ط 1 . ص : 25 . بتصرف

[2] العثمانيون في التاريخ والحضارة . د محمد حرب . المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي . مدينة نصر بالقاهرة . 1994 م . ص/ 13 – 14 : بتصرف

(أرطغرل) ثم بعد وفاة (أرطغرل) أصدر سلطان قُونيه مرسوماً بتعيين الأمير (عثمان) ليحل محل أبيه في الحكم . [1]

والخلاف ناشئ بين المؤرخين عن أصلهم قبل عثمان ، فهناك آراء متعددة حول هذا الموضوع ، فبعضها ترجعهم إلى (يافث) بن نوح – عليه السلام – وبعضها تُرجع نسبهم إلى عثمان بن عفَّان – رضي الله عنه – وأياً كان نسبهم ، فإن بداية ظهورهم كانت قبل نهاية القرن (السادس الميلادي) حين صار للترك وجود مكثف في منطقة الأناضول الإسلامي ، أكثر منه في بلاد (فارس وأذربيجان) عندما نشأت إمارات تُركيّة عدَّة تحت حكم السلاجقة ، ولكن الدولة العثمانية قدر لها أن تستمر وتتوسع بعد انقراض تلك الدويلات التركية ، وأن تصبح امبراطورية مترامية الأطراف وأن تكون أطول دول الترك عمراً ، وأن تتولى قيادة العالم الإسلامي (أكثر من ستمائة عام) إذ عمرت حوالي (632) سنة من (1299 م) إلى سنة (1922 م) [2]

ولا توجد مصادر عثمانية بالإمكان الاحتكام إليها فيما يتعلق بأصل الشعب العثماني وأسرته الحاكمة أو تاريخه خلال الفترة الأولى للدولة ، فلم تكن للعثمانيين سِجلاَّت مكتوبة ولا معلومات يُعول عليها عند المؤرخين . هذا وإن التواريخ العثمانية التقليدية لم تشر إلا قليلا للعثمانيين قبل استقرار آل عثمان في الأناضول ، كما أنها تتجاهل تاريخ الأتراك بوجه عام قبل اعتناق الإسلام ، ورغم اختلاف الروايات الخاصة بأصل العثمانيين إلا أنها تلتقي جميعا عند إرجاع أصلهم إلى قبيلة (قاي) التي هي فرع من (الأتراك الأوغوز) أو (الغز أو التركمان) [3] " وتظل الفترة الأولى من تاريخ الدولة العثمانية وهى مرحلة الميلاد غامضة متناقضة متضاربة لا يمكن الاعتماد عليها من الناحية العلمية في أغلب الأحيان خاصة أن العثمانيين أنفسهم لم يكتبوا تاريخهم قبل فتح القسطنطينية سنة (1435)" [4]

---

[1] العثمانيون في التاريخ والحضارة . د محمد حرب . مرجع سابق . ص/ 13 – 14 : بتصرف

[2] سقوط الخلافة . محمد على الأحمد . دار الإسراء للنشر والتوزيع عمَّان الأردن ط 1 . 2007 م . ص : 21 – 22 . بتصرف

[3] في أصول التاريخ العثماني . أحمد عبد الرحيم مصطفى . دار الشرق. بيروت . ط 2 . 1986 م . ص/ 61-71 : بتصرف

[4] موجز التاريخ الإسلامي . محمد عبد الله عوده وآخرون . الأهلية للنشر والطباعة . لم يذكر رقم الطبعة ولا سنة النشر. ص / 152 – 153

وهذا سبب اختلاف الروايات التاريخية عند أغلب المؤرخين حول أصل العثمانيين وبداية تاريخهم ؛ فالغالبية منهم قد اعتمد على روايات شفوية ، أو كتابات لمستشرقين لا تخلو من الَّدس ، والكذب ، والتزوير، ومحاولة تشويه صورة أي دولة من دول الإسلام وتجاهل دورها في الحضارة الإنسانية ، وحتى وإن حدث هذا عندهم فإنهم يرون أن هذا التاريخ والمجد اشتق من حضارتهم الغربية وكل الحضارات ما هي إلا استنساخ لحضارتهم الأوروبية . ومن الجهة الأخرى حاول بعض الكُتَّاب المسلمين ، والذين حملتهم العاطفة للتحيز الكامل للدولة العثمانية ومحاولة تبرير الأخطاء التي وقع فيها بعض سلاطينها وخاصة المتأخرين منهم لم يُعرِّجوا على هذه الأخطاء أو حتى يحاولوا انتقادها.

دخول العثمانيين الإسلام :

تعددت الروايات التاريخية حول دخول العثمانيين للإسلام فبعضهم يُرَجِّحُ أن دخولهم الإسلام كان مبكراً قبل أن يهاجروا من موطنهم الأصلي ، والبعض يقول إنهم مسلمون أصلاً ، ويُرجِعُ سبب تسمية جدهم عثمان بهذا الاسم إلى أنَّ نسبهم يرجع إلى عثمان بن عفَّان – ﷺ – والبعض يقول : إنه في القرن (الثامن الميلادي) وعندما فتح العرب الذين حملوا رسالة الإسلام بلاد فارس (إيران) تقدموا وفتحوا الأراضي الواقعة بين نهري (سيحون وجيحون) وحدث إثر ذلك الاحتكاك المباشر بينهم وبين شعوب آسيا الداخلية ، ووقع الأتراك تحت تأثيرهم بالرغم من أن المسلمين لم يخضعوهم تماما ، وبمرور الأيام اعتنقت شعوب هذه المنطقة الإسلام ومن بينهم العثمانيون . [1]

وتعددت الروايات حول إسلامهم ، ولا شك أن وجودهم في وسط إسلامي ، بين سلاجقة الروم كان أكبر عامل في اعتناقهم الدين الإسلامي ، فكانت عملية إسلامهم سهلة، وتمت دون أن يثار حولها ضجة ، وكان لاعتناقهم الإسلام أثرٌ كبير ، فقد جمع شمل العناصر المتفرقة في شبه جزيرة آسيا الصغرى تحت راية واحدة يتحمسون لها . [2]

---

[1] استنبول حضارة الخلافة الإسلامية . برنارد لويس . ترجمة : سيد رضوان على . الدار السعودية للنشر والتوزيع . ط 2 . 1982 م . ص / 27 بتصرف

[2] موجز التاريخ الإسلامي . محمد عبد الله عوده و آخرين . مرجع سابق . ص / 156 . بتصرف

ومن هنا فقد تحدد الإسلام عقيدة دينية رسمية للأتراك العثمانيين من عهد الأمير (عثمان)* الذي سار في حكمه على هُدىً وإيمان عميق ، وبساطة في الدين ، وكان متحمسا لعقيدته الدينية ، فأخضع حُكْمَهُ لمشورة الفقهاء المسلمين ، وكانت العدالة أبرز ماتميز تصرفاته في عصر امتلأ بالظلم والعنف حتى أحبته الرعية وانصاعت لأمره لما رأوه منه من طيبة وإخلاص .

" وكان للإسلام أثر كبير في مستقبل العثمانيين ، إذ هيأ لهم وحدة العقيدة وعبأهم بشعور ديني دافق جعلهم متحمسين للإسلام مدافعين عنه " [1]

وقد سارت الدولة العثمانية حتى عصور متأخرة من عمرها، على هَدْي الإسلام ونوره فقد دافعت عنه ، وحاربت باسمه ، وأوصلته إلى أعماق أوروبا ، مِمَّا جعل أوروبا الكافرة تبحث عن أي طريق لتهدم به هذه الدولة ، وتزيلها من على الأرض ، لاَ كُرْهًا في الأتراك وإنما هو الحقد على الإسلام .

أسماء الدولـة العثمانية :

عرفت الدولة العثمانية في التاريخ بعدة أسماء من أهمها :

الدولة العلية حيث أطلق هذا الإسم عليهم في العصور الأولى ، فقد كانوا يسمونها (دولت عليه) أي الدولة العلية ، ثم أطلقوا عليها (سلطنة سنية) أي السلطة السنية، كما أطلق عليها بعد اتساع ممتلكاتها في أوروبا وأسيا وأفريقيا (إمبراطور لق عثماني) أي الإمبراطورية العثمانية وعرفت أيضاً باسم (دولت عثمانـلي) أي الدولة العثمانية [2] . كذلك سُمِّيت باسم " الدولة العلية المحمدية ؛ فالكثير من القوانين التي كانت تصدر عن

---

* هو أول السلاطين الذين تولوا إمارة الدولة العثمانية بعد وفاة والده (ارطغرل) عام 1258 م وأصبحت العشيرة في عهده تنحى منحى الدولة من إدارة وتنظيم حتى أعلن استقلالها نهائيا عن دولة السلاجقة بعد أن كانت تابعة لها وجعل من مدينة اسكي شهر عاصمة لدولته ، وعمل على تطبيق الشريعة الإسلامية وتقريب العلماء والاهتمام بشؤون الرعية . استشهد رحمه الله في ساحة المعركة بعد أن طعنه جندي من الصرب متظاهرا بتقبيل يده عام 729 هـ . ينظر سقوط الخلافة . محمد على الأحمد . ص / 36 : بتصرف

[1] الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث . إسماعيل ياغي . مكتبة العبيكان السعودية . ط 2 . 1998 م . ص / 13 – 14

[2] الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها . عبد العزيز الشناوي . مطبعة جامعة القاهرة . 1980 م . مج 1 / ص 11

الدولة العثمانية ، كانت تصدر باسم الدولة العلية المحمدية ، تيمنا باسم النبي الكريم – ﷺ– وتأكيداً للهوية الإسلامية للدولة " [1]

ولكن الاسم الذي ذاع واشتهر هو(الدولة العثمانية) أو دولة (الأتراك العثمانيون) .

[1] **جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك . زياد أبو غنيمة . دار الفرقان . ط 1 . 1983 م . ص / 25**

المبحث الثاني : مراحل الدولة العثمانية وأهم خصائصها

أولا المراحل التي مرت بها الدولة العثمانية :

إن المتتبع لتاريخ الدولة العثمانية يمكن أن يقسم تاريخها إلى ثلاث مراحل مهمة ارتبطت كل مرحلة بمجموعة من الخصائص التي ميزتها عن غيرها من حيث القوة والضعف والتأسيس والبناء وغير ذلك ، وهي كالتالي :

1 . مرحلة النشأة والتكوين (1232 – 1326م)

تبدأ هذه المرحلة من بداية تحرك العثمانيين من موطنهم الأصلي في منطقة ما وراء النهر باتجاه آسيا الصغرى ، واستيطانهم في حدود مملكة السلطان السلجوقي (علاء الدين الأول) سلطان دولة السلاجقة ، الذي منحهم حكما ذاتيا لوقوفهم معه ضد أعدائه ، وبعد انقراض دولة السلاجقة على يد المغول ، توسعت هذه الإمارة ، وأصبحت دولة مترامية الأطراف ، موزعة بين قارات العالم الثلاث (آسيا ، وأفريقيا ، وأوروبا) التي ظلت تغطيها بأجنحتها ما يزيد عن ستة قرون .

وأهم سلاطين هذه الفترة هو السلطان (أرطغرل بن كوندوز ألب) • والسلطان (عثمان بن أرطغرل) .

وممَّا ينبغي ذكره : أن الفترة الأولى من تاريخ هذه الدولة تحيط به الأساطير والخرافات . فمن المعروف أن أيِّ إمارة تمتد لتصبح دولة كبيرة ، فإنَّ هذا كفيل بأن يُضفي عليها الكثير من الصفات ، والأعمال المبالغ فيها .[1]

والمشهور عند أغلب المؤرخين أن الدولة العثمانية قد حاول سلاطينها الأوائل أن يقيموها على أساس متين قوامه الحق والعدل والالتزام بشريعة الله تعالى .

• هو السلطان ارطغرل بن السلطان سليمان شاه تولى رئاسة العشيرة بعد وفاة والده ، ووقف إلى جانب السلطان السلجوقي علاء الدين في حروبه فكافئه بقطعة أرض لنقيم عليها عشيرته التي صارت دولة فيما بعد . توفي عام 680 هـ . وتولى الحكم بعده ابنه عثمان الذي تأسست الدولة على يديه . ينظر تاريخ سلاطين بني عثمان . عزتلو يوسف بك آصف . مؤسسة هنداوي بالقاهرة . ط1 . 2012 م . ص / 32 : بتصرف

[1] تاريخ الشعوب الإسلامية . عبد العزيز سليمان نوار . دار الفكر العربي . القاهرة لم يذكر رقم الطبعة ولاسنة النشر . ص/ 34 : بتصرف

2 . مرحلة القوة والتوسع (1327 – 1566 م)

وتبدأ هذه الفترة من تولي السلطان (أورخان بن عثمان) • الحكم ، وتميزت بأنها كانت ذروة أمجاد الدولة العثمانية ، حيث كانت في عنفوان قوتها ، وشبابها ، متجهة إلى التوسع والامتداد فكانت لا يمر بها الهلال بل حتى اليوم أحيانا إلا وقد ضَمَّت أرضاً جديدة إلى رقعة الإسلام ، واستمرت في تكوين الجيوش القوية التي ارتعد منها الأعداء لتنطلق حركة الفتوحات الإسلامية في أوروبا، وآسيا ، وإفريقيا ، فتمكن العثمانيون من فتح العاصمة البيزنطية (القسطنطينية سنة 1453 م) واتخذوها عاصمة لهم ، كما وصلوا بالإسلام إلى دواخل أوروبا ، وغربها كبلاد المجر، واليونان ، ويوغسلافيا ، وألبانيا، وغيرها، كما حرروا جل أراضي المسلمين ، حيث انتزعوا العراق من الصفويين، وأنقذوا الشمال الأفريقي من هجمات الأسبان والبرتغاليين وغيرهم ، وبرزوا في كل المجالات ، وارتقت الدولة على كافة الأصعدة سواء العلمية ، أو الاقتصادية ، أو الحربية، أو الاجتماعية ، وصارت أقوى دولة على وجه الأرض في ذلك الزمان ، بلا منازع ، ومن أهم سلاطين هذه الفترة الذين برز ذكرهم : السلطان (أورخان . ت 1360 م) والسلطان (سليمان القانوني . ت 974 هـ) والسلطان (محمد الفاتح . ت 1481 م) وغيرهم ممن عرفوا بالسلاطين الكبار أو السلاطين العظام ، والذين كان لهم الفضل في بناء هذه الدولة والرقي بها ، ونشر الإسلام في الكثير من بقاع الأرض .

• هو السلطان أورخان بن عثمان تولى السلطة بعد وفاة والده عام 1327 م بعد أن أوصى له بها شارك في العديد من الغزوات وهو في سن الشباب ، وتمكن من توسيع رقعة الإمارة التي تركها له والده أضعاف عديدة خلال مدة حكمه التي استمرت ثلاثين سنة فهو أول من قاد حربا ضد الإمبراطورية البيزنطية من السلاطين العثمانيين ، ويعد أول من فتح طريق الفتوحات تجاه الغرب ، بمحاولته فتح القسطنطينية ، كما أنه أول من أسس جيشاً منظماً من المسلمين الجدد أو ما يسمى بالإنكشارية ، وقد كان متدينا يحب الفقراء والمجاهدين . توفي عام (1360 م) ودفن في مدينة بورصة . ينظر الدولة العثمانية عوامل النهضة وأسباب السقوط على محمد الصلابي . مرجع سابق . ص / 51 – 52 : بتصرف

3 . مرحلة الارتخاء والسقوط (1566 – 1924 م)

من خلال تتبع الأحداث التاريخية نستنتج أن هذه المرحلة بدأت من عهد السلطان سليم بن سليمان المشهور بـ (سليم الثاني) • سنة (974 هـ) واستمرت إلى سقوط الدولة وإلغاء الخلافة الإسلامية ، وهي المرحلة التي بدأ فيها سريان الداء إلى جوف الدولة ، حيث بدأت بوادر الصراعات تطفو على السطح ، وظهرت الانقسامات ، وأصبحت الدولة في حالة الدفاع بدلاً من الهجوم ، وبدأ نجمها في الأفول ، وتوالت عليها الهزائم ، وحالات التمرد الداخلي ، مع ضعف عام أصاب كل قطاعات الدولة بالشلل ، وغرقت في الديون بسبب ترف السلاطين والوزراء ، والفساد الذي كان منتشرا في أغلب مرافق الدولة ، وكثر بداخلها الجواسيس الذين كان بعضهم على شكل سفراء ووفود ، وبعضهم على شكل تجار، والآخر على شكل أطباء وأصبح العملاء والخونة يشكلون مِعولاً للهدم فيها ، وظهرت دعوات التغريب والانبهار بالغرب ، خاصة مع ظهور المؤسسات المشبوهة ، والتي كانت برعاية الصهيونية العالمية وأُثقِل الناس بالضرائب ، ووصلت الدولة إلى مرحلة الانهيار في أواخر أيامها ، وبتولى السلطان (عبد الحميد) • الحكم حاول أن ينقذ ما تبقى من رفات ، ولكن دون جدوى ، وانتهت الدولة العثمانية ، التي كانت حاضنةً للمسلمين ما يقرب من ستة قرون .

• هو السلطان سليم بن السلطان سليمان تولى الحكم حوالي عام 974 هـ وهو يبلغ من العمر أربعة وأربعين سنة ، ولم يكن مؤهلا لحفظ الفتوحات التي حققها والده وأجداده وخسر المسلمون في عهده معركة (ليبانتو) التي تعد من أكبر المعارك البحرية والتي قتل فيها ما يقرب من ثلاثين ألف مسلم ، وخسروا أكثر من 200 سفينة حربية ، وانتهت باحتلال الأسبان لأنحاء متفرقة من تونس التي كانت تابعة للدولة العثمانية في ذلك الوقت . ينظر تاريخ سلاطين بني عثمان . عزتلو يوسف آصاف . مرجع سابق. ص / 69 – 70 . بتصرف

• هو السلطان عبد الحميد بن عبد العزيز تولى السلطة سنة (1876 م) والأزمات تحيط بالدولة من كل جهة ومن أهم أعماله تخفيض ديون الدولة من ثلاث مائة مليون ليرة إلى ثلاثين ليرة ، كما قام ببناء مساكن للمهجرين المسلمين الذين طردهم الأوروبيون من مناطق البلقان وغيرها التي تمت السيطرة عليها من قبلهم ، كما قام بإدخال المخترعات الحديثة إلى دولته كوسائل الاتصال ، والغواصات والسيارات وإنشاء خط سكة حديد الحجاز وغير ذلك ، كما أمر بحضر بيع الأراضي الفلسطينية لليهود . ينظر السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار . محمد حرب . دار القلم دمشق . ط 1 . 1990 م . ص / 33 – 53 : بتصرف

ثانياً : الخصائص العامـة للدولـة العثمانية

إن كل دولة أو أمة تستمد خصائصها من عقيدتها ، فإن كانت مؤمنة استمدت خصائصها من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، وإن كانت كافرة استمدت خصائصها من عقيدتها الكافرة ، وإن كانت علمانية أزاحت الدين جانبا ، واستمدت خصائصها من الفكر اللاَّديني الذي لا يؤمن بالدين ، والدولة العثمانية باعتبارها ذات دين إسلامي، تؤمن به عقيدة وشريعة تسير بها في حياتها ، فإنها استمدت خصائصها من الإسلام ، وتمَّيزت به عن غيرها من الدول بمجموعة من الخصائص من أهمها :

1. دولة إسلامية :

أي أنها ذات طابع ديني إسلامي " فلقد كان دين الدولة الإسلام، وهي سُنِّية العقيدة حنفية المذهب ، وكانت للمذاهب السُّنِّية الأخرى مكانتها ، فقد كان لكل مذهب مُفتٍ خاص به، وغير السُّني لا يصبح موظفا مُهِمًّا ولا تُعطى له أي وظيفة في المركز(استانبول) وتُسمِّي الدولة العثمانية المسيحيين الذين ليسوا من أتباعها ، كفارا " [1] كما كان العثمانيون ينظرون إلى أنفسهم على أنهم مسلمون قبل كل شيء ، فكان ولاؤُهم يتجه إلى الدين الإسلامي أولاً ، ثم إلى السلطان ثانياً ، ثم إلى الدولة ثالثاً ... وسار في هذا الاتجاه الجيش ، والقُضاة ، والمُفْتُون ، ومن أيَّدَهم من رجال الهيئة الإسلامية الحاكمة، وأسهموا في غرس بذور الإسلام في الأقاليم المفتوحة ، مِمَّا ساعد على نشر الإسلام في أوروبا ، وبذلك اقترنت حركة الفتوحات الإسلامية العثمانية بنشر الإسلام وعدَّت أغلب المدن التي فتحتها الدولة العثمانية مدنا إسلامية ، وتنافس السلاطين ، والوزراء ، وكبار القوم على إقامة المساجد الرائعة ، والمعاهد ، والمدارس ، والكتاتيب لتحفيظ القران الكريم ، وأوقفوا الكثير من الأوقاف الدَّارَّة للإنفاق من ريعها على المؤسسات الدينية والخيرية ..

---

[1] تاريخ الدولة العثمانية .أشكيب ارسلان . تحقيق . حسن السماحي سويدان . دار ابن كثير . دمشق . ط 1 . 2001 م . ص : 263 – 264 : بتصرف

ولقد اتسمت تشريعات الدولة وجُل تصرفاتها بخضوعها للدين الإسلامي، منطلقة من أحكام القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ، فلقد كان للهيئة الإسلامية في الدولة وضع معترف به ، وكان يطلق على رئيسها المفتي ، ومن مظاهر اهتمام الدولة بالإسلام عدم قبول النصارى في الجيش ، وإعفاء طلبة العلم الشرعي من الجندية الإلزامية [1] . كما كان يطلق على حاكم الدولة أو سلطانها اسم : حاكم الإسلام ، وعلى جيوشها جيوش الإسلام ، وقوانينها قوانين الإسلام ، والتي كان من واجب السلطان أن يتمسك بها ويقوم بتطبيقها ، وكان العلماء هم القضاة ، فقد عيَّن السلطان (مراد الأول . 726 هـ) رئيساً لأول مرة ، وَمنحه لقب قاضي العسكر (أي قاضي الجيش) وعُيِّن آخر مثله من قبل السلطان (محمد الفاتح) • وأصبح مفتي مدينة (استنبول) الأكبر يعرف بشيخ الإسلام وله من السلطة والنفوذ ما جعله في الرتبة بعد الوزير الأعظم مباشرة ، وكان يشرف على عدد ضخم من القضاة ، والمفتين ، وكانت تحت سلطته أيضا الجوامع ، والمساجد ، والمدارس والمدرسين . [2] وكان يسمَّى في المراحل الأولى للدولة باسم (المفتي) أو (خواجة أفندي) [3]

كذلك من دلالات الدولة الإسلامية : اهتمام العثمانيين بلغة القرآن الكريم (اللغة العربية) ويرجع هذا الاهتمام إلى عهد عثمان المؤسس الأول للدولة الذي أحاط نفسه بالعلماء والمشائخ الذين كانوا يحفظون القرآن الكريم ، وكانت اللغة العربية تستخدم في

---

[1] الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها . عبد العزيز الشناوي . مرجع سابق . ص / 10 – 11 . بتصرف

• هو السلطان محمد الثاني الملقب بالفاتح ابن السلطان مراد الثاني تولى الحكم بعد وفاة أبيه سنة (1451 م) كان من أقوى الشخصيات العثمانية . انصرف عن حياة الترف والمجون وعاش مخلصا لدينه ودولته . في عهده فتحت القسطنطينية وألبانيا وبلاد البوسنة والصرب والقرم وغيرها. صار الأوروبيون يحسبون له ولدولته الحسابات مما دفع بعضهم لعقد الاتفاقيات والمصالحات معه كما فعل أهل البندقية في إيطاليا فتح القسطنطينية وحولها إلى عاصمة للدولة العثمانية وجعل من كنيستها مسجدا للمسلمين . ينظر دراسات في التاريخ والحضارة . محمود محمد زيادة . دار التأليف مصر . 1969 م . لم يذكر رقم الطبعة . ص / 16 . تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها . محمود السيد . مؤسسة شباب الجامعة للنشر . لم يذكر رقم الطبعة ولا عددها . ص / 29

[2] استنبول حضارة الخلافة الإسلامية . برنارد لويس . مرجع سابق ص / 179 – 180 : بتصرف

[3] الدولة العثمانية المجهولة . أحمد آق كندز . سعيد اوزترك . ماس للطباعة والتجليد استانبول . لم يذكر رقم الطبعة : 2008 م ص / 580

الكتابات المدونة على جدران المنازل ، والمساجد ، والمقابر ، وكانت المصنفات الخاصة بالشريعة الإسلامية ، وعلوم الدين تُدَوَّن بالعربية ، كما كانت أشعارهم في أوزانها وقوافيها أقرب ما تكون إلى الشعر العربي . [1]

وكانت الدولة العثمانية حريصة على تطبيق مبادئ الشريعة تطبيقا صارما من ناحية والمحافظة على التقاليد الإسلامية من ناحية أخرى فلم تكن تسمح لأحد بانتهاك حرمة شهر رمضان سواء أكان مسلما أم غير مسلم ، كذلك التسمية الإسلامية التي أطلقها السلطان (محمد الفاتح) على القسطنطينية عقب استيلائه عليها في 29 مايو(1453 م) فقد استبدل بهذا الاسم اسماً جديدا هو (اسلام بول) وهي كلمة تركية معناها (دار الإسلام) ثم حرف إلى (استانبول) .

كذلك احتضان الدولة العثمانية لحركة (الجامعة الإسلامية) في القرن التاسع عشر الميلادي والتي كانت تدعو إلى وحدة الصف الإسلامي ، والوقوف كالبنيان المرصوص الذي يشد بعضه بعضا حول الدولة العثمانية بصفتها أكبر دولة إسلامية في العالم في ذلك الوقت ضد الأطماع والمكائد الصليبية التي كانت تحاك ضد المسلمين [2] ، وقد حوَّلت الدولة العثمانية الكثير من الكنائس إلى مساجد ، كما فعل السلطان (محمد الفاتح) من تحويل كنيسة آيا صوفيا إلى مسجد ، وصلَّى بها صلاة الجمعة .[3] ومن وصايا السلطان (عثمان) المؤسس الأول للدولة لأحد أبنائه : يا بني لسنا من هؤلاء الذين يقيمون الحروب لشهوة حكم ، أو سيطرة أفراد ، فنحن بالإسلام نحيا ، وللإسلام نموت ، وهذا يا ولدي ما أنت له . ومن وصايا محمد الفاتح لابنه ... واعمل على نشر الدين الإسلامي ، فإن هذا هو واجبك.. ، قدم الاهتمام بأمر الدين على كل شيء ...[4]

ومن هنا كانت الدولة العثمانية دولة إسلامية بكل المقاييس : فأسرة آل عثمان التي كانت أكبر عائلة إسلامية عرفها التاريخ في ذلك الوقت ، دافعت عن الإسلام دفاعاً قوياً ،

---

[1] الإسلام و تركيا العلمانية . هدى درويش. دار الأفاق العربية . مصر . ط 1 . 1988 م . ص / 474 : بتصرف .

[2] الدولة العثمانية دولة مفترى عليها . عبد العزيز الشناوي . مرجع سابق . مج 1 / 54 – 71 : بتصرف

[3] أثر الدولة العثمانية في نشر الإسلام في أوروبا . رسالة دكتوراة إعداد فائقة محمد بحري . إشراف : يوسف على الثقفي . جامعة أم القرى . 1989 م . ص / 86 : بتصرف

[4] العثمانيون في التاريخ والحضارة . محمد حرب . دار القلم دمشق . ط 2 . 1999 م . ص / 16 : بتصرف

وزادوا في رقعته ، وفي عدد معتنقيه ، فقد كانت هذه الأسرة منذ بداية قيامها وحتى قبيل سقوطها بقليل أدوات متفرغة لمناصرة سلطة الإسلام ، وعقيدته متأهبة للدفاع عنه ، وظلت متماسكة تدفع عن العالم الإسلامي عادية الاستعمار الغربي مئات السنين ، حتى في الوقت الذي بدأت أعراض المرض والوهن تدب فيها .[1]

2 . دولة جهاد وفتوحات :

الدولة المسلمة صاحبة العزة والكرامة ، تتميز بأنها دولة مجاهدة ، ذات فتوحات إسلامية لأنها تعلم أن الجهاد في سبيل الله عزها وقوتها ومجدها ، وسبب في ترهيب الأعداء من النيل منها والاقتراب من حرماتها ومقدساتها ، كذلك تعلم أن لها دوراً في الحياة هو نشر دين الله تعالى لأنها دولة عالمية ، ليست خاصة بمدينة معينة ، أو شعب خاص ، بل هي وريثة لأمانة تبليغ الإسلام إلى أقاصي الأرض . تحقيقا لقول الله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [2] وإذا نظرنا إلى هذه الدولة وجدنا أنها دولة جهادية تأسست على الجهاد ، بل يعتبر الجهاد أحد أسباب قوتها ونجاحها ، ويكفي في هذا أنها فتحت القسطنطينية . وتقدمت في أوروبا حتى وصلت النمسا ، وحاصرتها أكثر من مرة .[3] فمنذ بداية الدولة ووقوفها مع السلطان السلجوقي المسلم ضد أعدائه ، استطاع الأمير عثمان أن يحرز العديد من الانتصارات العسكرية ضد البيزنطيين مما جعل أبناء قبيلته يطلقون عليه لقب (الغازي) أي المجاهد في سبيل الله ، وتوالت الفتوحات بعد ذلك على أيدي سلاطينها وخاصة السلاطين الأوائل فبمجرد عبورهم إلى أوروبا وبعد سنوات قلائل اتخذوا (أدرنة) عاصمة لهم ، وفي عهد بايزيد امتدت ممتلكاتهم من بحر إيجة إلى نهر الطونة ، مشتملة على جميع أجزاء بلغاريا ومقدونيا ... ثم سار السلطان (مراد الثاني ت 855 هـ) بعد توليه للسلطة بفتوحاته حتى وصل إلى الإدرياتيك ، وأصبح السلطان محمد الثاني بعد فتح القسطنطينية ، وألبانيا ،

---

[1] كيف سقطت الدولة العثمانية . سليمان الخرشي . دار القاسم . السعودية . ط 1 . 1420 هـ . ص / 12 . بتصرف

[2] سورة سبأ ، الآية : 28

[3] موجز التاريخ الإسلامي . أحمد معمور العسيري . مكتبة الملك فهد بالدمام . السعودية . ط 1 . 1996 م . ص / 314 : بتصرف

والبوسنة ، والصرب سيّد شبه الجزيرة الجنوبية الشرقية لأوروبا ... ثم أضاف سليمان الثاني إلى ملكه بلاد المجر ، وجعل من بحر إيجة بحرا عثمانيا .[1]

ومن هذا المنطلق أخذت هذه الدولة على عاتقها حماية العالم الإسلامي ، وتولت قيادة الجهاد ، وأصبحت المتنفس الوحيد للجهاد ، فجاءها كل راغب فيه واجتذبت المتحمسين لنصرة الإسلام من مجاهدين وعلماء ودعاة فتمكنت بذلك من رد الصليبيين وغيرهم من الأعداء ، وبهذه العاطفة المتأججة في نفوسهم الممتزجة بالروح العسكرية المتأصلة في كيانهم حملوا راية الإسلام ، وأقاموا أكبر دولة إسلامية عرفها التاريخ في القرون المتأخرة ، امتدت على ثلاث قارات هي آسيا ، وأفريقيا ، وأوروبا ، ويتساءل المؤرخون كيف تمكن الأتراك العثمانيون أن يحرزوا هذه الانتصارات وتأتي الإجابة على ألسنتهم : بأنَّ نصرهم لم يكن بالإمكان تحقيقه لولا عظمة الإسلام ، وما غرسه في قلوبهم من حب عميق للقتال في سبيل الله والرغبة الصادقة في نشر رسالة الإسلام، ولقد تكونت في أنحاء الأناضول جمعيات الأخوة الإسلامية ، تدعوا للجهاد في سبيل الله ، وتتعاون من أجل إعداد المجاهدين لإعلاء كلمة الحق ، وكان شعارها الدائم . فَضِّل أخاك على نفسك [2] والحُق أن العثمانيين في تلك الفترة عرفوا كيف يستجلبون النصر واكتشفوا السر الذي في الإسلام وهو القاعدة الجليلة التي ينبغي على كل دولة وشعب أن يتخذها شعاراً ومنطلقاً وهي قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [3] ولقد كانت العسكرية التركية تحركها عاطفة دينية هائلة ، أدهلت أوروبا وروعتها ، ومكنت رجلاً كالسلطان (سليمان القانوني)• أن يقود ستة عشر زحفاً داخل العالم النصراني حتى

---

[1] الدعوة إلى الإسلام . توماس . و . أرنو لد . ترجمة . حسن إبراهيم حسن . و آخرون . مكتبة النهضة المصرية . لم يذكر رقم الطبعة . 1971 م . ص/ 169 : بتصرف

[2] حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة. جميل عبد الله المصري . منشورات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة . لم يذكر رقم الطبعة . 1381 هـ . مج1 /96 – 97 : بتصرف

[3] سورة محمد ، الآية : 7

• هو السلطان سليمان بن السلطان سليم تولى الخلافة سنة 1520 م بعد وفاة أبيه ، وحكم الدولة العثمانية مدة ست وأربعين سنة وهي أطول مدة حكم فيها سلطان عثماني ، وكان عهده قمة العهود العثمانية سواء في الحركة الجهادية أو المعمارية أو العلمية . فقد فتح جزيرة رودس التي كانت حصنا حصينا لفرسان القديس يوحنا وتوغل في دواخل أوروبا حتى وصل إلى النمسا ، وصفه الغربيون بالسلطان العظيم وأطلق عليه العثمانيون لقب القانوني لأنه أنشأ القوانين أو أمر بتبويبها على شكل مواد قانونية وتوفي سنة 1566 . ينظر الدولة العثمانية المجهولة . أحمد آق كندز . سعيد اوزترك . مرجع سابق. ص / 240

وصل إلى (فيينَّا) عاصمة النمسا ... لقد نسي الأوروبيون العرب ، وفتوحهم الأول ورأوا أنفسهم وجهاً لوجه أمام خصم شديد المراس ، قوي الشكيمة .

ويجزم المؤرخون المنصفون بأن ظهور الخلافة التركية هو الذي جمَّد الزحف الصليبي وحمى فلسطين ، والشرق الأوسط من حملات أخرى لمحو العروبة والإسلام . [1]

وكانت أوروبا كلها ترتعد منهم فرقا ، ويدخل ملوكها الكبار في ذمة ملوكهم ، ويمسك أهل الديار عن قرع أجراس كنائسهم احتراما للترك إذا نزلوا بها ، وأمر البابا أن يحتفل بموته وتقام صلوات الشكر مدة ثلاثة أيام لما أتاه نعي محمد الفاتح [2] لما أدخله محمد الفاتح – رحمه الله – من رعب في قلوبهم ، وخاصة بعد فتحه (للقسطنطينية) التي ما برحت الحملات الإسلامية تتوالى عليها فقد : بدأت هذه الحملات من خلافة أمير المؤمنين معاوية رضي الله عنه ، وقد استشهد الصحابي أبو أيوب الأنصاري – ﷺ– في إحدى المعارك هناك ، وفي عهد الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك عاود المسلمون المحاولة بإرسال حملات ضخمة برية ، وبحرية ، لفتح هذه المدينة ، ولكنهم لم يتمكنوا منها ، وفي عهد الدولة العثمانية حاصرها السلطان (بايزيد الأول) ثم اضطر لرفع الحصار عنها حين ظهر الخطر المغولي ، وحاصرها السلطان (مراد الثاني) ولم يتمكن منها لضعف الأسطول العثماني في تلك الفترة ، ثم جاء النصر المؤزر من عند الله – ﷻ – ففتحت على يد السلطان (محمد الفاتح) الذي أعد العدة واستوفى شروط النصر.[3] والملاحظ أن المسلمين كانوا يعرفون أهمية هذه المدينة ، وأنهم بفتحها يستطيعون أن يوصلوا الإسلام إلى قلب أوروبا ، وأن فتح هذه المدينة هو الضربة القاضية للإمبراطورية المسيحية ، وحتى إن تعافت منها فإنها تحتاج إلى سنوات لتلم شملها ، وتجمع تفرقها ، فهذه المدينة كانت كالرأس لجسد الدول الأوروبية لأنها كانت يُحاك بداخلها كل مكر وسوء للإسلام ، كما كان لها نوع من القداسة عند الأوروبيين ؛ لأنها مكان تواجد البابا الذي يمتلك السلطة العليا على جميع المسيحيين .

---

[1] الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر . محمد الغزالي . مكتبة وهبة . مصر . ط 3 . 1990 م . ص/ 50 – 51

[2] ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين . أبو الحسن على الندوي . دار القلم . دمشق . ط 3 . 2004 م . ص / 161

[3] التاريخ العثماني تفسير جديد . جمال الدين فالح الكيلاني . لم تذكر دار النشر ولا رقم الطبعة وسنة النشر . ص / 22 – 23 : بتصرف

3. دولة عدالة وتسامح :

الدولة القوية هي التي تتمتع بالعدل والتسامح ، ولا تتصف بالظلم والجور ، والدولة العثمانية طبقت العدل في جُل مراحلها على رعيتها المسلمين وغير المسلمين ، واتسمت بالتسامح مع غير المسلمين ؛ لأن دينها يأمرها بذلك ، وهي تنطلق من خلال تعاليمه وتشريعاته ، ومن النماذج العملية التي تدل على تسامح الدولة العثمانية مع أصحاب الأديان الأخرى ما يرويه لنا التاريخ من مواقف منها : أنه عند دخول السلطان محمد الفاتح (للقسطنطينية) سار على ظهر جواده إلى الكنيسة حيث تجمع الشعب البيزنطي ورهبانه ، وما أن علموا بوصول السلطان محمد الفاتح حتى خروا له سجداً ، راكعين بين أنين وبكاء وعويل ... فنزل من على ظهر حصانه وصلى صلاة الشكر لله على توفيقه له بالفتح ، ثم سار يقصد شعب بيزنطة ، ولما وجدهم على هذه الحالة من السجود انزعج وتوجه إلى رهبانهم ، قائلا : قفوا ، استقيموا فأنا السلطان محمد ، أقول لكم ولجميع إخوانكم ولكل الموجودين هنا إنكم منذ اليوم في أمان في حياتكم وحرياتكم " [1] وهذه رهبة الحاكم المسلم الذي اتخذ العدل والتسامح شعاراً له ، الكل يتمنى له الرضا ، والكل يعظمه ، ولا يستطيع أن يمس دولته وشعبه بسوء ؛ لأنه يعلم عاقبة أمره ، وفي المقابل لا يظلم أصحاب الديانات الأخرى ، لأنه يعلم أن لهم حقوقاً فيعطيهم تلك الحقوق

ومن عدالة الدولة العثمانية أنها تركت الكنيسة تمارس صلاحياتها مع أتباعها فهذا : رئيس الكنيسة يتمتع بسلطة أهلية واسعة ، فكان من عمل البطركية أن يفصل في القضايا التي تتعلق بالإغريق بعضهم مع بعض : وكان للكنيسة أن تفرض الغرامات ، وتسجن المجرمين ، بل كان لها أن تحكم بالإعدام في بعض الأحيان ، وكان من آثار ذلك أن الإغريق لما رأوا التسامح الديني عند العثمانيين وما تمتعوا به من حماية لحياتهم وأموالهم؛ جعلهم يقدمون على تغيير سادتهم ، وإيثار سيادة السلطان العثماني على أي سيادة مسيحية ، ولهذا كان العثمانيون يلقون ترحيباً كبيراً في العديد من المدن ، ويعدونهم

---

[1] العثمانيون في التاريخ و الحضارة . محمد حرب . مرجع سابق . ص / 52

مخلصين لهم ، ومنقذين من الحكم المستبد الذي كانت تمارسه الكنيسة عليهم . [1]
ومن المعروف أن السلاطين العثمانيين ، وعلى رأسهم السلطان أورخان غازي ، كانوا جميعا يعاملون العناصر والجماعات غير المسلمة بعدالة إلى أقصى الحدود ، وخاصة بعد إلحاق مدينة بورصة بالدولة العثمانية ، وقد كان اليهود وغيرهم من المسيحيين كالأرمن ، والروم ، يعيشون جنبا إلى جنب مع المسلمين أو في مناطق ، وأحياء مخصصة لهم ، فيما كان اليهود يواجهون المشاكل والطرد ، والمضايقات أيام الدولة البيزنطية ، وذلك عند نفيهم من الأندلس سنة (1492 م) لم يجدوا من يستقبلهم إلا الدولة العثمانية ، بعد أن رفضتهم أغلب البلدان التي لجأوا إليها ، بل وصل من تسامح الدولة العثمانية وعدالتها أن مكنت غير المسلمين من العمل في الوظائف الإدارية وخاصة الشئون المالية ، وكان لغير المسلمين كافة الحقوق الشخصية كالمسلمين تماما ، فيما عدا بعض الجزئيات مثل : منع دخول الحجاز لغير المسلمين ، وذلك لأن الله تعالى منع في كتابه الكريم الكفار من دخول المسجد الحرام لأنهم نجس وهذا مكان طهر وتوحيد . [2]

بل وصل تسامح المسلمين العثمانيين حتى مع المباني الأثرية وبقايا حضارات الشعوب : فعندما زار السلطان محمد الفاتح العاصمة اليونانية (أثينا) بعد سنتين من فتحها لم يمس حضارتها بسوء ، بخلاف البنادقة عندما دخلوها بقيادة زعيمهم (مورسيني) دمروا بمدافعهم كثيراً من الآثار والمباني التاريخية . [3]

ومن المواقف التي تبين عدالة هذه الدولة ما ذكر من أن : السلطان سليم أراد حمل النصارى الذين في البلاد على الإسلام جميعا أو الخروج من البلاد ، فعارضه العلماء، وقالوا له : إنه لا يحل ذلك ، وليس لنا إلا أن نأخذ منهم الجزية .[4] فامتثل للأمر وتركهم في حال سبيلهم خوفا من الله – ﷻ – واحتراماً لأراء العلماء .

---

[1] الدعوة إلى الإسلام . توماس أرنولد ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرون . مرجع سابق . ص / 171 – 172 : بتصرف

[2] موقف الدولة العثمانية و نظرتها المتسامحة تجاه منتسبي الأديان السماوية والمذاهب المختلفة . محمد كور ماز . منشور على الشبكة العالمية الانترنت : ص / 4 – 7 . بتصرف

[3] السلطان محمد الفاتح بطل الفتح الإسلامي في أوروبا الشرقية . سيد رضوان على . الدار السعودية للنشر . لم يذكر رقم الطبعة ولا سنة النشر . ص / 44 : بتصرف

[4] تاريخ الدولة العثمانية . أشكيب ارسلان . مرجع سابق . ص / 138 : بتصرف

هذا هو الإسلام الذي نُعت بالإرهاب ، وهذه هي أخلاق أهله ، فغير المسلمين لم يعيشوا في أمن وحرية إلا في أرض الإسلام وتحت عدالة حكامه الأبطال ، فأي تسامح بعد هذا وأي إرهاب يحمله الإسلام ، فأين الإرهاب من قوم حافظوا حتى على الأحجار ؛ احتراماً لحضارات الشعوب ، ومواريثها التاريخية ، وليعقد أهل الغرب مناظرةً بين فتوحات المسلمين ، وبين بطشهم وحروبهم ، ثم ليحكموا على الإسلام ومعاملته للبشرية .

4 . دولة عالمية :

لقد انشغل العثمانيون منذ عام (1520 م) وحتى أواخر القرن السادس عشر ، بشؤون السياسة العالمية ، وببسط نفوذهم ، وتوطيد حكمهم في القارات الثلاث ، وكانت الدولة العثمانية قد استأنفت مرة أخرى في عهد سليمان القانوني ، (1520 – 1566م) سياستها القائمة على مبدأ الغزو والجهاد في سبيل الله ضد العالم الصليبي الغربي بقدرة وتفوُّقٍ منقطع النّظير، وذلك بعد أن اكتسبت قوة عظيمة ، بضمها لأملاك المماليك ، واعتراف العالم الإسلامي بها كقيادة سياسية ، ودينية جديدة ، ولقد كان لسقوط (بلغراد) في يد العثمانيين سنة (1521 م) تأثيرا عظيما في تمكينهم من السيطرة على أوروبا ، كما أن فتحهم لجزيرة (رودس 1522م) قد منحهم حرية الحركة في البحر الأبيض المتوسط ومن ناحية أخرى فقد كان هناك عدة عوامل خلقت جوا مناسبا لنمو الدولة العثمانية ، وأخذها شكل الدول العالمية ، وذلك علاوة على عوامل القوة في بنية الدولة نفسها ، وقيادتها ومدى التزامها بشرع الله ، وأهم هذه العوامل هو الصراع بين دول أوروبا فيما بينها ، كذلك سيطرة الدولة العثمانية على منطقة الشمال الإفريقي . [1]

كذلك مما يدل على عالمية الدولة اتخاذ سلاطين آل عثمان للقب الخلافة " فقد اتخذوا لقب خليفة شعارا لهم منذ القرن الثامن عشر الميلادي ، وزاد اهتمامهم به يوم أن كانوا في حاجة إلى توطيد سلطانهم في آسيا وإفريقية ، وإلى تقرير هيبتهم في أوروبا لأغراض

---

[1] دراسات في التاريخ العثماني . سيد محمد السيد . دار الصحوة القاهرة . ط 1 . 1996 م . ص / 79– 80. بتصرف

سياسية غايتها أن يكون لهم شيء من النفوذ الديني في العالم الإسلامي الذي كان كثير منه تحت سلطان الدول المسيحية " [1]

5. دولة عسكرية :

الدولة الإسلامية القوية هي التي تتمتع بالتقدم في شتى مجالات الحياة ، فلا تقتصر في تقدمها على جانب بعينه ، بل يمتد إلى الجانب السياسي ، والعلمي ، والاقتصادي ، والعسكري ، وغير ذلك من الجوانب ؛ لأنها تنطلق من شمولية الإسلام الذي يهتم بجوانب الحياة كلها وخاصة جانب القوة وإعداد العدة لملاقاة العدو وإرهابه ، قال تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ [2] وحتى العام (1700 م) كانت المدفعية العثمانية أقوى مدفعية في العالم ، فقد كان إعداد المدفعيين يتم بإعداد متين الجذور في عهد محمد الفاتح ، حيث كانت مصانع المدافع المتحركة تُنقل على (000 ، 12) جمل ، وتتحرك من استانبول حتى ألبانيا ، ثم تقف أمام المدينة التي يراد فتحها لتصب عليها حممها المتدفقة ، وأما مدافع الهاون فقد استخدمت لأول مرة في التاريخ في عهد الفاتح ، وكان السلطان سليم الأول أول من استخدم المدافع غير الثابتة الاتجاه ، والتي يمكن تحريكها بيسر .

وكان ذلك في أوائل القرن السادس عشر الميلادي . أما عن الأسطول العثماني فقد كان حتى عام(1868م) هو الأسطول الثالث في العالم قوة بعد الأسطول الإنجليزي والفرنسي.[3]

وكان الشعب العثماني مدرباً للحرب ، مِطواعاً للسَّلاطين ، نظر إلى الحرب على أنها واجبه الأول، واستأثر الجيش بالمكانة الأولى من عناية السلاطين ، وجعلت الدولة للجيش

---

[1] دراسات في التاريخ الإسلامي . محمد محمود زيادة . مرجع سابق . ص / 554 – 555

[2] سورة الأنفال ، الآية : 60

[3] العثمانيون في التاريخ و الحضارة . محمد حرب . مرجع سابق . ص/ 511. بتصرف

وظيفتين : الحرب والاشتراك في الحكم ، فهي تعتمد على الجيش وقت السلم كما هو عناية زمن الحرب . [1]

وقد يكون هذا الجانب أحد أسباب النصر والتمكين للدولة العثمانية ، فقد أخذت بالأسباب المتوفرة لديها ، فاستغلت الصناعات الحربية المتوفرة في ذلك الوقت ، وطورها رجالها وطوعوها في خدمة الدين ، والجهاد في سبيل الله . فالمدافع تعتبر في ذلك الوقت أحدث سلاح على وجه الأرض فلم تمنعهم صناعتها في الغرب من استغلالها، والاستفادة منها ، كذلك التدريب الراقي للجيوش ، والإعداد لها ، وتوفير المناخ المناسب، وغرس للروح القتالية العالية في نفوس جندها ، الذين كانوا على درجة عالية من التدريب، والقوة ، والانضباط ، وساعد على هذا أن الشعب التركي كان شعبا مقاتلاً بالفطرة، بالإضافة للحماسة الدينية التي كانت ملتهبة في الجند ، والتي زاد من جذوتها العلماء، والسلاطين فوجه الإسلام هذه القوة إلى مسارها الصحيح ، وزادهم قوةً إلى قوتهم ، ومكن لهم في الأرض بعد أن أخذوا بجميع أسباب النصر حتى دكُّوا عروش أوروبا التي بدأت تتهاوى أمامهم ، وتنهار .

---

[1] محاضرات في تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث . عمر عبد العزيز عمر. دار المعرفة الجامعية مصر . لم يذكر رقم الطبعة ولا سنة النشر . ص /34 : بتصرف

المبحث الثالث : دور الدولة العثمانية في نشر الإسلام :

منذ ظهور الدولة العثمانية كدولة مستقلة ، وهي آخذةٌ على عاتقها نشر الإسلام ، ولم تبرح عن هذا العهد إلا في أواخر أيامها ، فقد سعت إلى نشر الإسلام بكل الطرق والوسائل والتي من أهمها :

أ . حركة الجهاد والفتوحات :

جنَّدت الدولة العثمانية كل إمكانياتها المادية والمعنوية ، وأرسلت جيوشها لنشر الإسلام فقد اقترنت الفتوحات الإسلامية العثمانية سواء في الأناضول أو غيرها بنشر الإسلام ، وقد انتشر الإسلام سريعاً، وواسعا في بعض الأقاليم ، وانتشر انتشاراً قليلاً في أقاليم أخرى لبعدها عن أماكن الفتوحات أو لكونها مراكز لتجميع القوة وإعداد العدة لقتال العثمانيين وعلى كلٍّ فقد غدت العواصم ، والمدن التي افتتحتها الدولة العثمانية ، مدنا إسلامية ، ومراكز للدراسات والعلوم الإسلامية . [1]

وبمجرد دخول الإسلام في دولة من الدول يصبح من الصعب خروجه منها وذلك لما فيه من روح عالمية وعدل ، وحرية ، وتسامح ، وسمو خُلقي ، فمن ذاق ظلم القساوسة وطغيان الكنيسة رأى نور الإسلام بكل وضوح ، وتجلت له المعاني السامية التي يدعو لها ويوجب على أتباعه الالتزام بها . وقد تجلى ذلك في فتوحات الدولة العثمانية فيما سبق .

ب. الرحمة والتسامح :

لقد أَخبر التاريخ عن الاستعمار الأوروبي الذي أباد الهنود الحمر في قارة أمريكا ، وعن فضائع الأسبان الذين أرادوا محو المسلمين بالإبادة الجماعية من الأندلس ، وابتكروا في قتلهم وتعذيبهم وسائل لم تخطر بقلب بشر ، وعن الخراب والنهب والسلب الذي كانت تتعرض له الأطراف الشمالية من قارة أفريقيا من قبل فرسان (القديس يوحنا) [*] وغيرهم من عصابات أوروبا التي كانت تتغذى على القرصنة والسرقة ونهب خيرات المستضعفين

---

[1] صفحات من تاريخ الدولة العثمانية . جمال عبد الهادي و آخرين . دار التوزيع والنشر الإسلامية . لم تذكر سنة الطبع ولا رقم الطبعة . ص / 20 : بتصرف

[*] هم فرقة عسكرية صليبية وجماعة دينية ساهمت بشكل بارز في الحروب الصليبية ، أقامت بجزيرة رودس ومن أهم أعمالهم قيامهم باحتلال طرابلس الغرب سنة 1535 م . وتعين القديس حيباري دي سنقوسا والياً عليها . ينظر موقع تاريخ الحكام والسلالات الحاكمة على الشبكة العنكبوتية . www. Hukam. net

فالمتتبع لتاريخ الحروب على مر العصور لن يرى أرحم ولا ألطف من الفتح الإسلامي الذي ينظر إلى البشر الذين غرقوا في ظلمات الشرك والجهل بعين الرأفة والرحمة ، ويوجب على المسلمين إعلامهم بهذه الرسالة السماوية السمحاء ، فإن رضوا وعرفوا ربهم فقد أصبحوا إخوة لنا ، وإن رفضوا دفعوا الجزية مقابل حمايتهم وأمنهم ، وفي أصعب الحالات يوجب الإسلام القتال إن هم رفضوا هذه الحلول ، ورأوا أن يقفوا في وجه هذه الدعوة ليحجبوا نورها عن سكان البسيطة ، وهذا القتال هو قتال إصلاح وتهذيب لا غل وانتقام يحرم قتال العجائز والأطفال والنساء والرهبان ، ويحرم الفساد والبغي بغير الحق .

وبما أن العثمانيين كان شعارهم تطبيق الإسلام كان لزاما عليهم أن يتقيدوا بهذه المبادئ في الحرب فضربوا أروع الأمثلة في الاقتداء بالصحابة وغيرهم من قادة الإسلام الفاتحين على مر العصور ، ويكفيهم فخراً أنهم أبقوا على جميع الأقليات المتواجدة في ظل دولتهم وعاملوهم بحدود الله وشرعه المبني على العدل والإحسان ، ولم يسجل التاريخ عنهم أنهم في يوم من الأيام أكرهوا شعباً على الدخول في الإسلام ،أو غدروا به بل أبقوا لهم حرية الاختيار ، ولهذا دخلت هذه الشعوب في دين الله أفواجاً لِمَا رأوه من خير في الإسلام . وكيف لا يتسامح العثمانيون ؟ والقرآن يقول : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [1]

ولهم في نبيّهم محمد – ﷺ – القدوة الحسنة وهو القائل : (إنّي لم أبعث لَعَّاناً . وإنّما بعثتُ رحمةً) [2] وكيف لا يتسامح العثمانيون ؟ ودينهم يحثهم على الرحمة حتى مع الحيوانات ، فعن أبي هريرة – رضي الله عنه – : أن رسول الله – ﷺ – قال : " بينما رجل يمشي بطريق ، اشتد عليه العطش ، فوجد بئراً فنزل فيها ، فشرب ثم خرج ، فإذا كلب يلهث ، يأكل الثرى من العطش ، فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ بي ، فنزل البئر فملأ خفَّه ثم أمسكه بفيه ، فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له " قالوا : يا رسول الله ، وإن لنا في البهائم أجراً ؟ فقال : (في كل كبد رطبةٍ أجرٌ) [3] ، ومثل هذه

---

[1] سورة الأنبياء ، الآية : 107

[2] أخرجه مسلم . كتاب البر والصلة ، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها . برقم (2599)

[3] أخرجه البخاري . كتاب الأدب . باب رحمة الناس والبهائم . حديث رقم . (6009)

الأخلاق هي التي جعلت من العثمانيين مضرباً للأمثال في التسامح ، مما كان له أثراً حميداً على الدعوة ، وساهم في دخول الناس لدين الله أفواجاً .

ج . السياسة الرشيدة التي تمتع بها المؤسسون الأوائل للدولة العثمانية :

منذ انبلاج دولة الخلافة الإسلامية أخذ سلاطينها بالاهتمام بنهضتها فقد بدأت الدولة في إقامة نهضة شاملة عمرانية فأسست المدن ، وشيدت المساجد الضخمة ، والمدارس ، والجامعات ، والموانئ ، والمستشفيات ، والمتاجر، وكل ما يخدم حياة الناس ويقدم لهم أرقى أنواع الخدمات على حياة الأصعدة .

وفي المجال الاجتماعي أنشأت دور اليتامى، وكفلت الأيتام ، والفقراء ، والمعوزين الذين كانت تُقدم لهم الوجبات كل يوم ، كما " أجرى السلطان سليم الأول الرواتب للأيتام والشيوخ المقعدين " [1]

كما عاملت الدولة الجاليات غير مسلمة بكل احترام ، وكان لهم الحق في إقامة شعائر دينهم ، وممارسة أعمالهم وحرفهم كغيرهم من المسلمين .

وفي المجال الاقتصادي ارتفع الدخل القومي للدولة لنشاط حركة الاقتصاد ، ولارتفاع الدخل القومي بسبب الفتوحات وغيرها ، وقد كانت السفن العثمانية تجوب البحار حاملة كل أنواع البضائع التي كانت تعج بها أسواق المدن العثمانية ، وفي المجال الصناعي ظهرت العديد من الصناعات كصناعة السفن التي تفوقت الدولة في إنتاجها على كل دول أوروبا ، كذلك مصانع البارود والمدافع ، والتي ازدهرت وتطورت منذ عهد السلطان محمد الفاتح وبلغت أوج ذروتها في عهد السلطان سليمان القانوني رحمه الله تعالى .

كل هذه الأسباب وغيرها ، كان لها الأثر الجيد في استقطاب الناس للدخول في دين الله أفواجاً ، فحالة التقدم التي مرت بها الدولة العثمانية وبلوغها أعلى درجات الرقي الحضاري في ذلك الوقت أمام الجهل والفقر والعبودية التي كانت تعانيها أوروبا تحت

---

[1] أثر الدولة العثمانية في نشر الإسلام في أوروبا . رسالة ماجستير مقدمة من فائقة محمد بحري. قسم التاريخ بكلية الدراسات الإسلامية والحضارية جامعة أم القرى .1989 م . إشراف . يوسف على الثقفي . ص / 35

سيطرة الكنيسة جعلت من الدولة العثمانية مضرباً للأمثال ، وملاذاً لكل المعوزين الذين رأوا في الإسلام ودولته مُنقذاً لهم من براثن العبودية والإلحاد .

ولم يقتصر الأمر على العامة فقط بل وصل إلى الكبار من رجالات السياسة والحكم فهناك طوائف كبيرة من الناس أسلموا ولم يكونوا من العامة فحسب ، بل كانوا من العلماء على اختلاف طبقاتهم ، ومناصبهم وحالاتهم ، ويُذكر أن الأتراك أَجْروا أرزاقاً سَخيَّة على بعض (الرهبان والقساوسة) الذين اعتنقوا الإسلام حتى يكونوا قدوة لدفع غيرهم إلى اعتناق الإسلام .[1]

ونستنتج من كل هذا أن عظمة الإسلام كانت هي الروح المحركة للدولة العثمانية ، والمسيطرة عليها في كل توجهاتها واتجاهاتها ، وهذا ما جعلها قدوة لكل التائهين والحائرين قبل أن تتسلط عليها يد الغدر ، والخيانة التي ما برحت تفتُّ في عضدها إلى أن أصابتها بالشلل التام ثم قضت عليها بكل يسر وسهولة .

---

[1] الدعوة إلى الإسلام . توماس أرنولد . مرجع سابق . ص / 186 : بتصرف

الفصل الثاني : سنة الله في الظلم والظالمين

المبحث الأول : تعريف الظلم وأنواعه

المبحث الثاني : نماذج من الظلم في الدولة العثمانية

تمهيد :

أمر الله سبحانه وتعالى خلقه بالعدل ، واتصف به فهو الحكم العدل ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [1] وحرم الظلم وجعل عواقبه وخيمة ؛ فقد توعد في كتابه المبين الظالمين بالعذاب والهلاك والخسران ؛ فجاءت أحكام القرآن وآياته لتخلص الإنسانية من الظلم والاستبداد والطغيان ، قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [2]

" والظلم يشتمل على معصيتين : أخذ مال الغير بغير حق ، ومبارزة الرب بالمخالفة ، والمعصية فيه أشد من غيرها لأنه لا يقع غالباً إلاَّ على الضعيف الذي لا يقدر على الانتصار وإنما ينشأ الظلم عن ظلم القلب لأنه لو استنار بنور الهدى لاعتبر ؛ فإذا سعى المُتَّقون بنورهم الذي حصل لهم بسبب التقوى ؛ اكتنفت ظلمات الظلم الظالم حيث لا يغني عنه ظلمه شيئاً " [3] ، ولم يتنازع الناس يوماً في أن عاقبة الظلم وخيمه ، وعاقبة العادل كريمة، ويروى عن شيخ الإسلام ابن تيمية [*] رحمه الله : " الله ينصر الدولة العادلة وإن

كانت كافرة ، ولا ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة " [4]

---

[1] سورة النحل ، الآية : 90

[2] سورة آل عمران ، الآية : 64

[3] فتح الباري شرح صحيح البخاري . للإمام أحمد بن على بن حجر العسقلاني . دار الكتب العلمية بيروت . ط . 1 . 1989 م . ج 5 / 127

[*] شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية . ولد سنة إحدى وستين وستمائة بحرَّان ، ثم ارتحلت أسرته إلى دمشق . سمع من ابن عبد الدائم وابن أبي اليسر ، وخلق كثير . تأهل للفتوى والتدريس وله دون العشرين سنة لِمَا أمَّده الله به من سرعة الحفظ وقوة الإدراك . له العديد من المصنفات منها (اقتضاء الصراط المستقيم) و (الصارم المسلول على منتقص الرسول) وغير ذلك من المؤلفات . ينظر معجم الشيوخ . شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي . دار الفكر بيروت . ط 1 . 1997 م . ج 1 / 35 : بتصرف . طبقات المفسرين . شمس الدين محمد بن على الداوودي . دار الكتب العلمية بيروت . ج 1 / 46 – 50 : بتصرف

[4] الظلم . أزهري أحمد محمد . دار بن خزيمة . لم تذكر سنة الطبع ولا رقم الطبعة . ص / 8

وكان عمر بن عبد العزيز[*] – ﷺ – يقول : " من أصابته مظلمة من عامله فلا إذن له عليَّ " وكان يُبطل أحكام ولاته إذا رأى فيها ظلماً للرعية المحكومة . وقال عمر بن الخطاب – ﷺ – : لعمرو بن العاص واليه على مصر قولته المشهورة : متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً ؟ [1]

وقيل بأن عاملاً لعمر بن عبد العزيز– ﷺ – كتب إليه " أما بعد فإن مدينتنا قد خربت ، فإن يرى أمير المؤمنين أن يقطع لنا مالاً نرمها به فعل " . أي يطلب منه المال ليصلح جدران ومباني المدينة ، ويبدو أن عمر بن عبد العزيز – ﷺ – أعرف بأحوالها من واليها ولو كان يعلم أنها تحتاج إلى صيانة لما تباطأ عن صيانتها . كيف ؟ لمن كان يشبه بجده عمر بن الخطاب– ﷺ – أن يقف ضد مصالح المسلمين ، ولكنه حثه إلى عماد الإصلاح الكوني والإعمار الحقيقي ألا وهو العدل ولهذا كتب له " أما بعد ، فقد فهمت كتابك ، وما ذكرت أن مدينتكم قد خربت . فإذا قرأت كتابي هذا فحصنها بالعدل . ونَقِّ طرفها من الظلم فإنه مرمتها . والسلام " [2]

وجاءت السنة النبوية المطهرة مكملة للقرآن الكريم في تحريم الظلم ففي الصحيح : عن أبي ذر– ﷺ –عن النبي – ﷺ – فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى أنه قال : (يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا ...) [3]

وأصل التحريم المنع (فمعنى (حرمت) أي تقدست وتعاليت عنه ، وبذلك يصبح الظلم محالاً في حقه تعالى إذ قال سبحانه : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [4] ، وقال تعالى :

---

[*] هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية . أمير المؤمنين أبو حفص ، القرشي الأموي ولد بالمدينة المنورة سنة 61 هـ . وتوفي بها سنة 101 هـ . أمه أم عاصم (ليلى) بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه . بمجرد توليه الإمارة بدأ بالإصلاح فعزل الولاة الجائرين ، ورد المظالم إلى أهلها واعتنى بالدولة الإسلامية وطبق شريعة الله على كل الرعية وكان زاهدا في بيت مال المسلمين متعففا عنه . ينظر عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين . عبدا لستار الشيخ . دار القلم دمشق . ط 2 . 1996 م . ص / 22 – 23 . خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز . أبو الحسن الندوي . المختار للطباعة والنشر . القاهرة . ط 2 . 1973 م . ص / 16 – 23 : بتصرف

[1] سيرة عمر بن عبد العزيز . أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي . دار بن خلدون بالإسكندرية . ص / 51

[2] نفس المصدر . ص / 83

[3] . أخرجه مسلم في الصحيح . كتاب البر والصلة . باب تحريم الظلم . حديث رقم 2577 . ج 4 / 177

[4] سورة فصلت ، الآية : 46

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [1]

ولهذا جعله بين عباده محرماً وتوعد الظالمين بالبوار وسوء المصير والندم على ظلمهم ، قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴾ [2]

وعن عبد الله بن عمر – ﷺ – عن النبي – ﷺ – قال : (الظلم ظلمات يوم القيامة) [3]

وروى البخاري عن ابن عباس – رضي الله عنهما – : أن النبي – ﷺ – بعث معاذاً إلى اليمن فقال : (اتق دعوة المظلوم ، فإنها ليس بينها وبين الله حجاب) [4]

وفي الصحيح : (واتق دعوة المظلوم فإن دعوة المظلوم مُجابة ...) [5]

وعن أبي بكر الصديق – ﷺ – أنه قال : يأيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ﴾ [6] وإني سمعت رسول الله – ﷺ – يقول : (إنَّ الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه) [7]

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما . أن رسول الله – ﷺ – قال : (المُسلمُ أخُو المُسلمُ لا يظلمُهُ ولا يُسلمُهُ ، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجتهِ ، ومن فرَّجَ عن مُسلـمٍ كُربةً فرَّج الله عنه كربةً من كربات يوم القيامةِ ، ومن ستر مسلماً سترهُ اللهُ يومَ القيامة) [8]

---

[1] سورة يونس ، الآية : 44

[2] الفرقان ، الآية : 27

[3] أخرجه البخاري في الصحيح . كتاب المظالم والغضب . باب الظلم ظلمات يوم القيامة . حديث رقم (2447)

[4] خرجه البخاري في الصحيح . كتاب المظالم والغضب . باب الاتقاء والحذر من دعوة المظلوم . حديث رقم (2448)

[5] أخرجه البخاري في الصحيح . كتاب الجهاد والسِّير . باب إذا أسلم قوم في دار الحرب ولهم مال وأرضون فهي لهم . حديث رقم (3059)

[6] سورة المائدة ، الآية : 105

[7] أخرجه الترمذي.. كتاب الفتن . باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر ،. حديث رقم (2168) وقال عنه حديث حسن صحيح ، وأخرجه أبو داود برقم (4338) وابن ماجة برقم (4005) وهو صحيح . ينظر تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي . محمد عبد الرحمن المباركفوري . تخريج عصام الصبابطة . دار الحديث بالقاهرة . ط 1 . 2001 م . مج 6 / 19

[8] أخرجه البخاري . كتاب المظالم والغضب . باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه . حديث رقم : (2442) . ج 2 / 112

المبحث الأول : تعريف الظلم وأنواعه

أولا تعريف الظلم لغة واصطلاحاً :

التعريف اللغوي :

الظُّلم " وضع الشيء في غير موضعه . وأصل الظلم الجور ومجاوزة الحد... والظلم الميل عن القصد ، يقال ظَلَمَهُ يَظلِمَهُ ظَلماً وظُلما ومَظلمة ... وتظلَّم منه شكا من ظُلمهِ والمتظلِّمُ الذي يشكو رجلاً ظَلَمَهُ " [1]

التعريف الاصطلاحي :

1 . عرف " بأنه الاعتداء على حق الغير ، بالتصرف فيه بما لا يرضى به " [2]

2 . وعرف بأنه " العدول عن الطريق الذي يجب سلوكه للوصول إلى الحق " [3]

3 . وعرف بأنه " لفظ عام في وضع الشيء في غير موضعه ، يشمل الشرك وغيره من المعاصي " [4]

4 . ويمكن أن نعرفه بأنه : كل فعل يقوم فيه صاحبه بالاعتداء على حق من حقوق الشرع ، أو البشر ولو كان اعتداء الإنسان على نفسه .

ثانياً من أنواع الظلم الذي ذكر في القرآن الكريم :

1 . **الظلم الأكبر:** وهو الشرك بالله ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [5] ، وقال تعالى : ﴿ والْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [6] وهو ظلمٌ عظيم ، وبلاءٌ كبير، وخطبٌ جليل ، فهو تشبيهٌ للمخلوقِ بالخالق في الخصائص الإلهية ، والصِّفات الرَّبانية ، ومن أشرك بالله فقد انتفت عنه صفة الإنسانية ، واستوجب لنفسه غضب الله وسخطه ، والخلود في النار

---

[1] لسان اللسان . لأبي الفضل جمال الدين محمد بن منظور . دار الكتب العلمية بيروت . ط 1 . 1993 م . مج 2 / 120

[2] التفسير الوسيط للقرآن الكريم . محمد سيد طنطاوي . دار نهضة مصر للطباعة . ط 1 . 1997 م . مج 1 / 252

[3] تفسير المراغي . محمد مصطفى المراغي . دار الكتب العلمية بيروت . ط 1 . 1998 م . مج 1 / 542

[4] أسباب هلاك الأمم السالفة كما ورد في القرآن الكريم . سعيد محمد بابا سيلا . دار بن الجوزي . السعودية . ط 1. 2000 م . ص/12

[5] سورة لقمان ، الآية : 13

[6] سورة البقرة ، الآية :254

– والعِياذُ بالله – فلا ينفع معه عمل صالح وإن فعل صاحبه كل فضيلة وابتعد عن كل رذيلة فقد باء بالخسارة والوبال .

قال تعالـــى : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِـيَ إِلَيْكَ وَإِلَـى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِـنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَـنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَـنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [1] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ [2] ، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴾ [3]

فالشرك بالله هو أعظم أنواع الظلم وأقبحها؛ لأنَّ المشرك بالله لن يتورع عن أنواع الظلم الأخرى ؛ فمن كفر بالله وأشرك به لن يخاف من قتل الناس أو أكل أموالهم وهضم حقوقهم ، وقد أفنى الله دولاً وأهلك أقواماً لمَّا ظلموا وأشركوا بالله وكذبوا برسلهم كقوم نوح لمَّا كذبوه وسخروا منه جاءهم العذاب من عند الله فأغرقهم قال تعالى : ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ ۙ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ ۖ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا ۖ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴾[4]

وقد كان إهلاكهم بسبب ظلمهم ولهذا قال تعالى بعد إهلاكهم [5] : ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِـينَ﴾ [6] وأهلك الله تعالى قوم هود بعدما كذبوه وقالوا له : ﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾[7] فكان عقابهم بالريح التي أزالتهم من على وجه الأرض ولم ينفعهم كفرهم ولا استكبارهم بشيء عندما حانت ساعة العذاب. قال تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴾ [8] ، وكذب قوم صالح بآيات الله واستهزءوا به فقالوا له :

---

[1] سورة الزمر ، الآية : 65

[2] سورة المائدة ، الآية : 72

[3] سورة الحج ، الآية : 31

[4] سورة المؤمنون ، الآية : 27

[5] المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة . عبد الكريم زيدان . مؤسسة الرسالة دمشق . ط1 . 2006 م . ص / 113

[6] سورة هود ، الآية : 44

[7] سورة الأعراف ، الآية : 66

[8] سورة فصلت ، الآية : 16

﴿ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾[1] ؛ فكان عذاب الله تعالى في الموعد وسنته التي لا تجامل أحداً قد انطبقت عليهم فأخذهم العذاب وباءوا بالبوار والخسران المبين . قال تعالى : ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ [2]

والواقع أنَّ القرآن الكريم يبين لنا في كثيرٍ من الآيات أنَّ (الظلم) سبب مؤكد لهلاك الأُمم ، وأنَّ هذا الهلاك هو من مقتضيات سنة الله في الظلم والظالمين ، ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ﴾ [3] أي أهلكناهم لمَّا كفروا وأشركوا بالله . [4]

2 . ظلم الأفراد لأنفسهم :

وأنواعه كثيرة كارتكاب المحرمات ، وأكل الربا ، والإعراض عن شرع الله ، والاعتداء على حقوق الناس. قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ [5] وقال تعالى : ﴿ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ [6] فمن أعظم المقاصد التي قصدت من بعثة الأنبياء – عليهم السلام – دفع المظالم بين الناس ، فإن تظالمهم يفسد حالهم ، ويضيق عليهم [7] ، ويكثر هذا النوع في الأمم الضعيفة ، والبعيدة عن أحكام الله وشرائعه . إذ يكثر الظلم ، ولا وجود لرادع يردع الناس عنه . وكلما تقدم الزمان وتعقدت العلاقات ، وتشابكت المصالح نجد ألوانا جديدة من الظلم والاضطهاد . [8]

وظلم الإنسان لأخيه الإنسان من أقبح أنواع الظلم ، وأبشعها وهو ناتج عن ضعف في الإيمان ، ونقص في الشخصية ، وحب للرياسة والتمكن فلو علم الظالم عقوبة الله له على

---

[1] سورة الأعراف ، الآية : 77

[2] سورة الأعراف ، الآية : 91

[3] سورة ، يونس : الآية : 13

[4] المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة. عبد الكريم زيدان . مرجع سابق . ص / 113 : بتصرف

[5] سورة الكهف ، الآية : 57

[6] سورة الطلاق ، آية : 1

[7] حجة الله البالغة . ولي الله الدهلوي . دار المعرفة بيروت . ط 1 . 1997 م . مج 2 / 260 : بتصرف

[8] نفس المرجع . ص / 216 : بتصرف

ظلمه لارتدع عن أفعاله وتاب منها . فدعوة المظلوم ليس بينها وبين الله حجاب ، وقد وعد الله المظلوم بالنصر ولو بعد حين ، وقد ذمه الله في كتابه الكريم وتوعد صاحبه بالعذاب الأليم فقال : ﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [1] ومن أشد حالات الظلم في هذا النوع هو الاعتداء على الأنفس بقتلها ، والأعراض بهتكها ، والأموال باغتصابها . [2]

3 . ظلم الحاكم للرعية :

إن الحاكم المتجبر المستبد هو الذي يهدر حقوق رعيته ويذهب بعزهم ، ويعودهم على حياة الذل والمهانة ، مِمَّا يجعل الأمة ضعيفة ، وغير قادرة على البقاء فيسهل الانقضاض عليها وتصبح لقمة سائغة للأعادي ، ويكون سببا في فنائها وذهاب بيضتها فيصدق عليها قول الحق جلَّ وعلا : ﴿ وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴾ [3] والحكام الظلمة غالباً ما يُصدون الناس عن دين الله ويضيقون الخناق عليهم في عبادتهم ، وهذا من أسوأ أنواع الظلم وأشده قديماً وحديثاً ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ۚ أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ ۚ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [4]

وتوعَّدَ الله تعالى من يعين الظلمة على ظلمهم بالعذاب والثبور ، والخسران في الدنيا والآخرة لأنهم من أسباب قوتهم ؛ فالظلمة يستقوُون بعصبتهم وجلاَّديهم ، وقد نهانا الله تعالى عن مناصرتهم أو الركون إليهم ، قال تعالى :﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾[5] وقد أغرق الله جند فرعون معه لأنهم من أدوات ظلمه وبطشه قال تعالى : ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴾ [6] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا

---

[1] سورة الشورى ، الآية : 42

[2] أخلاق المسلم . وهبة الزحيلي . دار الفكر دمشق . ط 4 . 2006 م . ص / 37

[3] سورة الأنبياء ، الآية : 11

[4] سورة البقرة ، الآية :114

[5] سورة هود ، الآية : 113

[6] سورة القصص ، الآية : 40

خَاطِئِينَ ﴾ [1] فقد وصل به من الظلم والجبروت والطغيان إلى أن قال لهم ﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ [2] ثم ازداد تكبراً ليقول لهم كما ذكر القرآن : ﴿ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴾ [3] وهكذا الحال في كل ظالم إذا لم يجد من يرده .

---

[1] سورة القصص ، الآية : 8

[2] سورة غافر ، الآية : 29

[3] سورة النازعات ، الآية : 24

المبحث الثاني : نماذج من الظلم في الدولة العثمانية

تمهيد :

كما ذُكر سابقا أنَّ للظلم أنواعاً فظلم الفرد نفسه يختلف عن ظلمه غيره وظلم الحاكم رعيته يختلف عن ظلم الأفراد أنفسهم ، وأيّاً كان نوع الظلم فهو ماحِقٌ للبركة مُهلك للأمم؛ لأنه داء عضال ووباء فتاك ، إذا أصاب فرداً أهلكه وإذا انتشر في أمة أزالها الله وإذا أصاب حاكماً قصمه الله ، وهذه سنة الله المعلومة التي لا تتبدل ، ولا تتغير. قال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [1]

والدولة العثمانية كغيرها من الدول ليست مستثناة من سنن الله في الكون ، فهي تصيبها الأمراض والأدواء التي تصيب الأمم ، والتي لا تكاد توجد أمة إلا وأصابتها هذه العلل ، ولكنها تختلف من أمة إلى أخرى فقد يصيب الأمة المرض ، وتستفيق وتعود إلى رشدها ، وتتوب إلى الله فيرفع الله عنها مقته ، وغضبه كما حدث لقوم يونس – عليه السلام – قال تعالى:﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [2]

وقد تستمر الأُمم في غَيّها وعنادها وظلمها حتى يحيق بها العذاب ، ويأخذها الله أخذ عزيز مقتدر كما فعل مع قوم فرعون ، قال تعالى مُخبراً عنهم وعمَّا أصابهم : ﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[3]

والدولة العثمانية عندما كانت في أوج قوتها ، وأزهى عصورها كانت متمسكة بشرع الله تطبقه في كل معاملاتها ، ومع كل رجالاتها لا فرق بين غني وفقير حاكم ومحكوم ، وكان التَّدين سِمة أبنائها ، وكانت حمية الإسلام تتوقد في عروقهم لا يخافون في الله لومة

---

[1] سورة التوبة ، الآية : 70

[2] سورة يونس ، الآية : 98

[3] سورة آل عمران ، الآية : 11

لائم ، وما أن أسسوا دولتهم حتى انطلقوا مسرعين يحملون مشاعل الإيمان لتنير آفاق الأرض وتنشر الإسلام لتخرج البشرية من ظلمات الكفر ، وبراثن الإلحاد إلى نور الإسلام وحلاوة الإيمان ، وقد زاد من أوج هذه القوة وإذكاء روح الحماسة في أبنائها ، عُلَماءَ ربَّانيون ، وحُكَّام صالحون كانوا يرون اليوم الذي تشرق فيه الشمس ، ولم يفتحوا فيه قُطراً أو ينشروا فيه ديناً يوم خسران كبير، فوصلت " جيوش الإسلام إلى دول في عمق أوروبا كهنغاريا ، وبلغاريا ، ويوغسلافيا ، ورومانيا، وأجزاء من اليونان . بل وصلت جيوشهم إلى حدود فيينا عاصمة النمسا سنة (1683 م) " [1] ، ثم تراجعوا ، ولم يستطيعوا النهوض مرة أخرى بعد أن تفشت فيهم أسباب السقوط ، التي من بينها الظلم بجميع أنواعه : وفيما يلي أذكر ثلاثة نماذج من أنواع الظلم الذي انتشر داخل (الدولة العثمانية) وكان من أعظم أسباب سقوطها وزوالها :

النوع الأول : الظلم الأكبر أو (الشرك بالله)

إنَّ الشرك بالله تعالى من أعظم أنواع البلاء ، ومن أسباب محقِ البركة في الرزق ، والعمر ، والقوة . مُذهب للهيبة من نفوس الأعداء ، جالبٌ لسخط الله تعالى ؛ فمن أشرك بالله خسر الدنيا والآخرة ، وباء بغضب من الله ، وصار كالدَّابة التي لا تعقل ، ولا تفقه شيئاً . قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [2] وتتعدد مظاهر الشرك في المجتمعات فقد تتخذ من دون الله أنداداً تُقَدّسُهم وتلجأ إليهم في جلب النفع أو دفع الضُّر. قال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ ﴾ [3] فيهلكهم كما أهلك قوم نوح الذين قال عنهم : ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ

---

[1] القوانين القرآنية للحضارات . خالد فائق العبيدي . دار الكتب العلمية بيروت . ط 1 . 2005 . ص / 139

[2] سورة الأعراف ، الآية : 179

[3] سورة الزمر ، الآية : 8

وَيَعُوقَ وَنَسْرًا وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴾ [1] ، وقد يكون شرك الأمم والمجتمعات بنبذ شرع الله ، وترك التحاكم بكتاب الله ، وسنة نبيه – ﷺ – وإبعادهما عن شؤون الحياة ، واستبدالهما بقوانين بشرية مبنية على فلسفات إلحادية ، وأفكار كُفرية تتخذ من الدين عدواً لدوداً لها ، وموالاة أصحابها الذين يرون في هذه المناهج بديلاً عن شرع الله – تعالى – الذي هو سبب التخلف ، والرُّكود الحضاري في نظر بعضهم ، ونَسُوا أن الشِّرك بالله ، والكفر به هما العاملان الرئيسان في انهيار المجتمعات لأنهما هما القاعدة الباطلة التي تخرج منها كل المفاسد ، وعوامل التخريب الأخرى التي هي أسباب الهلاك ، والبوار ، قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴾ [2] ولعظم الشرك دعا نبيُّ الله إبراهيم – عليه السلام – ربه أنْ يبعد عنه وعن ذريته الشرك ، قال تعالى على لسانه في القرآن الكريم : ﴿ وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ [3]

وفيما يلي أذكر مثالين من المظاهر الشركية التي ظهرت في الدولة العثمانية .

أ . التصوف المنحرف أو البدعي :

عند الحديث عن التصوف لابد من ذكر نبذة مختصرة عنه لِتُعِين على التوضيح :

أولا الاشتقاق اللغوي للتصوف :

" تنازعوا في المعنى الذي أضيف إليه الصُّوفِي ، فإنه من أسماء النَّسب ، كالقرشي والمدني ، وأمثال ذلك .

فقيل : إنه نسبة إلى أهل الصُّفَّة ، وهو غلط ، لأنه لو كان كذلك لقيل صُفِّي .

وقيل : نسبة إلى الصَّفِّ المُقَدَّم بين يدي الله ، وهو غلط ، فإنه لو كان كذلك لقيل صَفِّي.

وقيل : نسبة إلى الصَّفْوَة من خلق الله وهو غلط ، لأنه لو كان كذلك لقيل صَفَوِي . وقيل

---

[1] سورة نوح ، الآيتان : 23 – 24

[2] سورة هود ، الآيتان : 101 – 102

[3] سورة إبراهيم ، الآية : 35

نسبة إلى صُوفة بن بِشر بن أد بن طانجة ، قبيلة من العرب ، كانوا يُجَاوِرون بمكة من الزمن القديم ، ينسب إليهم النُّسَّاك . " [1]

وقيل نسبة إلى لبس الصوف. وهو الأرجح باعتبار أن لبس الصوف كان منذ القدم شعاراً للزهاد والنُّسَّاك ، وهذا هو الرأي الذي اختاره أكثر البُحَّاث ورضي به أغلب المتصوفة .

ثانيا : التعريف الاصطلاحي :

كما اختلف في الاشتقاق اللغوي لكلمة التَّصوف اختلف كذلك في تعريفه الاصطلاحي " فلا يوجد تعريف جامع مانع للتصوف " [2] ومن أهم هذه التعريفات ما يأتي :

أن الصُّوفِيّ " من لبس الصُّوفَ على الصَّفَاء ، وأطعم الهَوَى ذَوْقَ الجَفَاء ، وكانت الدنيا مِنْهُ على القَفَا ، وسَلَكَ مِنْهاجَ المصطفى " [3]

وقيل : " تصفية القلب على موافقة البرية ومفارقة الأخلاق الطبيعية ، وإخماد الصفات البشرية ، ومجانبة الدواعي النفسانية ، ومنازلة الصفات الروحانية ، والتعلق بالعلوم الحقيقية ، واستعمال ما هو أولى على الأبدية ، والنصح لجميع الأمة ، والوفاء لله على الحقيقة واتباع الرسول – ﷺ – في الشريعة " [4] وقيل : " تصفية القلب عن موافقة البرية ومفارقة الأخلاق الطبيعية ، وإخماد صفات البشرية ، ومجانبة الدعوى النفسانية ، ومنازلة الصفات الروحانية ، والتعلق بعلوم الحقيقة " [5]

وأُعرفه بأنه : حركة دينية ظهرت على أيدي مجموعة من النُّسَّاك والعُبَّاد تقوم على الزهد والتقشف ، وتدعو إليهما ، ثم بدأت بعض فرقها تبتعد عن الإسلام شيئاً فشيئاً حتى

---

[1] الصوفية والفقراء . أحمد تقي الدين بن تيمية . طبع المؤسسة السعودية بالقاهرة . لم تذكر سنة الطبع ولا رقم الطبعة . ص / 11 – 12

[2] صفحات مكثفة من تاريخ التصوف الإسلامي . كامل مصطفى الشيبي . دار المناهل ببيروت . ط 1 . 1997 م . ص / 13

[3] التعرف لمذهب أهل التصوف . أبي بكر محمد بن اسحق الكلاباذي . تحقيق . عبد الحليم محمود . مكتبة الثقافة الدينية . ط1 . 2004 م . ص / 25

[4] نفس المصدر السابق . ص / 25

[5] معجم التعريفات . على بن محمد الجرجاني . مصدر سابق . ص / 54 : بتصرف

خرجت منه ، وذلك لتبني أصحابها للمذاهب الضالة والأفكار المنحرفة وجعل هذه الأفكار من عقائد الإسلام .

فالتصوف في أول ظُهوره كان ملتزماً بالكتاب والسنة مُقَيّداً بهما ، وهذا النوع لم يتكلم عنه أغلب علماء الإسلام بل كان رجاله من أعظم العلماء لتقيدهم بكتاب الله ، وسنة نبيه – ﷺ – يقول الشيخ أحمد زروق* – رحمه الله – مبيناً طريقهم ... ومذهبهم في الاعتقاد تابع مذهب السلف ، من اعتقاد التَّنزِيه ونفي التَّشْبيه ، ومذهبهم في الأحكام مذهب الفقهاء ، لأنهم حَرَّرُوا وَهَذَّبُوا وَنَّقحُوا ، غير أنهم يأخذون من المذاهب ، ما يوافق الحديث ، ومذهبهم في الفضائل ، مذهب المحدثين . [1] ولكنَّ طُرقه سرعان ما تعرجت والتوت بتأثيرات سلبية من الداخل ومن الخارج نأت به عن غاياته التربوية السلوكية ، واستدرجته إلى متاهات لم ولن يستطيع الخروج منها . لقد جرت على ألسنة نفر من أعلام الصوفية عبارات ومقالات هي الأقرب إلى الهذيان . وتكمن خطورتها في علاقتها المباشرة بأصل الإيمان . ثم في انتشارها بين عامة المؤمنين مما يحدث تشويشاً على إيمانهم وعلى ما فهموه من أصول الشريعة، وضوابطها، وفتح باب الكرامة على مصراعيه

فدخل منه فريق من المشعوذين والدجالين المرتزقة ، وأصحاب البدع والأهواء [2]، وأَسَّسَ أغلب المتصوفة طُرقاً صار لها أتباع ومريدون في معظم بلاد الإسلام . انضَمَّت إليها أكثر الحركات الباطنية ، والجمعيات التي تبنى على التستُّر ، واختلطت هذه بتلك وتشابهت الاصطلاحات ، وابتلي المسلمون من هذه النِّحَل بالداء العضال ، وقد اتسع صدرها بعد أن تعددت مذاهبها ، واختلفت مشاربها في القرون الوسطى والأخيرة من تاريخ

---

* هو الشيخ أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي أبو العباس زروق ولد سنة 846 بالمغرب وتوفي سنة 899هـ بالقرب من مصراته من أعمال طرابلس الغرب . فقيه صوفي من أشهر كتبه شرح مختصر خليل في الفقه المالكي ، والقواعد في التصوف . ينظر الأعلام . خير الدين الزركلي . دار العلم للملايين . بيروت لبنان . ط15 . 2002 م . مج1 / 91

[1] النهي عن الحوادث والبدع . أحمد زروق الفاسي . تحقيق . عبد الرحيم محمد السلوادي . دار زهران للنشر عمّان . 2008 م . ص/ 98 – 99 : بتصرف

[2] أصول ومقدمات تمهيدية في الثقافة الإسلامية . الصّديق عمر يعقوب . مرجع سابق . ص / 90 – 91 : بتصرف

الإسلام ، فانضوى تحت لوائها كل ذي دخيلة سيئة وعقيدة رديئة ، حتى أصبح التصوف حيلة كل محتال ، وسبيل كل دجَّال . [1]

وقد كانت في مجملها شيئاً دخيلاً عن الإسلام فقد كان رسول الله – ﷺ – زاهداً ولم يعتزل الناس بعيداً عن معترك الحياة ، ولم يقل لنفسه : – ﷺ – دع الخلق للخالق . فإنه لو شاء لهداهم وعليك بخاصة نفسك . [2]

ولقد كان للتصوف البدعي دور سلبي على الأمة الإسلامية نتجت عنه ضلالات أفسدت عقول السواد الأعظم حتى من الدعاة والوعاظ ، والناصحين من المسلمين فتجنبوا بدء دعوتهم بتوحيد الله عز وجل ، بحجة أن الكلام في التوحيد يفرق الأمة ، ويقضي على وحدتها ، ومن ثم انطلقوا يدعون الناس بالوعظ ، والإرشاد برقائق الأعمال ، ويبعدون تماماً عن التوحيد وهو الأساس الذي تصح به الأعمال وتقبل عند الله . [3] كما ساهمت في نشر الجهل وإبعاد الناس عن العلم فلقد كانت المواضيع الأكثر انتشاراً بين أتباعها هي انتشار الجن ، والشياطين ، والسحر ، والخوارق ، والكرامات الباطلة حتى وصل الحال ببعض المريدين إلى الاعتقاد في قدرات الحشرات . [4]

كما ساهم التصوف في إدخال العديد من الأشياء التي تخالف منهج الإسلام ، وطبيعة الحياة التي أرادها الله تعالى لعباده فلمَّا أهبط آدم إلى الأرض ، واستعمر ذريته فيها أراد أن تشترك جميع عناصر الكون في خدمته ، وتسيير رغباته ، ولكن بعض الصوفية جعلوا المسلمين آخر الشعوب ، وقضوا عليهم بالاستعباد ، وهم الذين أوردوهم موارد الذل ، والضيم ، والهوان فقد جعلوا الفقر مِمَّا يجب أن يرغب فيه جميع الناس . ولو عقلوا لعرفوا أن للفقر خلقة بشعة ، لا يطمع في التعرف عليها رجل كريم . [5]

---

[1] الطرق الصوفية . محمد البشير الإبراهيمي . مكتب الرضوان . الجزائر . ط 1 . 2008 م . ص / 34 : بتصرف

[2] لا إله إلا الله عقيدة وشريعة ومنهاج حياة . محمد قطب . دار الشروق . مصر . ط 2 . 2006 م . ص / 126 – 127 بتصرف

[3] موازين الصوفية . أبو عبد الرحمن على بن السيد الوصفي . دار الإيمان بالإسكندرية . 2006 م . ص / 7

[4] سلبيات وإيجابيات الممارسات والاحتفالات الدينية . منال جاد الله . منشأة المعارف بالإسكندرية . 2007 . ص / 127

[5] كيف نفهم الإسلام . محمد الغزالي . دار القلم دمشق . ط 2 . 2005 م . ص / 49 – 57 . بتصرف

وساهمت بعض الطرق الصوفية في بث روح الخمول والكسل ، والتواكل بين الناس ، وترك الجِد في أمور الدِّين والدنيا وذلك بالابتعاد عن الجهاد وعدم الأخذ بآيات القرآن الكريم الذي يقول : ﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [1] كما أمر نبيه وهو خير الخلق بالجهاد فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [2]

وغَلَا الصوفية في تعظيم الأولياء والصالحين بالقول ، والاعتقاد ، والفعل فبنوا القِباب عليها ، وأقاموا لها الموالد والاحتفالات بل صرف بعضهم لها العبادة من دون الله فجعلوا يذبحون لها الذبائح ، ويقيمون لها النذور ويشُّدون لها الرحال للاستشفاء ، وطلب الرزق والولد ، وقد نهى الله عن ذلك في كتابه الكريم وأمر بصرف العبادة لـه وحده . قال تعالـى : ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [3]

وقد ذمَّ الله الغلو في الصالحين ، وجعله سبباً من أسباب ضلال قوم نوح الذين اتخذوا وُدّاً وسُواعاً ، ويغُوث ، ويعُوق ، ونَسراً أولياء من دون الله ، قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴾ [4]

وَنَهى النصارى عن الغلوّ في عيسى – عليه السلام – فقال : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ۚ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۘ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ [5]

---

[1] سورة التوبة ، الآية : 41

[2] سورة التحريم ، الآية : 9

[3] سورة الأنعام ، الآية : 162 – 163

[4] سورة نوح ، الآيتان : 23 – 24

[5] سورة النساء ، الآية : 171

وقال عن اليهود الذين غلوا في عزير : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ ۖ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [1]

ينقل صاحب مجلة المنار عن (سيف الدين اليمني) وهو رحالة نزل بسنغافورة بعث له برسالة يوضح فيها أحوال بعض المسلمين جاء فيها : ولقد رأيت من بعض من تجلّه العوام أموراً مضحكة يتلقّاها عنه أقوام من الأغبياء بالقبول على أنها شطحات من الكرامات وأمور من وراء طور العقول ، ووقفت الأوقاف على الكثير من القبور وسدنتها ، ووصل بهم الأمر إلى مجاراة المشركين في كثير من العوائد الخسيسة فنراهم يسجدون للقبور وللدَّجالين كما يسجد أهل الكفر . [2]

ومن الأشياء التي انحرفت بالتصوف عن الطريق القويم تساهل معظم المتصوفة في ارتكاب المعاصي ، والمحرمات فتجد الموالد التي تقام على الأضرحة مليئة بالاختلاط المحرم بين الرجال والنساء ، وتتعاطى فيها المحرمات ، وتنتهك الأعراض ، وتفشَّى فيهم الرقص ، وسماع الموسيقى والألحان ؛ فمال إليهم طلاب الآخرة من العوام لما يظهرونه من التزهد ، ومال إليهم طلاب الدنيا لما يرونه عندهم من الراحة ، واللعب ، وما زال الأشياخ يبتكرون من مخيلاتهم ويؤلفون حتى خرج بِبَعضهم الجوع إلى الخيالات الفاسدة فادعى عشق الحق ، والهَيَمان فيه حتى صار بعضهم بين البدعة والكفر ، ثم تشعبت بأقوام منهم الأهواء حتى قسَّمُوا الشريعة إلى ظاهر ، وباطن ، وفسدت عقائدهم فأُدخل عليهم نِحل ، ومذاهب لم يسمع بمثلها في تاريخ الإسلام (كالحلول والاتحاد) * وغير ذلك

---

[1] سورة التوبة ، الآية : 30

[2] مجلة المنار العدد . 27 . السنة الثانية : 16 سبتمبر 1899 م . ص / 426 – 428

* (الحلول والاتحاد) من الأفكار العقدية التي ظهرت عند بعض المتصوفة ، وهي تصوير خاص لطبيعة العلاقة بين الخالق والمخلوق فقد استعمل بعض المتصوفة لفظ الحلول بمعنى حلول الله (تعالى الله عن ذلك) في أجساد بعض خلقه كالأنبياء والأولياء مما أكسبهم بعض الصفات الإلهية . أما لفظ الإتحاد فقد استعملوه في التعبير عن اتحاد الذات الإلهية بالذات الإنسانية . ينظر : نظرية الاتصال عند الصوفية في ضوء الإسلام . سارة عبد المحسن آل سعود . دار المنارة للنشر والتوزيع . جدة السعودية ط 1 . 1991 م . ص / 25

من مذاهب أهل الزيغ والظلال . [1]

ورفض المتصوفة العلوم جملة وتفصيلاً ، فكانت طوائف منهم ترفض العلم والتعلم ، حتى أنه حُكي عن أبي عبد الله بن خفيف *المتوفى عام (981 م) أنه كان يوصي الناس بأن يشتغلوا بالعلم ، ولا يغتروا بكلام الصوفية ، ويقول إنه كان يخبئ المحبرة والورق في ثيابه ويذهب إلى أهل العلم ، فإذا علم به الصوفية خاصموه وقالوا : لا تفلح [2] .

دخول التصوف إلى الدولة العثمانية :

يرى البعض أن السبب في نشأة الدولة العثمانية مشبعة بالنزعة الصوفية ما قام به السلطان (عثمان بن أرطغرل) من منح مشائخ الطرق الصوفية الَّذين التجأوا إلى الإمارات السلجوقية في الأناضول في بداية القرن (السادس الهجري الثالث عشر الميلادي) هروباً من الاستيلاء الماغولي على بلادهم امتيازات واسعة ، وأيَّدَهم باقي السّلاطين بتسخير موارد الدولة في خدمة مبادئهم ؛ فانتشرت الطرق الصوفية في كافة أنحاء الأناضول ، وبخاصة بعد قيام مشائخ هذه الطرق ، ومريديهم بحماية الناس من غزو زعيم التتار (هولاكو) لبلادهم ، والدفاع عنهم في ساحات القتال ، مما أثر في الناس ، ليعلنوا أن لا معنى للعيش إلا بالدخول في إحدى الطرق ، والارتباط بها من قريب حتى أصبحت لكل مجموعة من الناس حلقة أو حلقات ذات صلة بإحدى الطرق الصوفية الكبيرة ، وانتشرت بذلك الزوايا والتكايا في كافة أنحاء الأناضول .

---

[1] تلبيس إبليس . لأبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي . تحقيق محمد بن الحسن إسماعيل . مروان عبد الحميد . دار الكتب العلمية بيروت . لبنان . ط 2 . 2002 م . ص / 178 : بتصرف

*** قال عنه الذهبي : الشيخ العارف محمد بن خفيف بن اسفكشار الضبي الفارسي شيخ الصوفية ، ولد قبل السبعين ومائتين وستين ، وحدث عن حماد بن مدرك ، ومحمد بن جعفر التمار وآخرين ، وحدث عنه أبو الفضل الخزاعي والحسن بن حفص الأندلسي ، والقاضي أبو بكر الباقلاني . ينظر سير أعلام النبلاء . محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي . مؤسسة الرسالة . 2001 م . مج 16 / 344**

[2] الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري . آدم متز . ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة . مطبعة لجنة التأليف والنشر بجامعة القاهرة . ط 3 . 1957 م . ج 1 / 344 : بتصرف

والجدير بالذكر أن أغلب هذه الطرق في الزمن الأول من عمر الدولة العثمانية لم تُظْهِر مُخَالفتها الواضحة للشرع الحكيم إلا في مسائل قليلة ، وذلك قد يكون لعدة أسباب منها :

أولاً : قد تكون هذه الطُّرق في بداية ظهورها نشأت على أُسِّس معتدلة ، وقصد سليم بمنهج يميل إلى الزهد والرقي الأخلاقي ويدعو إلى اجتناب متاع الحياة الدنيا وزخارفها . كما هو حال التصوف في بداية نشأته .

ثانياً : كان لقوة الدولة وهيبة سلاطينها الفضل في منع الأفكار المنحرفة والمناهج الباطلة من الانتشار.

ثالثاً : انشغال المسلمين بالفتوحات وكثرة الحروب وتوقد روح الحماسة الإسلامية فيهم مما لم يسمح لهذه الأفكار بالانتشار.

رابعاً : أدَّى دخول بعض أصحاب المِلل والأديان الأخرى في الإسلام تستراً ، وخوفا من القتل أو من دفع الجزية أو حقداً على الإسلام إلى بث وإدخال أفكارٍ منحرفةٍ لهدم بنيان (الدولة العثمانية) من الداخل ، ولم يجدوا مرتعاً خصباً لبث هذه السموم غير التصوف الذي استطاعوا من خلاله بث هذه العقائد بين المسلمين بكل يسر وسهولة خاصة مع جهل أتباع هذه الطرق وبعدهم عن العلم الشرعي الذي يستطيعوا من خلاله أن يفرقوا بين الحق والباطل ؛ فلقد كان أوائل الصوفية ملتزمين بالكتاب والسنة ، وقَّافين عند حدود الشرع ، مطاردين للبدع والانحرافات في الفكر والسلوك [1]، ولهذا لم تكن هذه الأفكار والنحل موجودة عندهم .

خامساً : نَشَّطَ بعض السلاطين العثمانيين الطرق الصوفية ، وشجّعوا على تقديس أصحاب الطرق وأمدوهم بالمال والنفوذ لأنهم يساعدون السلطة على تهدئة الجماهير ، ويوجهون ولاءها لطاعة السلاطين . [2] ، فمثلاً في مصر أيام الدولة العثمانية لم يكن

---

[1] التصوف بين الإفراط والتفريط . عمر عبد الله كامل . دار بن خزيمة . بيروت . ط 2 . 2004. ص / 25 : بتصرف

[2] الأمة المشلولة . محي الدين صبحي . مطبعة رياض الرَّيّس . ط 1 . 1997 م . ص / 80 : بتصرف

يُعَيَّن شيخ الأزهر إلا بموافقة شيخ مشائخ الطرق الصوفية في مصر ، مِمَّا أدى إلى انخراط بعض مشائخ الأزهر في الطرق الصوفية . [1]

وسرعان ما انحرف التصوف في الدولة العثمانية عن جادة الصّواب ، وتشعبت به السبل ، والأهواء ، وتعددت مصادره ، وصار لكل طريقةٍ منهجها الخاص ، وسلوكها المُعَيَّن الذي خرجت به ببعضها عن الإسلام لِمَا أدخلوه من عقائد فاسدة وبدع أوردوا أنفسهم ومريديهم بها موارد الهلاك ، وقد وضع متصوفة الدولة العثمانية لأنفسهم آداباً ألزموا بها أنفسهم ، وكل من سلك سلوكهم ، فَغَيَّبوا العُقول فكان بعضهم يقضي بمحبة الجهل وعدم التعلم على يد معلم أو كتاب ، وتجنب التفكير فيما يعرض لهم من ظواهر أو يساور رأسه من خواطر وآراء ، فقضوا بذلك على الحياة العلمية ، وقتلوا حيوية التفكير في أذهانهم ، وأذاعوا بأن الزهد في طلب الدنيا والاستهانة بملاذها والإعراض عن شهواتها ، إذا صحبه الانقطاع للعبادة والتجرد للذكر والتهجد والعمل بما يرضي الله ، فإن العبد سيحقق أعلى مراتب العبودية لله ويصبح من أولياء الله الصالحين ، ولَمَّا كان ادّعاء هذا النوع من التصوف ميسوراً لكل إنسان ، وكان يكفل لمدعي التدين والتصوف وافر الاحترام وبالغ التقدير، ويقبل كل مظاهر الدَّجل ، والشّعوذة ، فقد كثُر مُدّعوا الطرق في ذلك الوقت، وزاد أتباعهم ، وأضحى لهم من الأتباع والمريدين ما الله به عليم ، وصار يستعبدهم سلطان الشيوخ استعباداً فادحاً ، وكلهم يدعون القدرة على فعل الكرامات ، وإتيان خوارق العادات ، وزاد من قوة شوكتهم اعتقاد بعض الحُكَّام ، والأغنياء بهؤلاء الدَّجالين فأغدقوا عليهم الأموال ، وتقربوا إليهم بكافة الوسائل ؛ فصارت هذه الأموال حامية لهم من الفقر ، وضامنةً لهم العيش الهنيء . [2]

---

[1] الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وآثارها . عبد الله بن دجين السهيلي . كنوز اشبيليا بالرياض . ط 1. 2005 م . ص 20 : بتصرف

[2] التصوف في مصر ابّان العصر العثماني . توفيق الطويل . مطبعة الاعتماد بمصر . لم تذر سنة النشر ولا رقم الطبعة . ص / 55 – 56 : بتصرف

وانتشرت في الدولة العثمانية طرق كثيرة وكان أكبرها ، وأوسعها انتشاراً ثلاث طرق هي :

أولاً الطريقة البكتاشية :

من أكبر الطرق وأبرزها انتشاراً في الدولة العثمانية الطريقة البكتاشية وذلك لكثرة أتباعها ومريديها حتى صار السَّلاطين يهابونها ويطلبون رِضَاءَهَا ، تنسب إلى الشيخ (بكتاش ولي)* الذي يَروي عنه أتباعه الأساطير، والخوارق التي لا يستسيغها العقل السليم، وانتشرت هذه الطريقة في تركيا ، وكردستان ، وآسيا الصغرى ، وفي ألبانيا ، في القرن (الثالث عشر) الميلادي وتوثقت الصِّلة بينها وبين فرق الجيش الإنكشاري ، العقائد النصرانية والرافضية ، فهم يغالون في آل البيت – عليهم السلام – خاصَّة الإمام (جعفر الصادق)* – عليه السلام – ويحتفلون بطريقة بدعية أشبه ما تكون إلى ما يسمى (العشاء الرباني)* عند النصارى ، ويضعون على رءوسهم قُلنسوات أسطوانية ذات اثنتي عشرة طيّة إشارة إلى الأئمة (الاثنى عشر) وهم أئمة الشيعة ، ومن أهم عقائدهم الغُلو في الأولياء ، والاعتراف بخطاياهم لشيخهم ، وهم يتهاونون في أداء الفرائض كالصوم ، والصلاة ، ولا تحتجب نساؤهم [1] ، وصارت هذه الطريقة مَصيدة لكل ما ظهر من التيارات المنحرفة ، وغير السُّنِّية كالشيعيَّة وغيرها ، ولهم طقوس غريبة بعيدة كل البعد عن الإسلام وهي أشبه ما تكون بأعمال السحر والديانات الوثنية منها : تعليق المبتدئ في

---

* **محمد بن إبراهيم آتا الملقب بالحاج بكتاش يقال أن أصله من نيسابور في النصف الثاني من القرن السابع الهجري توفي سنة 1336 م ، تنسب له العديد من الخوارق والخرافات ، يعتبر مؤسس الطريقة البكتاشية التي انتشرت في الآناضول وتركيا ، ومازالت لها أتباع ومريدين إلى اليوم . ينظر معجم الصوفية. ممدوح الزوبي. دار الجيل بيروت . ط1 . 2004 ص / 68 : بتصرف**

* **أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن على بن زين العابدين بن الحسين بن على بن أبي طالب ﷺ ، أحد الأئمة ومن كبار سادات أهل البيت ، لقب بالصَّادق لصدقه في مقالته ، ولد سنة ثمانين للهجرة ، وتوفي في شوال سنة ثمان وأربعين ومائة بالمدينة ، ودفن بالبقيع . ينظر وفيات الأعيان وأنباء الزمان . شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان . تحقيق . إحسان عباس . دار صادر بيروت . ج 2 / 327 : بتصرف**

* **شعيرة من الشعائر المسيحية المقدّسة التي لا يصح التخلي عنها عندهم ، ويقولون بأن المسيح عليه السلام هو من فرضها ، يستعمل فيها القليل من الخبز ، والخمر ؛ فالخبز يشير إلى جسد المسيح المكسور ، والخمر يدل على دمه المسفوك . ينظر محاضرات في النصرانية . محمد أبو زهرة . دار الفكر العربي . لم يذكر رقم الطبعة ، ولا عددها . ص / 16 : بتصرف**

[1]. الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وأثارها . عبد الله بن دجين . السهلي مرجع سابق . ص / 94- 95

دار تعرف بدار المنصور أو مشنقة الحلاج [*] ، والاحتفال بشهر مُحرَّم وبداية العام الهجري بشكل شيعي خالص ، فيطبخ طعام اسمه عاشوراء في يوم عاشوراء وهو يوم استشهاد الحسين في كربلاء ، كما استطاعوا تجريد بعض النساء من أخلاقهن حتى أصبحت الواحدة منهن تشارك في هذه الطقوس بكل قوة ، وتتحدث مع الرجال بكل حرية.[1]

ومن مخاطر هذه الطريقة أنها حركة باطنية خبيثة لَعِبَت دَوراً أساسياً في تدمير الدولة العثمانية من خلال سيطرتها على الجيش الإنكشاري الذي كانت منتشرة في صفوفه ، وأصبح لُعبةً سياسية بيدها يُسيِّرِه شيوخها لخدمة أغراضهم وأهوائهم فصار عامل ضغط على السلطة العليا ، وهذا ما جعلهم يغضون النظر عن هذه الطريقة وما تقوم به من دور هدَّام داخل المجتمع المسلم . كما قام أتباع هذه الفرقة بإدخال العديد من الأفكار التحررية إلى الدولة العثمانية حتى قيل إن ما جاء به (مصطفى كمال أتاتورك) [*] من أفكار تحررية في ثورته : كالقول بوحدة الأديان ، والدعوة إلى السفور وخلع الحجاب ، وغير ذلك من الأفكار المنحرفة كانت مقتبسة من عقائد هذه الطريقة . [2]

---

[*] هو الحسين بن منصور وكنيته أبو مغيث ، وهو من فارس ، ونشأ بواسط بالعراق ، صحب الجنيد ، وأبا الحسين النوري وغيرهم المشائخ في أمره مختلفون . رده أكثر المشائخ ، ونفوه . لقب بالحلاج لأن والده كان يعمل في صناعة الحلج أو الصوف . له العديد من البدع والأراء الضالة رمي بالزندقة وأعدم في بغداد سنة 309 هـ . ينظر طبقات الصوفية . أبي عبد الرحمن السلمي . تحقيق نور الدين شريبة . مكتبة الخانجي القاهرة . ط 3 . 1997 م . ص / 307 – 308 . الموسوعة الصوفية . عبد المنعم الحفني . دار الرشاد . ط1 . 1992 م . بتصرف

[1] المعجم الصوفي . ممدوح الزوبي . دار الجيل بيروت . ط 1 . 2004 م . ص / 396 – 397 : بتصرف

[*] سياسي تركي ولد في (سالونيك) والتحق بالكلية الحربية ، ثم انظم إلى حزب تركيا الفتاة واشترك في الثورة التي قامت بها سنة 1908 م . وفي سنة 1919 م انضم إلى الحزب الوطني التركي وكون جيشاً خرج به عن الدولة وأقام حكومة منافسة في أنقرة عام 1922 م ليعلن استقلال السلطنة ، ويعقد مع الحلفاء معاهدة تسمى معاهدة لوزان سنة 1923 م أعلن من خلالها قيام الجمهورية التركية التي انتخب رئيساً لها . ينظر المشاهير . سعيد جودة السَّحّار . مكتبة مصر . لم تذكر سنة الطبع ولا رقم الطبعة . ص / 125

[2] الموسوعة الصوفية . عبد المنعم الحفني . مرجع سابق . ص / 67 : بتصرف

ثانياً الطريقة المولوية :

من الطرق التي انتشرت في الدولة العثمانية ، وكثر أتباعها أيضاً : (الطريقة المَوْلَوِيّة) وهي طريقة صوفية أسَّسها (جلال الدين الرومي) [*] المُلقَّب بمولانا المولود عام (406 هـ) وانتشرت تكاياها [*] في آسيا الصغرى ، وفارس ، ومصر ، وتمتاز هذه الطريقة بقيام أتباعها بحركات متناغمة مصحوبة بموسيقى الدفوف ورقصات دائرية [1] ، وكان شيخ هذه الطريقة مرتبطاً بالبلاط العثماني ارتباطاً وثيقاً سَمَحَ لهُ بتقليد السلطان الجديد سيفه . وهي منزلة لا يصل إليها إلا المقربون جداً من السلطان ، وانضمَّ لهذه الطريقة العديد من السُّذَّج ، وأصحاب البدع ، والأهواء ، والدراويش ، والمشعوذين ، وغيرهم الذين وجدوا بغيتهم فيها خاصةً في حفلات السَّماع التي كانت تقام بعد صلاة الجمعة والتي يرتدون فيها ملابس خاصة ويقومون بحركات غريبة كالرقص والدوران مصحوبة بالمدائح ، والأناشيد التي ألفها (جلال الدين الرومي) * في مدح النبي – ﷺ – كما يزعمون ، ومن عقائد هذه الطريقة : القول بوحدة الوجود ، وهي عقيدة كبرى من عقائد الصوفية نادى بها (ابن عربي)* وألَّف فيها كتابه فصوص الحكم تقضي بأن الوجود واحد ويجعل وجود الخالق عين وجود المخلوقات ، فكل ما تتصف به المخلوقات من حسن وقبيح ، ومدح ، وذم ، إنَّما المتصف به عنده عين الخالق ، ويكفي من كفرهم قولهم : إن فرعون مات مؤمناً بريئاً من الذنوب . [2]

---

[*] هو محمد جلال الدين محمد بن محمد البلخي ثم القونوي المعروف بالرومي ولد عام 604 هـ في بلخ وتوفي عام 672 هـ بقونية ويذكرونه بمولوي ، وينسبون إليه الطريقة المعروفة بالطريقة المولوية . ينظر جلال الدين الرومي بين الصوفية وعلماء الكلام . عناية الله ابلاغ الافغاني . الدار المصرية اللبنانية بالقاهرة ط 1 – 1987 م . ص / 23 – 24

[*] التكايا وهي ما تعرف بالزوايا الصوفية عند العرب . ينظر تاريخ الدولة العثمانية . أشكيب ارسلان . ص / 703 : بتصرف

[1]. معجم الصوفية . محمد الزوبي . مرجع سابق . ص / 68 : بتصرف

*** هو أبو بكر محمد بن على الصوفي سمي بمحي الدين ولقب بالشيخ الأكبر أقام بدمشق وتوفي بها من أهم مصنفاته الفتوحات المكية ينظر . معجم الصوفية . محمد الزوبي . مرجع سابق . ص / 43 – 44**

[2] عقيدة ابن عربي وحياته وما قاله المؤرخون والعلماء فيه . للإمام تقي الدين الفاسي رحمه الله . تحقيق على حسن عبد الحميد مكتبة ابن الجوزي . ط 1 . 1988 م . ص 18 – 19 : بتصرف

ثالثاً الطريقة الرفاعية :

الطريقة الرفاعية كسابقاتها ذاعت ، وانتشرت داخل الدولة العثمانية ، وهي طريقة تنسب (لأبي العباس حمد بن السيد بن أبي الحسن على الرفاعي) منسوب لقبيلة رفاعة وهي إحدى القبائل العربية [1]. ولد مؤسسها بمدينة واسط بالعراق سنة (512 هـ) وتوفّىَ بالبصرة سنة (578 هـ) ، وتقوم هذه الطريق على مجموعة من القواعد من بينها البيعة للمرشد ، والخلوة كل سنة لمدة (سبعة)أيام تبدأ باليوم الثاني من عاشوراء إلى مساء اليوم (السابع عشر) ، يصاحبها طقوس غريبة منها عدم أكل كل ذي روح ، والامتناع عن مساس النساء ، والالتزام بأوراد مخصوصة يصاحب بعضها الدفوف والطبول ، ويتحلقون عند ذكرها على شكل حلقات يَجْثُو فيها كل فرد على ركبتيه ، ويلبسون ألبسة مخصوصة كالعمامة السوداء ، ومن قواعدهم أن يكون المريد بين يدي شيخه كالميت بين يدي المُغسِّل. [2]

كما زعمت هذه الطائفة أن شيخ الطائفة الكبير (أحمد الرفاعي) قد : يسبق جميع الأولياء إلى المقامات العليا بالذل والانكسار ، وأنه طَرَقَ جميع الأبواب المُوَصلة إلى الله – تعالى – فوجدها مزدحمة بمريدي الحق ، إلا بالذل والانكسار فإنه وجده خالياً فسبق القوم منه ، وينقلون عنه أنه كان يتمرغ بتراب المقابر والطرق ، وأنه كان ينام على الطريق ويطأه الناس بأقدامهم ، وأنه كان يؤاكل الكلاب ، ويسلم عليها وعلى الخنازير ، وكان يقبل الأرض والأحذية ، ويقبل الشتم والإهانه ، والرمي بالإلحاد من غير أدنى انفعال . [3]

أضرار هذه الطرق على الدولة العثمانية :

1 . ساهمت هذه الطرق في نشر العقائد الضالة والأفكار المنحرفة التي أدَّت مع غيرها إلى إسقاط دولة الخلافة ، والتأخر بها عن ركب باقي الدول من خلال نشر العديد من العقائد الشركية والكفرية داخل المجتمع العثماني الذي كان في معظمه خاليا منها وذلك

---

[1] دراسات في التصوف . إحسان إلهي ظهير . دار الإمام المجدد . القاهرة . ط 1 . 2005 م . ص / 229 : بتصرف

[2] الموسوعة الصوفية . عبد المنعم الحنفي . مرجع سابق . ص / 180– 182 : بتصرف

[3] مجلة المنار . العدد الثالث عشر . السبت 10 يونيو 1899 م . مرجع سابق . ج 2 / 198 : بتصرف

من خلال التبرك بالأضرحة والقباب ودعوتهم من دون الله وإضفاء الخوارق على سيرهم ، والدعوة إلى ترك العبادة التي هي من أصول الدين الإسلامي كالصلاة والصوم وغير ذلك تحت زعم أن العبادة للمبتدئ أما العارف فلن يحتاجها ، وهذه هي الطامة التي أدت مع غيرها إلى سقوط الدولة ، وأكثرت هزائمها ؛ فمن المعلوم أن الله تعالى لن ينصر دولة ابتعدت عن هديه وظلت عن سبيله . قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [1]

2 . بث روح الضعف والوهن داخل (الدولة العثمانية) من خلال الدعوة للفتور والانزواء داخل الزوايا والأضرحة ، وإحياء اللَّيالي والأيام بالموالد ، والحفلات ، والأذكار المُبتدعة لتتحول الدولة من دولة فتوحات ، وجهاد في سبيل الله إلى دولة مُتواكِلة مُتخلِّفة تخاف الأموات والقبور ، وتعظمهم كما تعظم الواحد الأحد .

3 . ساهمت هذه الطرق في نشر الفواحش والفجور من خلال مشائخها وأتباعها الذين دعوا إلى التبتل والانعزال في الزوايا ، والتَّكَايَا وترك الزواج والزهد فيه ، ولا يخفى ما في هذه الفكرة من ضرر على الدولة وخاصَّة على المدى البعيد من خلال إنقاص عدد الأفراد والمقاتلين في الدولة، إضافة إلى ظهور الفواحش والفجور في المجتمع بسبب كثرة العنوسة التي ستؤدي –حتماً – إلى كثرة البغا والفجور .

4 . أدَّت هذه الطرق إلى إضفاء نوع من القدسية والحصانة على مشائخها : كـ (جلال الدين الرومي) و(ابن عربي) و(الحَلاَّج) وغيرهم مِمَّن بدَّعَهم عُلماء الإسلام وطعنوا في عقائدهم .

---

[1] سورة محمد ، الآية : 7

ب .استبعاد الشريعة الإسلامية وتحكيم القوانين الوضعية :

جاء الإسلام ، فأيقظ الشعوب ، وعزَّز فِكرة الإصلاح ، وحَمَى الحُرمات ، والحُرّيات وكرامة الإنسان ، ولم يترك حقّاً إلا شرعه ، ولا عدلاً إلا فَرضهُ ، ولا فضيلة إلاّ أوجبها ، ولا خيراً إلاَّ دعا إليه ، وحارب الاستغلال في شتَّى صوره ، واعترف بشخصية الإنسان المعنوية ومكانته الأدبية في الحياة ، فجعل له حقوقاً كفلها ورعاها ، وحذَّر من يعتدي عليها بالنار والعذاب المهين . [1]

وضمن للبشرية منهاجاً متكاملاً تسير عليه إلى يوم الدين ، قال تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ [2]

وأوجب على المؤمنين أن يلتزموا بهذه الشريعة ، ولا يحيدوا عنها ، وأن يطبقوها في كل شؤون حياتهم ، ومن رفضها فقد أخرج نفسه من دائرة الإيمان ، وألقى بها إلى موارد الهلاك ؛ لأن الله تعالى قد جعلها من شروط الإيمان ، قال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [3] ، وحكم على من كل من أنكر هذه الشريعة ، وردها ، ورأى أن في تشريعات البشر ما هو خير منها بالكفر قال تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [4] وقد جعل الله الحكم له وحده فلا ينبغي أن يتحاكم الناس إلى شيء إلاَّ لشريعته هو وحده لأنه هو الأعلم بمصالح الخلق ومنافعهم من أنفسهم ، قال تعالى : ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ الْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴾ [5] وقال تعالى : ﴿ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴾[6]

فالقوانين التي وضعها الناس لأنفسهم ، لم تكن يوماً صالحةً ولا عادلةً ؛ فهي إن عالجت جانباً أسقطت جانباً آخر لأنها من تشريع البشر ، والبشر يخطئ ويصيب وقد

---

[1] الإسلام والحضارة الإنسانية . محمد عبد المنعم خفاجي . دار الكتاب اللبناني . بيروت . 1998 م . ص / 75: بتصرف

[2] سورة المائدة ، الآية : 3

[3] سورة النساء ، الآية : 65

[4] سورة المائدة ، الآية : 44

[5] سورة الأنعام ، الآية : 57

[6] سورة الأنعام ، الآية : 62

تأخذه العاطفة فيُشرِّع تشريعاً يظلم فيه غيره ، فبعض القوانين التي وضعها الناس لأنفسهم، كالتي رفضت القصاص ، وتهاونت مع المجرمين بدأت تجني نتائجها المُرّة على من عمل بها من الدول لأنها من الناحية الإنسانية فقدت التمييز بين الخير والشر ، والحسن والقبيح والعدل والظلم ، ولأنها من الناحية الدِّينية نسيت الله ، وجحدت حقه في الحكم بين عباده[1]، وعلى العكس من ذلك فمتى طَبَّق المجتمع أحكام الإسلام كاملة ، ونظامه طابت الحياة واتسمت بالسعادة ، وساد المجتمع الأمن والاستقرار والرخاء حتماً ، واحتُرِمت الدماء والأعراض ، والأموال بكل ما يدل عليه هذا اللفظ من معنى ، وتعاونوا فيما بينهم على الخير والبر والتقوى ، وصلحت أمور الخاصة والعامة حالاً ومآلاً ، دنيا وأخرى حتماً، ولم يجد الفساد والشقاء له مكاناً يضع فيه قدماً واحدة . [2]

لأن الحُكْمَ بِما أنزل الله ، وقبول الحكم بما أنزل ، والرضا القلبي والتسليم التام له ، من عناصر عبادة العبد لربه ، وهو ثمرة كبرى من ثمرات الأيام ، وذلك لأن من عناصر الإيمان بالله – جل وعلا – الإيمان بأنه حكم عدل ، وأن شريعته هي أحكم الشرائع وأعدلها [3] والدولة العثمانية أخذت في بداية عهودها منهج الله وشريعته منهاجاً تسير عليه، وتحكمه في كل أمور حياتها فأعزها الله وأعلى شأنها وجعل عروش الكفر تتهاوى أمام جيوشها واحداً تلو الآخر، ولكنها عندما استبدلت شرعة الله بقوانين البشر سرعان ما عرف الخراب طريقه إليها ، وحلَّ بها الدمار، والخراب المبين فاستطاعت شرذمة من شُذَّادِ الآفاق أن تنهي أمرها وتقتلعها من جذورها التي ظلت راسخة قروناً من الزمن لتكون درساً لجميع دول الإسلام فتعرف أن عذاب الله قريب ، وأن بأسه إذا وقع لايوقفه شيء ، وأن الذي يستبدل شريعة الله بقوانين البشر لا كرامة له عند الله ، ولا خَلاَق وكانت المحاولة الأولى للعثمانيين في تقليد الغرب في أنظمته وقوانينه الوضعية تعود بدايتها إلى محاولة تقنين الأحكام الشرعية التي لا تزال مطبقة في الأراضي العثمانية منذ النشأة لإصدارها

---

[1] قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة . محمد الغزالي . دار الشروق . ط 6 . 2002 م . ص / 201

[2] حكمة الحجاب . محمد بن محمد المنصور . دار الفرقان . الأردن . ط 1 . 1988 م . ص / 7 : بتصرف

[3] بصائر للمسلم المعاصر . عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني . دار القلم . دمشق . ط 3 . 2000 م . ص / 204: بتصرف

قوانين وأنظمة تشابه القوانين والأنظمة الغربية ؛ فأصدروا ثلاثة قوانين ، وإن كانت إسلامية . لكنها كانت تقليداً للنمط الغربي وهي :

1 . **مجلة الأحكام** : وهي أول تقنين وتنظيم للأحكام صدرت سنة (1293 هـ)

2 . **قانون حقوق العائلة** : وصدر سنة (1336 هـ).

3 . **قانون أصول المحاكمات الشرعي** : وصدر سنة (1336 هـ) . [1]

واستمرت الدولة في الابتعاد عن شريعة الله ومنهجه شيئاً فشيئاً بشكل تدريجي ، ويبدو أنَّ الذي تنازل عن الجزء سوف يتنازل عن الكل ولهذا بدأ هذا السيل في التدفق شيئاً فشيئاً؛ فقامت بفرض القوانين الوضعية تحت اسم خُطى الإصلاح المزعوم فأُنشئَ مجلس للنواب ليشرِّع القوانين ، كقانون التجارة المعروف بالتركية باسم (قانوننامه تجارت) الصادر عام (1850 م) الذي أُخِذ من قانون التِّجارة الفرنسي ، وكان بمثابة أول قانون يُؤخذ عن مصدر أجنبي ، ثم جاء قانون العقوبات المعروف باسم (جزا قانوننامه سي) الذي صدر سنة (1858 م) والذي أُخذ قسم كبير من أحكامه من قانون العقوبات الفرنسي الصادر عام (1810 م) وفي عام (1863 م) أُعِدَّ قانون التجارة البحرية المعروف باسم (تجارت بحرية قانوننامه سي) [2] . وأُصْدِرت قوانين تتناول تنظيم المجتمع منها قانون الأراضي وقانون الولايات عام (1864 م) [3]

كما ظهر ما يعرف بـ (الدستور العثماني) ففي القسم الثاني منه وهو متعلق بالحقوق العامة لرعايا الدولة يؤكد أن جميع رعايا الدولة يطلق عليهم عثمانيون بغض النظر عن ديانتهم ، وأن جميع العثمانيين سواء أمام القانون مهما اختلفت دياناتهم ، ولهم كل الحقوق وعليهم كل الواجبات ، كما أقر الدستور أن الحرية الفردية مصونة ولا تنتهك وكفل حرية العبادة لغير المسلمين ، وسمح بإنشاء المحاكم المدنية المختصة بالقوانين الوضعية . [4]

---

[1] تاريخ القضاء في الإسلام . محمد الزحيلي . دار الفكر بدمشق . 2001 م . ص / 452 : بتصرف

[2] الدولة العثمانية تاريخ وحضارة . محمد عاكف آيدين وآخرين . ترجمة صالح سعداوي . استانبول . 1999 م . ج 1 / 516 – 517 : بتصرف

[3] موسوعة تاريخ العرب . مجموعة من المؤلفين . دار البحار بيروت . ط 1 . 2006 م . ص / 220– 222 : بتصرف

[4] الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها . عبد العزيز الشناوي . مرجع سابق . ج 4 / 1762 – 1766 : بتصرف

وهكذا نجح الأعداء في إزاحة الشريعة الإسلامية من الدولة ؛ لأنها كانت تقف حجر عثرة في طريقهم ؛ فقد كانت حاجزاً ضخماً يصدُّ الاحتلال الصليبي ويقف في وجه أهدافه الخبيثة التي ترمي إلى عدّة أشياء من بينها : تنصير المسلمين الذي كان تطبيق حد الرِّدة يحول دون وقوعه ، ونشر الفاحشة الذي كان تطبيق حد الزنا يحول دون وقوعه أو في التقليل منه ، وكانوا يريدون أن ينشروا الخمر ، وكان تطبيق حد الخمر يحول دون ذلك ، وكانوا يريدون استغلال أموالهم بالرِّبا وكان تحريم الربا في الشريعة الإسلامية يحول دون ذلك ، وكانت إلى جانب ذلك خطراً على الاحتلال من جهتين اثنين :

الأولى : حثَّها على الجهاد وهو أشد ما تفزع منه الصليبية ، لأنه هدَّم بنيانها وقيَّض أركانها ومنعها من استعباد الناس باسم الدين ، وأكل أموالهم بالباطل التي استحلها الرهبان، والقساوسة ، والإسلام لا يرضى بكل هذا ، ولهذا حاربوه بكل ما أوتوا من قوة ؛ لأنهم يعلمون أن قوة المسلمين الكبرى ليست في عددهم ، ولا عدتهم ، وإنما يكمن السر في قوة العقيدة ، والتمسك بشرائع الإسلام .

الثانية : توكيد إحساس المسلم بإسلامه ، ومن ثم استمساكه به ، والاعتزاز به . إذ أنه يعطي المسلم إحساسا بالتميز على كل الخلق ؛ لأن شريعته ربّانية ، وشرائع الناس بضاعة بشرية لا ترقى إلى ما جاء من عند الله . فيكون هذا حاجزاً ضخماً بين المسلمين وبين الذوبان في الغرب ، الذي يشتهيه الغرب المسيحي [1] ولهذا عندما احتل الأعداء ديار المسلمين لم يستطيعوا أن يزيلوا الهوية الإسلامية عن معتنقيها أو حتى ينقصوا من مكانتها ، وإن نقصت قليلاً فسرعان ما عادت كما كانت وأشد بكثير .

النوع الثاني : ظلم الأفراد أنفسهم (الذنوب والمعاصي)

عندما دخل الأتراك الإسلام وضعوا كل قدراتهم في خدمة العقيدة التي اعتنقوها، فامتدت رقعة الإسلام على أيديهم ، وأسلم الملايين من البشر بسبب جهادهم وسلوكهم الراقي الذي جسد الإسلام ، ولكن هذه الحمية أصبحت تخبو شيئاً فشيئاً ، وأصبح الداء الذي يصيب الأمم يسري في هذه الأمة فكثرت الذنوب ، واستحلت المحارم ، وانتهكت

---

[1] المستشرقون والإسلام . محمد قطب . مكتبة وهبه بالقاهرة . ط 1 . 1999 م . ص / 303 : بتصرف

الأعراض ، وانتشر الحرام . دون أن يعلموا " أن مخالفة شرع الله بارتكاب ما نهى عنه ، وترك ما أمر به سبب أكيد من أسباب حلول المصائب ، والنكبات " [1] قال تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴾ [2]

والمعاصي من أسباب استجلاب سخط الله تعالى ، وحلول الهزائم . فقد منعت مخالفة بعض المسلمين لأوامر رسول الله – ﷺ – في غزوة أحد من النصر " فخطأ واحد مع كل الفضائل المجتمعة ، ما حال دون العقوبة والجزاء " [3]

فسُنّةِ الله في خلقه مضت أنه لا يمنحهم العون أو التأييد إلا إذا كانوا أهلاً لذلك ، حتى إذا ما مكن لهم يكونون كما قال سبحانه : ﴿ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴾ [4]

وما زالت وصايا (عمر) – رضي الله عنه – لأمراء الجيوش الإسلامية وجندها إبَّان الفتوحات تَرِنُّ في الآذان : إذ قال (لسعد بن أبي وقاص)* – رضي الله عنه – حين أَمَّرَهُ على العراق : يا سعد بن وهيب لا يغرنك من الله أن قيل : خال رسول الله – ﷺ – وصاحبه فإن الله لا يمحو السَّيِّئَ بِالسَّيِّئَ ، ولكن يَمحُو السَّيِّئَ بالحسن ، وأنَّ الله ليس بينه وبين أحد نسب إلا بطاعة ، فالنَّاس شريفهم ، ووضيعهم في ذات الله سواء ، الله ربهم وهم عباده يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عند الله ، فانظر الأمر الذي رأيت رسول الله – ﷺ – منذ بعث إلى أن فارقنا عليه فالزمه ، فإنه الأمر . هذه عِظتي إيَّاك ، إن تركتها ورغبت عنها حبط عملك ، وكنت من الخاسرين . [5]

---

[1] المستفاد من قصص القرآن . عبد الكريم زيدان . مرجع سابق . ص / 347

[2] سورة الشورى ، الآية : 30

[3] غزوة أحد . شوقي أبو خليل . دار الفكر دمشق . 1999 م . لم يذكر رقم الطبعة . ص / 8

[4] سورة الحج ، الآية : 41

* هو الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص بن أهيب بن عبد مناف القرشي أحد العشرة المبشرين بالجنة والسابقين للإسلام شهد بدرا ، وأحد ، والحديبية له في الصحيحين خمسة عشرة حديثاً ، ومن مناقبه أنه كان مجاب الدعوة ، وأن الله تعالى قد فتح على يديه بلاد فارس ، توفي سنة خمس وخمسين للهجرة ودفن في المدينة المنورة . ينظر سير أعلام النبلاء . أبي عبد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي . ترتيب حسّان عبد المنان . طبع بيت الأفكار الدولية بيروت . ط 2 . لم تذكر سنة الطبع . ج 2 / 1784 – 1785

[5] آفات على الطريق . السيد محمد نوح . دار الوفاء . ط 13 . 1993 م . ج 2 / 39– 40

كما كَتَبَ إليه ومن معه من الأجناد : أمَّا بعد .. فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال فإن تقوى الله أفضل العدَّةَ على العدو ، وأقوى المكيدة في الحرب، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشدَّ احتراساً من العاصي منكم من عدوكم . فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم ، ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لأن عددنا ليس كعددهم ، ولا عدتنا كعدتهم . [1]

وتنوعت المعاصي داخل المجتمع العثماني بين كبائر وصغائر ومن بينها :

أ . الكفران بنعم الله تعالى :

لقد أنعم الله تعالى على العثمانيين بنعم لا تُعد ولا تُحصى فمكن لهم في الأرض، وأعطاهم مُلك الآخرين ، ورزقهم من كل الطيبات فجحدوا نعمة الله وأحلوا قومهم دار البوار، وتناسوا نعم الله التي لا تعد ولا تحصى ، فأقصوا شرعه وبدلوه بقوانين الغرب الملحد ، واختاروا الذي هو أدنى وتركوا الذي هو خير ، فحصل لهم ما حصل للقرية التي ذكر الله أخبارها في القرآن الكريم ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [2]

فهذه القرية كانت آمنة مطمئنة ، أي في مأمن من الإغارة عليها من خارجها ، والأمن من أعظم نعم الله تعالى على البلاد والعباد ، وهي أيضاً لديها مقومات الحياة ؛ فلا تحتاج إلى غيرها ؛ فالحياة فيها مستقرة مريحة ؛ لأنهم قد تمت لهم النعمة ، واكتملت لديهم وسائل الحياة الكريمة الآمنة الهانئة فما كان منهم إلا أن كفروا بنعم الله ، واستعملوها في مصادمة منهج الله وشريعته ، فكانت النتيجة [3] ﴿ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾ [4]

فبالذنوب والمعاصي ، وكفران النعم يُغَيِّرُ الله ما بالأنفس ، ويُنزِّل نِقمه ، ويُبدِّل نِعمه، ويُحوِّل العافية إلى بلاء ، والسَّرَّاء إلى ضرّاء ، والنِّعماء إلى بأساء ، والغِنَى إلى فقر ،

---

[1] المرجع السابق . ج 2 / 39– 40

[2] سورة النحل ، الآية : 112

[3] هذا ديننا . محمد متولي الشعراوي . دار الروضة بالقاهرة . 2004 م . ص / 180

[4] سورة النحل ، الآية : 112

والُيسر إلى عُسر ، والوَحدة إلى تفرق ، والنَّصر إلى هزيمة [1] ، وهذا ما حدث (للدولة العثمانية) عندما انحرفت عن منهج الله القويم وطريقه المستقيم .

انتشار الرشوة والفساد:

قال تعالى : ﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ ﴾ [2]

في هذه الآية إشارة تكشف عن سنة من سنن الله في الأمم فالأمة التي يقع فيها الفساد في أي صورة من الصور ولم يجد من يَنْهَ عنه فإن سنة الله تحق عليها ، إما بهلاك الاستئصال ، وإما بهلاك الانحلال ، والاختلال . [3]

وقد انتشرت داخل الدولة العثمانية الرشوة ، واستهان بها الناس لبعدهم عن الدين ، وإقصائهم لشريعة الله فانتشرت بين الموظفين ، ووصلت الوزراء وعلية القوم فقد كان الوُلاة يشترون مناصبهم ، ثم يُحصِّلون ما دفعوه من سكان الولايات عن طريق أكل أموال الناس بالباطل بفرض الضرائب ، والرسوم الفادحة على السكان [4]، وأصبحت حتى ترقية القوَّاد لا تتبع الكفاءة الشخصية والجدارة بل بمقدار ما يدفعونه من الرشوة لولاة الأمور، وبطانة السلطان . [5]

لقد قيل إن حكَّام الولايات كانوا يشترون مناصبهم كل عام بالهدايا من الصدر الأعظم (محمد صوقلي) الذي كان يُعطي المناصب الشاغرة لمن يدفع أكثر ، وأكثر من هذا أنه كان يقبل الهدايا من الدول الأجنبية ؛ فقد سدَّد القيصر الألماني سِراً ثلاثة أضعاف إحدى الهبات الحولية بموجب معاهدة بينهم وبين الدولة العثمانية ، ليحتفظ الصدر الأعظم بالضعفين لنفسه ، وتذرَّعُوا بأعذار واهية من أجل استحلالها ، ومضاعفة قيمتها كحاجة الدولة للمال بسبب الحروب ؛ فَبَغَّضَت الناس في حكم الدولة العثمانية ، وأصبحت

---

[1] تفسير سورة الرعد . يوسف القرضاوي . تحقيق . محمد عوض . مكتبة وهبه بالقاهرة . ط 1 . 1998 م . ص / 154 : بتصرف

[2] سورة هود ، الآية : 116

[3] في ظلال القرآن . سيد قطب مرجع سابق . ج 4 / 1932

[4] الإسلام في الفكر الأوروبي . محمد شامة . مكتبة وهبة مصر . ط 1 . 1980 م . ص / 100 : بتصرف

[5] دراسات في التاريخ الإسلامي . محمود محمد زيادة . مرجع سابق . ص / 590 : بتصرف

الضرائب مرادفةً للظلم والاستبداد، وزاد من هذا التعسف ترك الدولة للولاة الحرية الكاملة في أخذ أموال الناس بالباطل ، وأن يجمعوا ما يريدون من الضرائب [1] ؛ فبعض الضرائب صارت ثابتةً كالضريبة التي تسمى ضريبة (العوارض) أي الطوارئ ، وكانت قد فرضت بعد ارتفاع الأسعار وعجز الخزانة ، والتضخم الاقتصادي الذي أصاب الدولة .[2] وضريبة (رسم باغ) أي ضريبة الكروم والتي تجبى عن محصول العنب بعد جمعه وضريبة (رسم شرا) أي ضريبة حطب الإيقاد التي تجبى عن محصول العسل الأسود ، وضريبة (رسم بوقسان) وهي تؤدى عن حقول الشَّمَّام والبطيخ ، وضريبة (العشر) التي تجبى عن محصول القطن وعن الحرير والكلأ ، والعشب ، وصيد الأسماك . [3]

انتشار الفسق والفجور :

لقد كانت الفواحش سبباً في إفناء العديد من الدول وهدم بنيان الكثير من الحضارات فهي ما حلَّت في ساحة قوم إلاَّ وأفنتهم ، ولهذا نهانا الله – ﷻ – عن الاقتراب منها ليسد كافة الطرق التي توصل لها ، قال تعالى في كتابه العزيز : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ ﴾ .[4]

وعندما حلت هذه الفواحش في قوم لوط – عليه السلام – صارت سبب دمارهم وفنائهم ، وإبادتهم من على وجه الأرض، وجعلهم عبرة لمن يعتبر، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾ . [5]

ومازالت الفواحش سبباً رئيسياً في سقوط الدول ، وزوال الأنظمة والحضارات كالحضارة الإغريقية ، والرومانية والفارسية ، وغيرها . فهذه المدينة الإيطالية (بومبى) التي وُصِفت بأنها رمز انحلال الإمبراطورية الرومانية ، والتي كانت تُمَارَسُ فيها الفواحش أمام الجميع ودون رادعٍ أو ناهٍ ؛ فكانت نهايتها مشابهة لنهاية قوم لوط ، حيث تشير

---

[1] عالم الإسلام . حسين مؤنس . الزهراء للإعلام العربي . 1989 م . لم يذكر رقم الطبعة . ص / 369 : بتصرف

[2] الدولة العثمانية تاريخ وحضارة . اكمال الدين احسان اوغلي . مرجع سابق . ج 1 / 49

[3] نفس المرجع . مج 1 / 640– 641 : بتصرف

[4] سورة الأنعام ، الآية : 151

[5] سورة هود ، الآية : 82

السِّجِلاّت التاريخية إلى أن هذه المدينة كانت مركزاً لِمُمَارسة الشهوات الشاذة لدرجة أنه لم يكن من المُمْكن عَدُّ وإحصاء بيوت الدعارة فيها ؛ فأهلكها الله تعالى بالحِمَم البركانية التي انهالت عليها من بركان يُسمّى (فِيزُونْ) من كل مكان مؤذنة بخراب عمرانها وهلاك أهلها فأزالتها هذه الحِمَم المُتوقِّدة من الحياة ، ومحت آثارها من على الأرض ، ولم تترك أحداً من هؤلاء القوم الذين بدلوا فطرة الله السليمة بالشُّذوذ فأذاقهم الله العذاب الذي يستحقونه ، وقضى عليهم فجأة حتى وُجد بعضهم متحجراً على الحالة التي مات عليها[1]، وانطبق عليهم قول الحق سبحانه وتعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴾ .[2]

وفي العصر الحديث اعترف المؤرخون بأن السبب الرئيس في سقوط (باريس) عاصمة فرنسا ، واستسلام الجيش الفرنسي أمام جيش الألمان خلال اسبوعين هو الانغماس في الشهوات ، والانكباب على الملذات .[3]

وأمَّا الدولة العثمانية فقد كان السبب الرئيس لزيادة انتشار الفواحش داخلها هو الانبهار بالغرب وحضارته الزائفة التي قامت على إشباع الجانب المادي لدى الإنسان ، وإغفال الجانب الروحي ممَّا أوجد خللاً فادحاً في بنيان هذه الحضارة .[4] لتغليبهم روح المادية على الدين والأخلاق ، وهذه المادية لا مجال فيها لمخافة إله في السماء عليم وقدير ، ولا وزن فيها لنبوة ولا لوَحْيٍ أو إلهام ، ولا تصور فيها لحياة أخرى بعد الموت، ولا خوف من المحاسبة على أعمال الدنيا كما لا وجود فيها لمسؤولية ملقاة على الإنسان، ولا إمكان فيها لمقصد أو غاية أجل وأسمى من المقاصد الحيوانية لحياة الإنسان.[5] وانتُزع الدين والتدين من قلوب الناس إلا القليل مِمَّن عصمهم الله فانتهكت الأعراض، وتحول المجتمع العثماني الذي لم يكن يوماً يعرف شيئاً من هذه الأدران إلى مجتمع مُفَرَّغ من كل

---

(1) الأمم البائدة . هارون يحي . مرجع سابق . ص / 65 : بتصرف

(2) سورة المائدة ، الآية : 31

(3) سلسلة مدارس الدعاة . عبد الله ناصح علوان . دار السلام مصر . ط 6 . 2008 م . ج 1 / 58 : بتصرف

(4) أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة . حمد بن ناصر العماد . دار اشبيليا بالرياض . ط 3 . 1998 م . ص / 349 : بتصرف

(5) نحن والحضارة الغربية . أبو الأعلى المودودي . مؤسسة الرسالة .لم يذكر رقم الطبعة ولا سنة النشر. ص 21 : بتصرف

القيم الأخلاقية فانتشرت الحانات وبيوت الدعارة في الكثير من المدن العثمانية . لقد كانت (استانبول) عاصمة الخلافة الإسلامية وَاحدةً من أنظف مدن العالم في مجالات العلاقة بين الرجل والمرأة ، فلما دخلها الغربيون تحت مظلة الإصلاح والتحديث ، ولمَّا غزتها قوانين أوروبا الوضعية أخذ الطلبة الأتراك يذهبون إلى عواصم الغرب ويرجعون بالشهادات أو بدونها .. بدأ الوهن يدب في جسم الدولة وتظهر فيها عادات الغرب شيئا فشيئاً . [1]

ولكثرة الجواري جرى تقسيمهن بحسب مواهبهن ، فهناك قسم كان يتعلم العزف على الآلات الموسيقية والغناء ، وقسم آخر منهن يفضلن التمثيل ، وفي أيام معلومة من الأسبوع يأتي المدرسون الخصوصيون لتعليمهن العزف على مختلف الآلات كالناي ، والدف ، والمزمار ، والطنبور ، وغيرها في مكان يعرف باسم (مشفخانة) [2] ، وفي مصر التي كانت تابعة للدولة العثمانية يصور الشيخ (محمد رشيد رضا) صاحب تفسير المنار حال أهل الإسلام في القاهرة حيث يقول : أرى الرجال من جميع الطبقات يتعرضون لكل من عليها مسحة من الجمال يغازلونها ، ويتنازعونها وإن لم يروا منها عيناً خائنة ، أو إشارات شائنة أرى من الرجال من يمد يده إلى المرأة المتبرقعة في الشارع كأنما هي حليلته في زاوية بيته . [3]

أمّا عن انتشار الخمور بين كبراء السياسة في الدولة فيقول السلطان(عبد الحميد) : – رحمه الله – في مذكراته مُتحدِّثاً عن اجتماع حصل في قصر (مدحت باشا)* : إنهم اجتمعوا لا ليتحدثوا في أمور الدولة ، بل في السكر والعربدة ، وهم يحتسون الخمر ،

---

[1] المرأة المسلمة من منظور غربي . عماد الدين خليل عمر . التغيير للنشر والإعلان . أربيل بالعراق . ط 1 . 2008 م . ص/ 6 – 7 : بتصرف

[2] الدولة العثمانية تاريخ وحضارة . إكمال الدين إحسان اوغلي . مرجع سابق . مج 1 / 590

[3] مجلة المنار . مرجع سابق . مج 3 / 503 – 504 : بتصرف

*** يعرف بأحمد شفيق. توظف في الديوان بالباب العالي وعين عام 1860 م والياً على مدينة نيش ثم عين واليا على مدينة الطونة عام 1864 م وتدرج في المناصب حتى عين صدرا أعظم في عهد السلطان 1872 م . تعلم العربية والفارسية وأجادهما ، وكان من قاد وأعضاء ما يعرف باسم جمعية (تركيا الفتاة) . ينظر مذكرات السلطان عبد الحميد . ترجمة محمد حرب . دار القلم . دمشق . ط 3 . 1991 م . ص / 273 : بتصرف**

ومدحت باشا يدمن الخمر منذ شبابه وقد شهر هذا عنه ، وعندما نهض مدحت باشا من على مائدة الأكل خرج مستنداً على أذرع الآخرين حتى لا يقع على الأرض . [1]

النوع الثالث : ظلم الحاكم للرعية

إذا صلح الحاكم صلحت الرعية ، وإذا فسد الحاكم فسدت الرعية ولهذا جعل الله تعالى فرعون يقدم قومه إلى النار يوم القيامة ، قال تعالى : ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ۖ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴾ [2] ، وأطاعه جنوده فأصابهم العذاب الذي أصابه جزاء عصيانهم لأوامر الخالق ، واتِّبَاعِهم لأوامر المخلوق ، قال تعالى في كتابه العزيز : ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾ [3] ومنزلة السلطان للرعية بمنزلة الروح للجسد ، فإذا صفت الروح من الكدر سرت إلى الجوارح سليمة ، وسرت في جميع أجزاء الجسد ، فأمن الجسد من الغير، واستقلت الجوارح والحواس ، وانتظم أمر الجسد ، وإن تكدرت الروح أو فسد مزاجها ، فيا ويح الجسد فتسري إلى الحواس والجوارح كدرة منحرفة عن الاعتدال ، فأخذ كل عضو وحاسة بقسطه من الفساد ، فمرضت الجوارح وتعطلت ، فتعطل نظام الجسد ، وجر إلى الفساد والهلاك .[4] ورزق الله الدولة العثمانية حُكَّاماً صالحين في بداية تأسيسها نهضوا بها ، ورفعوا رايتها عالية في سماء الأمم هدفهم إعلاء كلمة الله ، ونشر دينه ، وكان كل واحد منهم عند موته يوصي خليفته من بعده بحماية دين الله ، والموت في سبيله .

ولكن هذه الحالة لم تدم طويلاً ، وانتهى هذا العهد الزاهر بوفاة السلطان (سليمان القانوني) وإن كان في بعض من جاء بعده خير كثير ، ولكنهم لم يصلوا إلى مستوى السلاطين الأوائل الكبار عدا السلطان (عبد الحميد الثاني) رحمه الله .

وكان لانتشار الصراع على الحكم بين الأخوة ، وتولى الحكم سلاطين صغار غير

---

[1] مذكرات السلطان عبد الحميد . مرجع سابق . ص / 77 : بتصرف

[2] سورة هود ، الآية : 98

[3] سورة القصص ، الآية : 8

[4] سراج الملوك . لأبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي . تحقيق . محمد فتحي أبوبكر . الدار المصرية اللبنانية . القاهرة . ط 1 . 1994 م . ص / 205 : بتصرف

قادرين على تسيير الدولة ، والنهوض براية الجهاد ، وصار الدِّينُ لا يعني لهم شيئاً بعد أن كان أجدادهم يخوضون المعارك الطاحنة في بقاع الأرض لنشره ، ورفع رايته ، وتوارت الخلافة في بيت واحد فتولى الملك رجال سفهاء ، وتطرق الخبال إلى الدماغ الذي يدير شؤون الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها فترنح الجسم كله ، وصار على شفا هاوية ، وكان هذا يحدث في بلاد المسلمين بينما كانت دول أوروبا تلم شعثها ، وتنظم شؤونها ، وتستعد لنهضة علمية بعيدة المدى . [1]

وفيما يلي أذكر نماذج من ظلم الحكام في الدولة العثمانية :

لقد تنوع ظلم الحكام في (الدولة العثمانية) بين ظلمهم لأنفسهم بارتكابهم الذنوب والمحرمات ، وبظلمهم لرعيتهم بالاضطهاد والجور ، وعدم الاهتمام بها ، وظلم الحُكَّام من أقوى أنواع الظلم ، وأخطره ؛ فأكثر أسباب انحطاط المسلمين من قبل بعض حكَّامهم ؛لأن الحُكَّام هم من بيدهم زمام الشعوب وقد قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾ . [2] وقد أساءوا إلى المسلمين من جهتين : من جهة تنازعهم على الخلافة أو الإمارة أو السلطة ، ومن ناحية أخرى : إمعانهم في شهواتهم ولهوهم وجباية الأموال بالقتل أو المصادرة ، وعكوفهم على الخمر، والنساء . [3]

أ . ترك الجهاد :

الجهاد ذروة سنام الإسلام فما تركه قوم إلا ذلوا ، وسلَّط الله عليهم أعداءهم ولهذا أمر الله به ، وجعله واجباً على المسلمين إذا توفرت شروطه ، قال تعالى في كتابه العزيز : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [4] وقال تعالى : ﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [5]

---

[1] الإسلام والاستبداد السياسي . محمد الغزالي . دار القلم دمشق . ط 1 . 2003 م . ص / 200 : بتصرف

[2] سورة الإسراء ، الآية : 16

[3] يوم الإسلام . أحمد أمين . مؤسسة هنداوي للطباعة بالقاهرة . 2014 م . لم يذكر رقم الطبعة . ص / 90

[4] سورة المائدة ، الآية : 35

[5] سورة التوبة ، الآية : 41

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ . [1]

وعن أبي هريرة – ﷺ – قال: قال رسول الله – ﷺ – : (من مات ولم يغزو ولم يحدث به نفسه مات على شعبة من نفاقٍ) . [2]

وعن أبي موسى الأشعري – ﷺ – قال : قال رسول الله – ﷺ – : (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله) . [3]

والحاكم الصالح يسعى إلى قمع الفساد ، وإعلاء كلمة الله في الأرض ، فلا يكتفي بالبقاء في بلده ما دام يستطيع الخروج إلى خارجه ، كما فعل ذو القرنين حيث سار غرباً وشرقاً للقضاء على الفساد في الأرض وإعلاء كلمة الله فيها ، وعلى هذا فإن الحاكم المسلم إذا أوتي قوة كافية فعليه الخروج والزحف إلى الدول الكافرة ، وإخضاعها إلى حكمه وإن هي رفضت الإسلام ، فما ينبغي للكفر والكافرين أن يحكموا ويتحكموا في رقاب العباد ولأن حكم الطواغيت في الأرض منكر عظيم ، ومن واجب الحاكم المسلم ودولته المسلمة إزاء هذا المنكر ، وإزالته من مظاهر الدعوة إلى الله ، وإعلاء كلمة الحق [4] ومنذ العصور المتأخرة لم يخرج خليفة بنفسه على رأس جيشه في أغلب المعارك ، فوقعت الدولة تحت سيطرة الوزراء ، والقادة ، وأصبح حكام الولايات ملوكاً في ولاياتهم فكثرت الثورات ، وانتشرت الرشوة لدرجة أن سلطة الموظفين المدنيين فاقت سلطة العسكريين ، فأصبحت مصالح الشعب تحت رحمة المنافع الشخصية . [5]

ب . تحكيم القوانين الوضعية :

لقد ابتليت الدولة العثمانية في عصور الانحطاط بحكام خونة عملوا على نقض عرى الإسلام عروة عروة فكانت أول ما طالته أيديهم من عرى الإسلام : الحُكم ، فتداعوا فيما

---

[1] سورة الحجرات ، الآية : 15

[2] أخرجه مسلم . كتاب الإمارة . باب ذم من مات ولم يغزو ، ولم يحدث نفسه بالغزو . حديث رقم (1910)

[3] أخرجه البخاري . كتاب الجهاد . باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا . حديث رقم (2810)

[4] المستفاد من قصص القرآن . عبد الكريم زيدان . مرجع سابق . ص / 350

[5] الإسلام في الفكر الأوروبي . محمد شامة . مرجع سابق . ص / 110

بينهم أن هَلُمُّوا لمحو الشريعة الغراء وتحكيم القوانين الجاهلية البلهاء ، وعاونهم في ذلك الاستعمار الذي رباهم على عينه ، ونشَّأهم على كراهية الشريعة ، وحب القوانين الوضعية فكان أول من عمل على هدم الشريعة الإسلامية ، واقتلاع بنيانها الراسخ (محمد على) * الذي التقطته فرنسا وعاونته ليكون شوكة في خصر(الدولة العثمانية) ، وما لبث أن تلقفته انجلترا ، فدربوا جنوده ، وسلَّحوا جيشه ، حتى صاروا قوة كبرى في مواجهة (الدولة العثمانية) ، ثم كروا عليه فحطموا جيشه وهدموا قوته ، وألزموه الصغار بعد أن أدّى دوره المطلوب في معاونة المستعمر الأوروبي . [1]

ج . انتشار الفجور والمحرمات بين السلاطين ووسط قصورهم :

انحرف بعض السلاطين عن هَدْي الدين ، فاستعبدوا الرعية ، وأذلوها حتى صارت طعمة لكل طاعم ، وبلغت المهانة من الأمة أن صارت تقدس الملوك والأمراء الذين يمتصون دماءها ويهتكون أعراضها ، ويستلبون أموالهم ، وقد بلغ من أمر السلاطين أن أحد المارقين قال : إن حبِّي للسلطان أشد من حبي لله تعالى فأمر له السلطان (بخمسمائة) جنيه جزاء هذا التهور . [2] وصار هَمُّ بعض السلاطين الانكفاء على الملذات، وشرب الخمور، ومنادمة الجواري والنساء ، ولا ينتظر من سلطان قضى عمره بين أحضان النساء أن يكون مدافعاً عن دولة الإسلام وحامي حماها .

ومن أمثلة ذلك أن جارية من أهل البندقية اتخذها السلطان (مراد الثالث) ضمن حريمه ، فارتقت حتى أصبحت هي السلطانة ، وما لبثت حتى أصبحت هي المسيطرة على سياسة الدولة الداخلية والخارجية ، وبقيت السلطة في يدها ثمانية وعشرين عاماً ، تُعَيِّن من تشاء للصدارة العظمى وغيرها من الوظائف الكبرى ، وانتقلت السلطة بعدها إلى

---

* **هو محمد على باشا ابن إبراهيم آغا بن علي المعروف بمحمد الكبير . ألباني الأصل مستعرب ، ولد في اليونان وكانت تابعة للدولة العثمانية . احترف تجارة الدخان فأثرى . صار واليا على مصر سنة 1220هـ كافأته الدولة العثمانية بأن جعلت حكم مصر له وراثيا بعد أن انتدبته لحرب السعوديين في الحجاز . ينظر الأعلام . خير الدبين الزركلي . مصدر سابق . ج 6 / 298**

[1] **إعلام المسلمين بحقيقة الدستور والقوانين . أحمد عشوش . البيان للطباعة والنشر . لم يذكر رقم الطبعة ولا سنة النشر . ص / 121 : بتصرف**

[2] **جريدة المنار . الجزء الثالث عشر . السبت 10 يونيو 1899 م . مج 2 / 198 : بتصرف**

غيرها من نساء القصر ، فبقين يدرن شؤون الدولة فوق الثمانين عاماً [1] ، ووصلت جواري هذا السلطان إلى أربعين جارية ، كانت بعضهن يهودية الديانة ، ولعبت بعضهن دوراً بارزاً في إشعال الثورات ، وإذكاء نار الفتنة داخلها ، [2] ولعبت السلطانة (خرم سلطان) وهي زوجة السلطان (سليمان القانوني) دوراً مهماً في قتل الأمير(مصطفى) ابن السلطان سليمان وهو ابن زوجها من امرأة أخرى حتى لا يتمكن من العرش الذي كانت تُعِدَّه لولدها ، كما لعبت زوجات السلاطين دوراً مهما في إبقاء السلاطين داخل القصور ،وعدم خروجهم للجهاد ، ومتابعة أمور الرعية . [3]

---

[1] الإسلام والاستبداد السياسي . محمد الغزالي . مرجع سابق . ص / 200 – 201 : بتصرف

[2] الدولة العثمانية المجهولة . أحمد أق كوندوز . مرجع سابق . ص / 266– 267: بتصرف

[3] نفس المرجع السابق . ص / 266 – 267 : بتصرف

الفصل الثالث : سنتا التغيير وموالاة غير المسلمين

المبحث الأول : سنة التغيير ودورها في سقوط الدولة العثمانية

المبحث الثاني : سنة الله في موالاة غير المسلمين

المبحث الأول : سنة التغيير ودورها في سقوط الدولة العثمانية

أولاً : تعريف التغيير لغةً واصطلاحاً

التعريف اللّغوي :

تغير الشيء عن حاله تحوَّل : وغَيَّرَ عليه الأمر : حوَّلهُ وتغايرتِ الأشياءُ اختلفت . [1]

التعريف الاصطلاحي :

" التَّغيِير هو إِحداثُ شيءٍ لم يكن قبلهُ " [2]

والتَّغيير المقصود هنا هو التغيير من الطاعة إلى المعصية ، ومن الخير إلى الشر لأن السياق الذي وردت فيه آيات التغيير يدل على التحول من الخير إلى الشر ، ومن الحسن إلى القبيح ؛ فالله تعالى فطر الأنفس على الخير ، ولم يفطرها على الشر . [3]

أمَّا إذا تحول الناس من الشر إلى الخير ومن المعصية إلى الطاعة فإن الله سيحول حالهم إلى العِزّ والتمكين ، ويفوزون بخيري الدنيا والآخرة وهذه سنة ثابتة من سنن الله تعالى ، ضمن سنن بناء الدول قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [4] وهذه السنة من سنن البقاء وبناء الدول ، وهي ليست من ضمن موضوعات هذا البحث ، لذلك سيكون الحديث عن سنة التغيير من الخير إلى الشر ، ومن الطاعة إلى المعصية .

دور سنة التغيير في إسقاط الأمم :

أنعم الله تعالى على الإنسان بنعم كثيرة وجعله خليفته على هذه الأرض ليقوم بدوره على أكمل وجه ، وهذا الدور هو المذكور في هذه الآية : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ .[5] ولكن البشر استدرجتهم الشياطين فأوقعتهم في المعاصي ، واتبعوا الشهوات وانحرفوا عن منهج الله الذي ارتضاه لعباده فغيَّروه ، وبدَّلوه إلاَّ من عصمه الله

---

[1] لسان اللسان . أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور . باب العين . مج 2 / 288 – 289 . بتصرف . مرجع سابق

[2] التعريفات . على بن محمد الجرجاني . تحقيق . إبراهيم الأبياري . دار الدَّيان . لم تذكر سنة الطبع ولا رقم الطبعة . ص : 87

[3] تفسير سورة الرعد . يوسف القرضاوي . مرجع سابق . ص : 154

[4] سورة الأعراف ، الآية : 96

[5] سورة الداريات ، الآية : 56

تعالى عن الوقوع في مثل هذه المحرمات ، وقد قضت مشيئة الله تعالى وجرت سنته أن تترتب على تصرفات هؤلاء البشر ، وأن تنفذ فيهم سنته بناء على تعرضهم لهذه السنة بسلوكهم . [1] قال تعالى في كتابه العزيز : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [2] وقد جعل الله تعالى هذه السنة قاعدة عامة يعامل بها البشر إلى قيام الساعة فمن اتبع رضوان الله تعالى سَلِم وأنقذ نفسه من الهلاك ومن غيَّر وبدَّل حلَّ به سخط الله تعالى وعقابه ؛ فمعنى (لا يغير) : أي لا يَسلُب قوماً نعمةً أنعمها عليهم حتى يغيروا ما كانوا عليه من الطاعة والعمل الصالح ، وبيَّن هذا المعنى في الكثير من المواضع في القرآن الكريم كقوله تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [3] ، وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾ [4]

وقد اختلف العلماء في معنى التغيير المراد في هذه الآية إلى العديد من الأقوال أبرزها:

أ. تغيير دين الله تعالى وتبديله والانتقال من التوحيد إلى الشرك ، ومن الهداية إلى الضلال، كقوله تعالى : ﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾ [5]

ب . تغيير الصفات الحسّية للخلق ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ۚ ﴾ . [6]

ج . تغيير نعم الله تعالى ، ونكرانها ، قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ . [7]

---

[1] في ظلال القرآن . سيد قطب . دار الشروق مصر. ط 2 . 2003 م . مج 4 / ص 2090

[2] سورة الرعد ، الآية : 11

[3] سورة الأنفال ، الآية : 53

[4] سورة إبراهيم ، الآية : 28

[5] سورة الروم ، الآية : 30

[6] سورة النساء ، الآية : 119

[7] سورة الأنفال ، الآية : 53

فإذا غَيَّر البشر منهج الله تعالى الذي ارتضاه لعباده ، فسوف تنزل بهم عقوبة الله في الذين يحاولون تغيير منهجه ، واستبداله بهوى الأنفس أو إيحاءات الشياطين وسوف يحيق بهم العذاب والهلاك الذي يأتيهم على أي صورة يريدها الله تعالى ، فالاعتداء على دين الله ليس بالأمر اليسير بل هو من الشرك والظلم وأكابر الذنوب ، ولهذا جعل الله تعالى هذه السنة عقوبة ثابتة لكل من يحاول أن يعتدي على شرع الله بمحاولة تغييره أو البعد عنه ، فهي عقوبة ثابته وعاملة سنها الله تعالى في الكون إلى قيام الساعة . فعندما يغلب الظلم الخير ، ويندثر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ويصبح الناس لا يبالون بشرائع الله تعالى ومنهجه ، ولا يوجد من يوقف الباطل عند حده ، فحينها يستحق هذا المجتمع العقوبة فتصيبه ذنوبه وتهلكه .

فالنِّقَمُ عندما تنزل فإنها تنزل على الأقوام ، لا على الأفراد، والفرد يمكن أن يُبتلى، ويختبر فينزل به العقاب ، وإن لم يفعل شيئاً ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ .[1] فترفع به درجته أو تكفَّر عنه به سيئاته أو لحكمة من حكم الله تعالى ، ولكن المجتمعات والأمم لا تنزل بهم العقوبات إلاَّ بالمعاصي والذنوب وكفرهم بأنعم الله عزَّ وجلَّ . [2]

نماذج من سنة التغيير في القرآن الكريم والسنة النبوية :

أولا من القرآن الكريم :

ذكر الله تعالى في كتابه العزيز العديد من النماذج لهذه السُّنّة فتحدثت العديد من الآيات القرآنية ، عن أُمم ، وأقوامٍ ، غيَّروا وبدَّلوا دين الله فحلَّت بهم سنة الله ؛ فأهلكتهم ودمَّرتهم وهكذا هي ثابتة ومستمرة إلى يوم الدين ، ومن هؤلاء الأقوام :

أ . قوم يونس عليه السلام :

ذكر الله تعالى قصَّة قوم يونس في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا

---

[1] سورة البروج ، الآية : 8

[2] تفسير سورة الرعد . يوسف القرضاوي وهبة . مرجع سابق . ص : 160 : بتصرف

وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ .[1] فقد بعث الله يونس –عليه السلام– إلى أهل قرية تسمى (نينوى) بأرض(الموصل) وكانوا أهل كفر وشرك ، فدعاهم إلى الإيمان بالله وحده وترك ما يعبدون من الأصنام فأبوا عليه وكذبوه فأخبرهم أن العذاب مُصبِّحهم بعد ثلاث ليال – فلمَّا كانت الليلة الثالثة ذهب عنهم من جوف الليل ، فلمَّا أصبحوا تغشَّاهم العذاب ، فلما أيقنوا بالهلاك طلبوا نبيهم فلم يجدوه فخرجوا إلى الصحراء بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابِّهم وأخلصوا الإيمان والتوبة فرحمهم الله واستجاب دعاءهم وكشف ما نزل بهم من العذاب .[2] وكان هذا تصرفاً حكيما من قوم يونس – عليه السلام – فقد أدركوا أنَّهم خالفوا سنن الله بمعصيتهم لنبيهم واستبدالهم الشرك بالتوحيد ، فعادوا إلى ربهم وأدركوا خطأهم ، فدفعوا سنة الله في عقابهم ، بسنة الله في العفو عن التائبين ، واستبدال السيئات بالحسنات عند إخلاص النية وصدق التوبة ، وذلك عندما رجعوا إلى أنفسهم ، فآمنوا بربهم وصدَّقوا برسولهم ، فأنقذوا أنفسهم وقومهم من عذاب الله تعالى .

ب . قوم سبأ :

يبدوا أن بعض الناس عندما تكثر عليهم نعم الله تعالى ينسون طريق الحق والإيمان فتزيغ أنفسهم ، ويتبعون الهوى ، ويعرضون عن طريق الإيمان ويستبدلون هذه النِّعم بالكفران والجحود وهذا ما نجده واضحا في حديث القرآن الكريم عن قوم سبأ الذين حباهم الله تعالى بنعم لا تعد ولا تحصى من جنان دانية وخيرات وفيرة ومياه عذبه وقرى بجوارهم حتى يسافروا وهم في مأمن وأُنس ، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا ۖ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴾ [3] فعاقبهم الله تعالى على ظلمهم وتبديلهم بأن تبددوا في الأرض ومُزِّقُوا كل ممزق ، وجعل بينهم وبين المدن الأخرى

---

[1] سورة يونس ، الآية : 98

[2] تفسير المراغي . أحمد مصطفى المراغي . مرجع سابق . مج 4 / 277 – 278 : بتصرف

[3] سورة سبأ ، الآيات : 15 – 17

مسافات بعيدة وشاسعة ، إضافة إلى سيل العرم الذي ردمهم ردماً بين جبلين [1]، واستبدل الله طيباته التي حباهم بها إلى أشجار ذات شوك لا تؤكل ولا يستفيدون منها بشيء؛ فكان جزاؤهم من جنس عملهم أي لمَّا استبدلوا بدَّل الله حالهم من الخير إلى الشر ومن الرضا إلى السخط والعقوبة .

ج . كفار قريش :

ذكر الله تعالى في كتابه العزيز إعراضَ كُفار قريش عن دعوة الإسلام ، واستبدالهم نعم الله تعالى عليهم بالكفر والجحود ، قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ﴾ [2]

لقد غيَّرُوا ما أنعم الله تعالى به عليهم من نعم كإرسال : محمد – ﷺ – منهم ، وتفضله عليهم بالبيت الحرام الذي جعل أفئدة الناس تهوي إليه ، وآمنهم من خوف ، وأطعمهم من جوع ولكن صناديدهم من بني مخزوم وبني أمية ، وغيرهم [3] لم يعيروا لهذه النعم أدنى اهتمام فعتوا عن أمر ربّهم ، وَصَدُّوا قومهم عن الدخول في دعوة التوحيد ، وغَيَّروا نِعَم الله كفراً فكانت النتيجة هي نزول سنة الله فيهم، وهي سنة المغيرين لشريعته ؛ فأصبحوا في جهنم خالدين بعد أن هلك أغلبهم في غزوة بدر الكبرى وأُحُد وغير ذلك .

ثانياً من السنة النبوية :

كثيرة هي النماذج التي نستقرؤها من السيرة النبوية عن سنة التغيير ، وسأكتفي بذكر ثلاثة نماذج عن هذه السنة ؛ لأن المجال لا يتسع لتتبعها وذكرها كلها، ومنها :

أ . مخالفة بعض المسلمين لأوامر الرسول – ﷺ – في غزوة أحد (3 هـ) :

لقد دافع المسلمون عن الإسلام بأموالهم وأنفسهم وتحملوا في سبيل ذلك كافة الصعاب والمَشاق فقتل من قتل وجرح من جرح ونفوا في الأودية وعُذِبوا ، وأوذوا ، ولكنهم صبروا وفضلوا الإسلام ورسوله عن كل ملة ودين فناصروا رسول الله – ﷺ – وفدوه بكل ما

---

[1] الجامع لأحكام القرآن . لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي . دار الكتب العلمية بيروت . ط 1 . 1988 م . مج 7 / 183 : بتصرف

[2] سورة إبراهيم ، الآية : 28

[3] جامع البيان عن تأويل آي القرآن . ابن جرير الطبري . دار الفكر بيروت . لم يذكر رقم الطبعة . 1995 م . مج 8 / 287: بتصرف

يملكون ، ولكن كل هذا لم يمنع سنن الله تعالى أن تحلَّ بهم إن هم خالفوا أوامر رسولهم –ﷺ– أوحادوا عنها ولو قيد أنملة ، وخير دليل على هذا عندما استبدل بعض الصحابة (رضي الله عنهم) في غزوة أحد أماكنهم وخالفوا أوامر رسول الله – ﷺ – دون قصد منهم بعد أن أوصاهم أن لا يتركوها سواء انتصر المسلمون أم انهزموا [1]، ودون قصد منهم ولغلبة الطابع البشري عليهم ، وخاصَّة بعد أن رأوا الهزيمة تحل بقريش والغنائم ملقاة في ساحة المعركة خالف بعضهم الأمر ونزل من على الجبل ، فما كان من هذه السنة إلاَّ أن نزلت فيهم على الفور دون مُحاباة لأحد فلم يمنعهم كونهم صحابة لرسول الله – ﷺ – من نزول الهزيمة بهم بعد أن كانوا منتصرين ، وهكذا هي السنن إلى قيام الساعة .

ب . غزوة حُنين (8 هـ) :

اجتمع الكفار من قبيلتي (هوازن وثقيف) ومن أراد الدخول في حلفهما تحت راية واحدة لقتال رسول الله – ﷺ – وما أن علم بهم رسول الله – ﷺ – حتى خرج ومعه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين كانوا معه ، وحدث اللقاء في مكان يسمى وادي (حُنين) [2] الذي تسمت هذه الغزوة باسمه ، وأخذت بعض المسلمين العِزَّة بالنفس، وظنوا أن النَّصر يأتي بالقوة وحدها ، وكثرة العدد دون التوكل على الله ؛ فانحدر عليهم الكفار من كل جانب وفرَّ من فرَّ ، ولم يثبت مع رسول الله – ﷺ – إلاَّ القليل من الصحابة الكبار كأبي بكر وعمر وعليٍّ وغيرهم (رضي الله عنهم) جميعاً ، وكان هذا درساً قاسيا لهم ، ليعلموا أن الله تعالى قادر على قلب الموازين في أي لحظة يريد ، وأن له سنَّة في الكون لا تتغير، ولا تتبدل فإذا غير الإنسان المنهج الذي أراده الله أن يسير وفقه، لن يمده الله بعونه وسيكله إلى نفسه ، فعندما تغيرت نفوس بعض المسلمين في هذه الغزوة خاصة أن بعضهم دخل الإسلام حديثا ، ولم تكن له دراية بأمور الدين كافة ، وظنوا أنهم لن يهزموا ، فإذا بهم تدور الدائرة عليهم وكادت أن تحل بهم الهزيمة لولا لطف

---

[1] السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث . على محمد الصلابي . دار المعرفة بيروت . لبنان . ط 1 . 2004 م . ص / 484 : بتصرف

[2] السيرة النبوية . أبي محمد عبد الملك بن هشام . تحقيق . محمد على قطب . محمد الدالي بلطه . المكتبة العصرية بلبنان . لم يذكر رقم الطبعة . 2001 م . مج 4 / 73 – 74 . بتصرف

الله ، وحسن قيادة الرسول – ﷺ – وكان هذا درساً لهم ، ولكل من جاء من بعدهم بأن الله لا يحابي أحداً وأنَّ سننه تنطبق على البر والفاجر ، قال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾[1]

ج . مخالفة كفار قريش لأوامر الرسول – ﷺ – وصدهم عن سماع دعوة الحق :

كان الأولى بكفار قريش أن يَنظَمُّوا لجحافل الداخلين في الإسلام ليرفع من قدرهم ويفوزوا برضا الله – تعالى – وخيري الدنيا والآخرة ، ولكنهم صدُّوا عن سماع الحق ورفضوا دعوة الإسلام ، بل حاربوها وصَدُّوا الناس عنها ، وعندما عرض عليهم الإسلام انفجرت مكة بمشاعر الغضب ، وماجت بالغربة والاستنكار حين سمعت صوتا يجهر بتضليل المشركين وعبادة الأصنام ، كأنه صاعقة قصفت السحاب ، ورموا النبي – ﷺ – بتهم هازلة ، وشتائم سفيهة ، وقالوا إنما جاء به هو أساطير الأولين [2] .

فغير الله حالهم من العزة والرفعة التي كانوا سيتمتعون بها لو دخلوا الإسلام إلى الذلة والمهانة ؛ فما جاءت غزوة بدر حتى قتل صناديدهم وهلك بعضهم كعقبة بن أبي مُعيط الذي كان من أشد الناس عداوة لرسول الله – ﷺ – وعمرو بن هشام (أبو جهل) وأمية بن خلف وغيرهم ممن هلكوا ببدر ، وكانوا من الخاسرين في الدنيا والآخرة .

دور سنة التغيير في إسقاط الدولة العثمانية

لعبت سنة التغيير دورها في إسقاط الدولة العثمانية مثلها كمثل من سبقها من الأمم والشعوب فعاقبها الله تعالى على تغيرها وتبديلها للمنهج الصحيح الذي ارتضاه لعباده فعند تتبع تاريخها أنها ارتفعت ومكن الله لها في الأرض فبعد أن كانت هذه الدولة مجموعة من القبائل تتنقل في مراعي آسيا تبحث عن الماء والكلأ ، لا تعرف أحدا ، ولا يعرفها ، ولا يكاد يسمع بوجوده أحد على الإطلاق ، ولكن اللحظة الحاسمة التي غيرت مجرى حياة هذه القبيلة ، وانتشلتها من مستنقع الركود ، والتشتت ، وجعلت من نجمها يعلو وسط الأمم

---

[1] سورة التوبة ، الآية : 25

[2] الرحيق المختوم . صفي الدين المباركفوري . دار الكتب العلمية . بيروت . 2002 م . لم يذكر رقم الطبعة . ص / 56 : بتصرف

اعتناقها للإسلام ، وهذا أمر طبيعي فالإسلام يَعلُو ولا يُعلَى ؛ فمنذ دخول هذه القبيلة الإسلام وتطبيقها لمنهجه وفق ما يريده الله تعالى سهَّل الله أمرها ورزقها من الطيبات، ومكن لها في الأرض لتبني دولة من أقوى الدول ، فما أن توحدت وأصبحت دولة ذات سيادة ، وعاصمة ، ونظام حكم تطبق فيه شرائع الله تعالى حتى انطلقت جيوشها في كافة بقاع الأرض تحمل مشعل الإسلام مبددة به أوهام الشرك والإلحاد معلنة للبشرية استئناف نشر دعوة التوحيد التي بدأ بها رسول الله – ﷺ – وحمل لواءها من بعده صحابته الكرام، ومن سار على طريقهم إلى ذلك الوقت ، وبدأت الدول تتهاوى أمام جنود الإسلام فقد فتح الله على أيديهم العديد من الدول وهدم الكثير من الإمبراطوريات فقد وصلت جيوش الإسلام في عهد السلطان (أورخان) وهو السلطان الثاني في دولة بني عثمان إلى العديد من دول أوروبا فاستطاع توسيع رقعة البلاد إلى ستة أضعاف . [1]

وصارت الدولة تشتد شيئاً فشيئاً حتى تسابقت دول أوروبا لكسب ودها ، وتقديم الولاء والطاعة لها ، ومحاولة الدخول في ودها ، وتقديم الهدايا والهبات لها ، وازداد العثمانيون في التوغل إلى قارة أوروبا وإدخال العديد من الأراضي والمدن تحت سلطة الإسلام حتى فتح الله عليهم بنصره المبين ، وعزه المتين فَتُوِّجت هذه الفتوحات بالنصر الكبير وهو فتح مدينة (القسطنطينية 1453هـ) عاصمة القارة الأوروبية وقلبها النابض ،التي ما برح المسلمون يحاولون فتحها على مر العصور، ولكن هذا الفتح جاء في عهد السلطان (محمد الفاتح) الذي أعدَّ العدة لمثل هذا اليوم وجهَّز له كل ما يملك من قوة آخذاً بالأسباب المادية والمعنوية مُتوكِّلاً على ربه سبحانه وتعالى ، فثم له النصر المبين ، وهدمت أكبر قاعدة من قواعد الكفر والإلحاد بعد أن حاربت الإسلام سنين عديدة ، وساهمت في إيقاف زحفه بكل ما تملك من قوة ، وساهم هذا الفتح في فتح القارة الأوروبية أمام الإسلام، وتوحيد الدولة العثمانية بعد أن كانت تفصل بين أجزائها العديد من الأقاليم ،

---

[1] العثمانيون رجالهم العظماء ومؤسساتهم الشامخة . عثمان نوري طوباش . ترجمة . محمد حرب . دار الأرقم استانبول تركيا . لم يذكر رقم الطبعة . 2013 م . ص / 60 : بتصرف

فتمت السيطرة على أغلب أجزاء أوروبا كالبحر الأدرياتي ، وكل السواحل الجنوبية للبحر الأسود والقرم وغيرها . [1]

وهذا النصر والتمكين الذي حبى الله به العثمانيين ليس حكراً لهم وحدهم بل هو سنة ثابته يمن بها الله على كل من سار على شرعه وطريقه القويم ، وبالمقابل إن فرَّط قوم في هذا الدِّين وغيروا في أحكامه وبدلوها فسيتحول النصر إلى هزيمة ، والعز إلى ضعف وهذا ما حدث مع الدولة العثمانية ؛ فبعد أن غيَّرت منهج الله الذي سارت عليه سنين عديدة ، ورضيت بقوانين البشر، وتركت عقيدتها ، ولم تعد تعني لها الفتوحات شيئاً ، وصار المسلم يساوى بغير المسلم بحجة المواطنة ، والأخوة في الإنسانية وغير ذلك من التفاهات التي قذفت بها المدنية الأوروبية المزعومة ، بدّل الله حال الدولة العثمانية ، وأبدلها دلا بعد عزٍ، ومهانة بعد مهابة وصارت تعاني على كافة الجوانب ، والصعد ونزلت بها سنة التغيير لمَّا غيَّر أهلُها من حالهم وبدأت تتهاوى إلى أن سقطت وانتهت من على وجه الأرض ، ومن أبرز المواقف التي حلَّت بالدولة العثمانية لما تغيَّرت عن منهج ربها :

أ . هزيمة المسلمين في معركة (ليبانتي) :

ارتعدت فرائص المسيحية من الخطر الإسلامي الذي هدد القارة الأوروبية فأخذ البابا بيوس الخامس (1566 م – 1572 م) بمساعدة ملك إسبانيا(فيليب الثاني) للم شمل البلاد الأوروبية ، وتوحيد قواها تحت راية البابوية ، واتفقوا على شن هجوم بري وبحري على الدولة العثمانية من أجل استرداد جميع المواقع التي اغتصبوها من المسيحيين على حد زعمهم ، والتقى الجيشان في موقعة عظيمة شاءت إرادة الله هزيمة المسلمين فيها ففقدوا ثلاثين ألف مقاتل ، وخسروا مئتى سفينة حربية ، وأسر منهم عشرة آلاف رجل . [2] وكانت ضربة قوية للدولة العثمانية فلأول مرة منذ مئات السنين تحل الهزيمة بالعثمانيين ، وتقهر أسطورة الدولة التي لا تهزم ، وهذا ما فتح الباب للأوروبيين ليتجرءُوا على هذه الدولة التي غيرت منهج الله بعد أن كانوا لا يفكرون حتى في المساس بفرد من مواطنيها .

---

[1] أطلس تاريخ الإسلام . حسين مؤنس . مطابع تين واه . سنغافورة . ط 1 . 1987 م . ص / 385 : بتصرف

[2] الدولة العثمانية عوامل النهضة وأسباب السقوط . على محمد الصلابي . مكتبة بيت السلام بالرياض . لم يذكر رقم الطبعة . 2005 م . ص / 303 – 304 : بتصرف

ب . احتلال مصر وسيطرة الفرنسيين عليها :

انتهز أعداء الإسلام ضعف الدولة العثمانية وضعف شوكتها ، وكثرة الصراعات التي حدثت داخلها فاستغلت فرنسا هذا الضعف ، وأرسلت حملتها المشهورة بقيادة (نابليون بونابرت) سنة (1798 م) ، ورغم المقاومة الشديدة إلا أن القوات الفرنسية استطاعت احتلال مصر وارتكاب أبشع الجرائم في حق المسلمين ، ولم يكن هذا ليحدث لولا ضعف الدولة التي كانت غالبة فصارت مغلوبة نتيجة لاستهزائها بشرائع الله واستبدالها الذي هو أدنى بالذي هو خير . [1]

ج . السيطرة الإيطالية على طرابلس الغرب :

تكالب الأعداء على الدولة العثمانية من كل حدب وصوب وبدءوا ينهشون ولاياتها من كل مكان فقد تجرأت إيطاليا التي تعد من أضعف دول أوروبا في ذلك الوقت على الدولة العثمانية وقامت باحتلال ولاية من ولاياتها وهي ولاية طرابلس الغرب بعد أن هيأت الوضع لذلك بالاتفاق مع الدول الأوروبية الأخرى كفرنسا وبريطانيا ، وغيرهما، وفي سنة (1910م) حاصرت سواحل طرابلس وبرقة لمنع وصول المساعدات إليهما ، وبدأ الأسطول الإيطالي في قصف السواحل الليبية ، وإنزال القوات البرية سنة (1911 م) التي أذاقت الليبيين سوء العذاب ، وهددت باحتلال استانبول مما اضطر الدولة العثمانية للتخلي عن مواطنيها ورعاياها في ليبيا وتركهم يواجهون مصيرهم أمام هذا العدو الغاشم الذي لا يرقب في مؤمن إلاً ولا ذمة . [2]

وهذه النماذج قليل من كثير من هزائم الدولة وضعف قوتها نتيجة لتغيرها ، وابتعادها عن الخط الذي رسمه الشرع لها وظلت تتخبط في هذه الظلمات التي أدخلت فيها نفسها حتى سقطت وزالت شوكتها وتلاشت بين الأمم .

---

[1] نفس المرجع السابق . ص / 351 – 352 : بتصرف

[2] الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث . إسماعيل ياغي . مرجع سابق . ص / 215 – 216 : بتصرف

ويمكن أن نستنتج بعض النتائج من حلول هذه السنة بالدولة العثمانية أهمها :

أ . سنة التغيير سنة ربانية ثابتة كغيرها من السنن ينزلها الله تعالى على الذين يبدلون دينهم وشريعة ربهم ويستبدلونها بغيرها من البدع والأهواء .

ب . ظلت الدولة العثمانية بعيدة عن هذه السنة ، ولكن عندما ابتليت بحكام ضعاف وساسة فاسدين استجلبوا سخط الله حلت بهم وأوردتهم سوء العقاب .

ج . هذه السنة تعم المسلم والكافر البر والفاجر وهذا ما نلاحظه خلال نزولها بصحابة رسول الله – ﷺ – ورسول الله بين أظهرهم في غزوة أحد ، وحنين رغم أنهم لم يحدث منهم هذا التغيير إلاَّ عن حسن قصد ، واجتهاد غير صائب .

د . كان على العثمانيين إنقاذ دولتهم بالتوبة والرجوع إلى الله وتغيير حالهم إلى الأفضل كما فعل قوم يونس – عليه السلام – عندما حلَّ بهم العذاب ، ولكن العثمانيين لم يُعيروا لسنن الله اهتماما وظنُّوا أنهم بمعزلٍ عنها ، وعن ملاحقتها .

هـ . إذا نزلت هذه السنة فإنها تنزل بكل المجتمع لأنهم سكتوا عن الحق ، وجعلوا الباطل يتمكن ، ولم يقفوا في طريقه ، فجعل الله العقوبة للجميع .

المبحث الثاني : سنة الله في موالاة غير المسلمين

تعريف الموالاة لغة واصطلاحاً

الموالاة لغة : ضِدَّ المُعاداة . يقال (وَالَى) بينهما (وِلاَءً) بالكسر أي تَابَعَ .[1] والوِلاية من الولي وهو (القُرب) . [2] والوَلِي هو الصَّديق ، والنَّصير المُقَرب . [3]

الموالاة اصطلاحاً : هي إظهار الْوُد بالأقوال ، والأفعال ، والنوايا لمن أمرنا الله تعالى بتركهم . [4]

وأُعرِّفها بأنها : إقامة العلاقات والتحالفات والمعاملات مع غير المسلمين والتَّقرب لهم، وتمكينهم من الإطلاع على أسرار المسلمين ، وأحوالهم من غير ضرورة ملحة لذلك .

نهيُ القرآن الكريم عن موالاة غير المسلمين

حذَّر القرآن الكريم من موالاة غير المسلمين في العديد من الآيات ، وأوضح أنه لا يجوز للمسلم أن يوالي غير المسلم قال تعالى : ﴿ لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ [5]

وفي هذه الآية نَهيٌ من الله تعالى للمؤمنين بمنع ملاطفة الكفار واتخاذهم أولياء ، ومن يفعل ذلك فليس من حزب الله ولا من أوليائه في شيء ، ثم استثنى حالة الخوف من مكرهم وغلبتهم لأهل الإسلام فجعل التقية مداراة لشرورهم .[6]

" ونهانا الله تعالى عن موالاتهم ، والتقرب إليهم بالمودة والمحبة ، أو مصادقتهم لقرابة أو معرفة : لأنه لا ينبغي للمؤمنين أن يوالوا أعداء الله . إذ من غير المعقول أن يجمع الإنسان بين محبة الله – ﷻ – وبين محبة أعدائه لأنه جمع بين النقيضين فمن أحب الله

---

[1] مختار الصحاح . محمد بن أبي بكر الرازي . مصدر سابق . ص / 306 : بتصرف

[2] معجم التعريفات . محمد بن على الجرجاني . مرجع سابق . ص / 213 : بتصرف

[3] تفسير سورة آل عمران . مصطفى الشكعة . الدار المصرية اللبنانية . ط 1 . 1992 م . ص / 36 : بتصرف

[4] الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية . محماس بن عبد الله الجلعود . لم تذكر دار النشر . ط 1 . 1987 بالرياض . ج 1 / 49 : بتصرف

[5] سورة آل عمران ، الآية : 28

[6] الجامع لأحكام القرآن . لأبي عبدا لله محمد بن أحمد القرطبي . مصدر سابق . مج 2 . ص / 38 : بتصرف

أبغض أعداءه فلا يجوز للمسلم أن يوالي غير المؤمنين فيتخذ من الكفار الذين يتربصون بالمؤمنين السوء أولياء يصادقهم ، ويتودد إليهم ، ويستعين بهم ، ويترك إخوانه المؤمنين فليس بين الإيمان والكفر نسب وصلة، فالآية الكريمة تحذ من موالاة الكافرين إلا في حال الضرورة ، وهو حال اتقاء شرهم ، وتجنب ضررهم ، أو الخوف منهم ، فتجوز موالاتهم بشرط أن يقتصر ذلك على الظاهر مع إضمار الكراهية ، والبغضاء لهم في الباطن، واستدل بعض العلماء بهذه الآية الكريمة على أنه لا يجوز تولية الكافر شيئاً من أمور المسلمين ، ولا جعلهم عمالاً ولا خدماً ، كما لا يجوز تعظيمهم وتوقيرهم في المجلس والقيام عند قدومهم ، فإن دلالته على التعظيم واضحة " [1] ، ويدخل في هذه الآية استكتاب أهل الذمة ، وتصرفهم في البيع والشراء ، ونحو ذلك . [2]

وجاء النهي في العديد من الآيات القرآنية للمؤمنين بأن يبتعدوا عن موالاة الكفار أو التقرب إليهم إن أرادوا إرضاء الله واستحقاق نصره ، وتوفيقه ، قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُّبِينًا ﴾ [3]

وقال تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۚ أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴾ [4] .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [5] .

وقد منع القرآن الكريم حتَّى من مُوالاة الأقربين ، كالوالدين ، والأخوة ، وغيرهم إذا كانوا غير مسلمين ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ

---

[1] روائع البيان تفسير آيات الأحكام من القرآن .للشيخ محمد على الصابوني . مكتبة الغزالي . دمشق . ط 3 . 1980 م . مج1 / 403

[2] الجواهر الحسان في تفسير القرآن . عبدا لرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي . تحقيق على محمد معوض وآخرين . دار إحياء التراث العربي . بيروت . ط 1 . 1997 م . مج1 / 98 : بتصرف

[3] سورة النساء ، الآية : 144

[4] سورة النساء ، الآية : 139

[5] سورة المائدة ، الآية : 51

إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ [1] وفي قصة نبي الله نوح – عليه السلام – خير دليل على ذلك فعندما طلب نوح – عليه السلام – من الله – عز وجل – إنقاذ ابنه من الهلاك الذي أدرك باقي القوم نهاه الله عن هذا الطلب ، وقال له : ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ۖ فَلَا تَسْأَلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۖ إِنِّي أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [2]

وتَبرَّأَ نبي الله إبراهيم – عليه السلام – من أباه عندما رفض الدخول في دين الله ، وترك عبادة الأصنام ، قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ ۚ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾ [3] ، وعندما رفض قومه الإيمان به تبرأ هو ومن كان معه منهم ، قال تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ [4]

ولهذا " فقد دل الكتاب والسنة وإجماع المسلمين على أنه يجب على المسلمين أن يعادوا الكافرين من اليهود والنصارى وسائر المشركين وأن يحذروا مودتهم واتخاذهم أولياء " [5]

وصدق الله إذ يقول : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [6]

وجاءت السنة المطهرة لتؤكد أحكام القرآن الكريم في عدم موالاتهم والاستعانة بهم ؛ ففي الحديث عن عائشة (رضي الله عنها) قالت : خرج رسول الله – ﷺ – قِبَل بدر .

---

[1] سورة التوبة ، الآية : 23

[2] سورة هود ، الآية : 46

[3] سورة التوبة ، الآية : 114

[4] سورة الممتحنة ، الآية : 4

[5] الردود البازية في بعض المسائل العقدية . عبد العزيز بن عبد الله بن باز رحمه الله . جمع وترتيب . أحمد محمد العمران . دار بن الأثير بالسعودية . ط1 . 2007 م . ص / 139

[6] سورة المجادلة ، الآية : 22

فلما كان بحرّة الوبرة أدركه رجل . قد كان يُذكر منه جرأة ونجدةٌ . ففرح أصحاب رسول الله –ﷺ – حيث رأوه . فلما أدركه قال لرسول الله – ﷺ – : جئت لأتبعك وأحسب معك. قال له رسول الله ﷺ : (تؤمن بالله ورسوله ؟ قال : لا . قال : (فارجع فلن أستعين بمشرك) قالت ثم مضى . حتى إذا كنا بالشجرة أدركه الرجل . فقال له كما قال أول مرة. فقال له النبي – ﷺ – كما قال أول مرة . قال : (فارجع فلن أستعين بمشرك) قالت: ثم رجع فأدركه بالبيداء . فقال : له كما قال أول مرة : (تؤمن بالله ورسوله ؟) قال : نعم . فقال له رسول الله – ﷺ – (فانطلق) . [1]

ومن هنا نعلم أن المُوالاة في الله ، والمعادة فيه أصل من أصول الإسلام ، لا يصح إسلام المرء إلا بها . فمن خالف ذلك فقد خالف ما قرره الله ورسوله في الكتاب والسنة ، من وجوب موالاة المؤمنين ، ومعاداة الكافرين . [2]

الأضرار المترتبة على موالاة غير المسلمين

كثيرة هي الأضرار التي تنتج عن موالاة الكفار ، فلو لم يعلم الله ما في قلوبهم من شر لما نهانا عن موالاتهم ، ومن أضرار موالاتهم :

1 . نبذ العزة الإسلامية ، فالمسلم هو العزيز ، وهو الأعلى ، والكفار هم الأذلة ، وبموالاتهم والتزلف إليهم تنتفي هذه العزة ، ومن المعلوم أن عزة المسلم هي عزة الإسلام قال تعالى : ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [3] ، وهؤلاء قد ضرب الله عليهم الذلة والمهانة لكفرهم بالله ، وتكذيب أنبيائه ، قال تعالى : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ [4]

---

[1] أخرجه مسلم في الصحيح . كتاب الجهاد والسير . باب كراهية الاستعانة في الغزو بكافر . حديث رقم (1817)

[2] الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية . محماس بن عبد الله الجلعود . مرجع سابق . ج 1 / 117 : بتصرف

[3] سورة المنافقون ، الآية : 8

[4] سورة آل عمران ، الآية : 112

2 . الاستخفاف بجميع المعاصي ، وذلك أن كثيراً من الموالين للكفار ، سهل عليهم أمر دينهم ، فألقوا بأيديهم إلى التهلكة ، وصاروا يقعون في المهاوي ، ولا يبالون ، وذلك علامة على إعراض الله تعالى عنهم [1] ؛ لأنهم قلدوا الكفار، واتبعوا سبيلهم ، ومن طبائع الكفار الانغماس في المعاصي والشهوات ، وعدم التورع منها، قال تعالى في شأنهم : ﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [2]

3 . من أضرار موالاتهم أن الولاية تبنى على الوفاق والوئام والصلة ، وهؤلاء ليسوا بأهل ولاية للمسلمين لبعد ما بين الأخلاق الدينية ، ولإضمارهم الكيد للمسلمين [3] فهم لا يحملون الود للمسلمين ، وإنما يخفون الحقد الدفين ، والبغض ، والكراهية تجاه هذا الدين ، وإن كان الذي تتكلم به أفواههم كلاماً جميلاً ، ومدحاً لدين الإسلام ، وقد كشف الله أمرهم وهتك سترهم . قال تعالى : ﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ [4]

وقال تعالى : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [5]

وقال تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [6]

---

[1] الدواهي المدهية للفرق المحمية . أبي المواهب جعفر بن إدريس الكتاني الحَسني . ت محمد حمزة الكتاني . دار الكتب العلمية . بيروت . ط 2 . 2005 م . ص / 229 : بتصرف

[2] سورة المائدة ، الآية : 79

[3] التحرير والتنوير. محمد الطاهر بن عاشور . مصدر سابق . ج 4 / 229 – 230 : بتصرف

[4] سورة التوبة ، الآية : 8

[5] سورة البقرة ، الآية : 120

[6] سورة آل عمران ، الآية : 118

4 . في موالاة غير المسلمين تعطيل للجهاد ، وتمكين للأعداء من أرض الإسلام ، وقد أمرنا الله بالاستعداد لهم ، والحذر منهم ، قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا ﴾ [1]

5 . في موالاة غير المسلمين بُعد عن جماعة المسلمين وتفرقة ، والله تعالى أمرنا بالوحدة ورصّ الصفوف ، وموالاة بعضنا البعض قال تعالى : ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [2]

6 . في موالاة غير المسلمين تعطيل لأحكام الله . وقد أمرنا الله بالبعد عنهم ، وإلزامهم حدودهم المنصوص عليها في شرعه القويم ، وذلك لأن المُوالي للكافر لا بد أن يتنازل لهم عن العديد من الثوابت والمسلمات المنصوص عليها في دينه ، وإن كان يراها جزئيات صغيرة كحذف مصطلح الكفار والمشركين ، وإدخال كلمة الرعايا مكانه مثلاً ؛ وقد قال تعالى في حقهم : ﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ ۚ أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴾ [3] وكإلغاء الجزية واستبدالها بما يسمى ضرائب ، وفرضها على المسلم والكافر على السواء تحت شعار الوطن للجميع والكل فيه شركاء ، والله تعالى يقول في كتابه في حق هؤلاء : ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [4]

ومن هنا يتضح للمسلم مدى خطورة موالاة الكافرين ، وموادعتهم وقد طبقت الدولة العثمانية هذا المنهج الرباني وسارت عليه في بداية عصورها فلم تداهن الكفار يوماً أو تتقرب إليهم وإنما كانت تتعامل معهم على ضوء منهج الله الذي أمرنا بتطبيقه معهم، ولكن عندما خارت قواها ، وتولى حكمها سلاطين ضعاف لم يراعوا جوانب النصر والتمكين في

---

[1] سورة النساء ، الآية : 71

[2] سورة التوبة ، الآية : 71

[3] سورة التوبة ، الآية : 17

[4] سورة التوبة ، الآية : 29

أمتهم ، ولم يطبقوا شرع الله كما فعل أسلافهم ، وانجروا يلهثون وراء الغرب واستجلاب مرضاته ، وفتحوا بلاد الإسلام لكل عميل ، من جواسيس ، ومستشرقين ، وطوائف ضالة، ولم تعد تعني لهم الحمية الإسلامية والعزة الدينية شيئاً حتى فعل هؤلاء فعلتهم في أرض الإسلام ، وخدعوا هؤلاء الحكام المهزومين ، وانتهى الأمر بانحلال الدولة ، وسقوط الخلافة الإسلامية التي كانت يحتمي بها كل المسلمين . *

نماذج من موالاة الدولة العثمانية لغير المسلمين

تعددت نماذج موالاة السَّاسَة العثمانيين لغير المسلمين بتغير الظروف ، والحُكَّام ، وكانت تُجرى تحت هدف مزعوم هو الرقي ، والتطور ، واللَّحاق بركب الحضارة الأوروبية الزائفة ؛ فتركوا التحاكم لشريعة ربهم والقيام بدينهم الذي أخرجهم من الظلمات إلى النور واستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير حتى تمكنت منهم أضعف الأمم ، وأرذلها ، وسقطوا في مهاوي الردى بلا رجوع ، ومن أهم أشكال الموالاة ما يأتي :

1 . **إبرام المعاهدات والاتفاقيات المشبوهة :**

ذُكر سابقاً أن الله تعالى أمرنا بعدم موالاة الكافرين ، والتقرب منهم – إلاَّ – في حالة واحدة هي الضرورة القصوى ، وهي حالة الخوف من شرورهم إن كانت لهم الغلبة والقوة ، وذلك دفعاً لشرهم وصيانة لدماء المسلمين ، وحرماتهم . بشرط : ألاَّ تخل هذه الاتفاقيات بالعقيدة الإسلامية أو بأمر من الأمور الثابتة في الدين الإسلامي ، أو كان في هذا الاتفاق ضرر ولو بسيط على المسلمين ولو كان على المدى البعيد . والملاحظ على هذه المعاهدات والاتفاقيات التي أبرمت ، أنها لم تكن في حاجة إليها لو عرفت كيف تُصلح نفسها من الداخل ، ولكنَّ جهل ساستها بأمور السياسة ، وضعف السلاطين الذين تولى بعضهم الحكم ، وهو غير مؤهل لذلك : كالسلطان (أحمد الأول 1603 – 1617 م) و(السلطان عثمان الثاني .1617– 1621 م) و(السلطان محمد

---

* والجدير بالذكر أن هذه الموالاة إذا قيدت بشروط معينة لم تكن على إطلاقها . قال تعالى ﴿ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ سورة : الممتحنة الآية : 8 . بل أحل الله الزواج منهم وأكل طعامهم .

الرابع 1648 – 1687 م) وغيرهم الكثير ممن تولى الحكم وهو لا يفقه فيه شيئاً .[1] حيث استغلت الدول الأوروبية أمثال هؤلاء فخدعتهم، ولجهلهم بأمور الحكم ، وخبايا السياسة أبرموا العديد من المعاهدات التي كانت وبالاً على دولتهم ، وكانت سبباً في انحلالها ، والقضاء عليها .

ومن أهم هذه المعاهدات :

أ . معاهدة (قاينارجيا) :

وُقِّعَت هذه المعاهدة بين (الدولة العثمانية) و(روسيا) في (8 جمادي الأول 1188هـ – 17 تموز 1744م) وكانت بمثابة انتحار للدولة العثمانية ، بسبب البنود الموجودة فيها ، والتي من بينها : تحول (القَرَمْ) إلى دولة مستقلة بعد أن كان إقليماً تابعاً (للدولة العثمانية) ، كما طَلبت (روسيا) من (الدولة العثمانية) التَّصرف بكل شفقة تجاه رعاياها من العثمانيين الأرثوذكس [*] ، واستعملت (روسيا) هذه المادة كذريعة لدعم حركات العصيان التي قامت بها الأقليات ، ونجحت في إزعاج (الدولة العثمانية) كذلك نصَّت هذه المعاهدة على منح (روسيا) الامتيازات الأجنبية في الساحة الاقتصادية والعدلية ، وأصبحت سُفُنها ، وتُجَّارَها يجوبون كل مناطق الدولة دون قيود . [1]

ومن نتائج هذه المعاهدة :

1 . تحولت الدولة العثمانية بموجب هذه المعاهدة إلى دولة من الدرجة الرابعة بعد (انجلترا) ، و(فرنسا) ، و(روسيا) ، وارتفعت (روسيا) من الدرجة الرابعة إلى الدرجة الثالثة بعد تحصلها على حق المرور بكل حرية في (البحر الأسود) الذي كان بحيرة (عثمانية) خالصة والرسوء في أي ميناء من موانى (الدولة العثمانية) بعد أن كانت تتمنى حتى مجرد المرور من هذا البحر بدون موافقة (الدولة العثمانية) أو دون دفع الرسوم .

---

[1] الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث . إسماعيل أحمد ياغي . ص / 140 : بتصرف

[*] (الأرثوذكس فرقة مسيحية انفصلت عن الكنيسة الكاثوليكية عام 1454م ، وتمثلت في عدة كنائس مستقلة لا تعترف بسلطة بابا روما عليها ، ويتركز أتباعها في المشرق ، ولذا يطلق عليها الكنيسة الشرقية) ينظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة . مانع بن حماد الجهني . طبع دار الندوة العالمية بالرياض . ط 4 . 1420هـ . مج 4/ 583

[1] تطور الأوضاع الثقافية في تركيا من عهد التنظيمات إلى عهد الجمهورية . سهيل صابان . مراجعة عثمان على . منشورات المعهد العالي للفكر الإسلامي بأمريكا . ط 1 . 2010 م . ص / 135 : بتصرف

2 . حصول (روسيا) على تَعَهُّد من (الدولة العثمانية) بحماية الرَّعايا المسيحيين ، وإعطاء الحق لسفراء (روسيا) للتدخل في صيانة الكنائس وخدمتها في مدينة (اسطنبول) . [1]

3 . تجرؤ الدول الغربية على (الدولة العثمانية) وتنامي أطماعهم في السيطرة عليها وعلى مقدراتها ، فما لبثت هذه الدُّول إلا برهة وتكالبت على الدولة من كل حدب وصوب بعد أن رأوا جهل حُكَّامها ، وعدم مبالاتهم بمصالح دولتهم .

4 . هبوط الإقتصاد العثماني بسبب منافسة البضائع والمنتجات الروسية التي بدأت تدخل للدولة بدون ضوابط تنظم دخولها أو تحد منها .

5 . تجرؤ الرعايا النصارى على الدولة بسبب وقوف روسيا معهم ومعرفتهم أن وراءهم من يقف معهم ، ويشجعهم على التمرد على الدولة .

ب . معاهدة (سبار وفنس) :

عقدت هذه المعاهدة بين (الدولة العثمانية) و (النمسا) في (21 يوليو سنة 1718م) كان بموجبها أن تأخذ (النمسا) ولاية (تمسوار) ومدينة (بلغراد) مع جزء عظيم من بلاد (الصرب) ، وبطلب من (روسيا) أن تضيف لهذه المعاهدة بند يبيح لتجارها المرور من أراضي الدولة ، وبيع سلعهم فيها ، ولحجاجها حق التوجه (لبيت المقدس) وغيره من الأمكنة والأديرة دون دفع خراج مدة إقامتهم أو رسوم على جوازات المرور . [2]

ومن نتائج هذه المعاهدة :

1 . إعطاء امتيازات لأهل الأديان الأخرى غير الإسلام وظهور ما يعرف بحقوق الأقليات ، مما جرأهم على الدولة ، بعد أن كانوا يدفعون الجزية عن يد وهم صاغرون .

2 . تراجع عقيدة الولاء والبراء بين حكام الدولة وساستها ، بتغاضيهم عن كثير من المُحرَّمات ، ومخالفتهم لأوامر الشريعة مقابل إرضاء الأعداء .

---

[1] الدولة العثمانية المجهولة . أحمد آق كوندوز . سعيد أوزتورك. مرجع سابق . ص/ 361 – 362: بتصرف

[2] تاريخ الدولة العلية العثمانية . محمد فريد بك المحامي .تحقيق إحسان حقي . دار النفائس بيروت . ط 1 . 1981 م . ص / 316: بتصرف

3 . توقف الجهاد والفتوحات أدى إلى تفريط الدولة في العديد من الأراضي ، وتسليمها للأعداء بدلاً من فتح دولٍ أخرى وضمها لبلاد الإسلام .

ج . معاهدة تجارة وملاحة بين الدولة العثمانية والولايات المتحدة الأمريكية :

عقدت هذه المعاهدة بين (الدولة العثمانية) و (الولايات المتحدة الأمريكية) في (7 مايو. سنة 1830 م) وتقرر فيها معاملة سفن (الولايات المتحدة الأمريكية) معاملة سفن الدول الأكثر رعاية ، وذلك بمنحها الحق في عبور المضايق ، والدخول إلى (البحر الأسود) والخروج منه سواء كانت هذه السفن محملة بالبضائع أو غير محملة . [1]

ومن نتائج هذه المعاهدة :

1 . السماح (لأمريكا) بأن تجوب سفنها (البحر الأسود) كما فعلت مع (روسيا) من قبل دون رقابة ، ودون دفع رسوم للعبور؛ فاستغلوا هذه الفرصة لنقل السلاح والذخيرة لعملائهم في الداخل ، ليشعلوا بها فتيل الأزمات والحروب الداخلية .

2 . كما أسهم عدم دفع الرسوم في انهيار اقتصاد الدولة ، وإفلاسها ومن ثم وقعت فريسة للديون والركود الاقتصادي .

3 . اختراق الدولة من قبل مخابرات الدول الأوروبية ، وقيامها بتجنيد عملاء لها ؛ مما جعلهم يطلعون على كل أسرار الدولة ، وخاصَّة أمورها .

4 . تزايد الأطماع في الدولة العثمانية بسبب تفريطها في حقوقها ، وخوف ساستها من مواجهة الدول الأخرى حتى صارت تقدم التنازلات وراء بعضها البعض .

د . معاهدة بين الدولة العثمانية وبريطانيا وفرنسا لتقديم مساعدات حربية :

لَمَّا اندلعت حرب القرم بين (الدولة العثمانية) و(روسيا) بعد أن خُدِعت الدولة بمعاهدات مشبوهة ، وسمحت (لروسيا) أن تضع لها موضع قدم داخل (الدولة العثمانية) وذلك بحرية المِلاحة في (البحر الأسود) كما ذُكر آنفا . هجم الأسطول (الروسي) على قوة بحرية تتبع الأسطول (العثماني) وألحق بها هزيمة نكراء سنة (1853 م) فاستغلت (بريطانيا) و(فرنسا) الموقف فأرسلت أسطولا إلى (البحر الأسود) ليكون قريبا من مسرح

---

[1] **الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها د . عبد العزيز محمد الشناوي . مرجع سابق . ج 1 / 219 . بتصرف**

الأحداث ، وأَذِنت الحكومة (العثمانية) لهذا الأسطول بالدخول إلى مياهها بصفته أسطولاً لِدول حَليفة وفي (12 مارس سنة 1854 م) عَقَدت معاهدة مع هذه الدول أطلق عليها معاهدة : (من أجل المساعدة العسكريـة للباب العالي) . [1]

ومن نتائج هذه المعاهدة :

1 . اتضح للدولة العثمانية خيانة (روسيا) وتبين لها أطماعها في الدولة .

2 . ضعف الأسطول العثماني وعدم صموده أمام أدنى معركة .

3 . تكالب دول أوروبا على الدولة العثمانية ، وخاصة البحر الأسود للحصول على طريق نحو الشرق .

4 . ضعف الدولة العثمانية مكن بريطانيا وفرنسا من التغلل داخلها ، والسيطرة على مواردها على المدى البعيد تحت ذريعة التحالف ، والمساعدات العسكرية لحماية السلطة؛ لأنه لا بد لهذه الحماية من مقابل ، ولن يكون الثمن رخيصاً .

2 . توظيف غير المسلمين داخل أجهزة الدولة الحيوية :

لقد انبهرت (الدولة العثمانية) في عصور انحطاطها بالغرب وخدعها بريقُ حضارتهِ الزائف فأرادت أن تلحق بركبه بأي وسيلة ، وتأخذ كلّ ما نتج عنه من جيد ورديء ، ولو أنها أخذت ما يخدم مصالحها الدنيوية كالصناعة ، والطب وغير ذلك دون أن تمس بدينها لكان الأمر مقبولا ، وجيداً، إن لم يكن واجباً ، ولكنها انهمكت في أخذ وتلقي كل ما نتج عن الحضارة الأوروبية ونهضتها المزعومة ، ففقدت الثقة في أبنائها ، وعلمائها ، واستجلبت أناساً من الخارج وعلى ملةٍ غير ملة الإسلام ، ولم تراع جانب الولاء والبراء في الاستعانة بهم ، فأصبحوا معاول للهدم في بنيان الدولة ، وصاروا يفسدون ولا يصلحون ، ويهدمون ولا يبنون ومن بين هؤلاء طائفة سُمُّوا (بالكُتَّاب الإِدَارِيِّين) وقد شكلوا المجموعة النشطة ضمن الهيئة الحاكمة ، وأمسكوا بفرعين من المهمات في ديوان الدولة وهما : (المُراسلات) و(الخزينة) ومدَّ هؤلاء الكتاب نفوذهم في مجمل فروع الهيئة الحاكمة ،

---

[1] . الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها د . عبد العزيز محمد الشناوي . مرجع سابق . مج 1 / 225 : بتصرف

وشكلوا جماعة تشتغل تحت (الصدر الأعظم) [*] ، إلاَّ أنَّ رئيس الكُتَّاب كان يتخطاهم في النفوذ في واقع الأمر، وقد أصبحت جماعة المترجمين تعمل تحت إشرافه ، في وقت أصبح فيه رئيس الكُتَّاب يحتل ما يعرف اليوم (بوزير الخارجية) فهو الذي يستقبل السفراء، ويشارك في المفاوضات مع الدول الأجنبية ، ويوجه باسم السلطان السفارات إلى العواصم والدول الأوروبية ، والأجنبية المختلفة ، وبرز دور الكتاب الإداريين في مطلع القرن (السابع عشر) ، ففاعليتهم كانت جَليّة من خلال مواقعهم في الإدارة ، فهم كانوا المُروجِين لفكرة إدخال الحضارة الغربية تحت مُسمَّى التقنيات الحديثة ، والمُحبِطِين من عزم الدولة عن طريق خداع السلاطين ، والوزراء بأن القوة العثمانية قد تلاشت ، ولم يعد من الممكن مجابهة الدول الأوروبية الكبرى (كروسيا) وغيرها ، ومن الضروري اتباع سياسة السلم والَّتسامح تِجاه الأمم غير المسلمة . [1]

3 . **السفارات العثمانية والبعثات الدراسية لأوروبا :**

نتيجة لضعف الدولة تطور الأمر بعد إبرام المعاهدات إلى إرسال السَّفارات المتكونة من السَّاسة ، والوزراء ، وكبار رجال الدولة ليطلعوا على القوانين والسياسات الغربية وكيفية تسيِّير هذه الدول لشؤونها السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، وغيرها ، ومن ثم نقل هذه التَّجارب ، والسياسات إلى الدولة العثمانية ، وسارت في خط آخر موازي لهذه السَّفارات بعثات دراسية ، وبدأ ابتعاث أبناء المسلمين للدراسة في المدارس ، والجامعات الأوروبية يتلقفون منها كل العلوم ، ويخلطون الجيد بالرديء دون التفات إلى العواقب الوخيمة في إرسال أبناء الإسلام إلى دول غير مسلمة دون وعي ، وثقافة دينية كافية تؤهلهم للرد على الشبهات ، وانتقاء العلوم التي تخدم دينهم ، ومصلحة بلادهم فقط فالغرب سيطوعهم لخدمته في نشر الأفكار المنحرفة ، والشبهات في عقولهم ، وعند عودتهم إلى بلادهم سيبدأون في بث هذه السموم بين أبناء دينهم ، واستمرت هذه

---

[*] **ما يعرف اليوم (برئيس الوزراء)**

[1] **مقالة بعنوان: دور فئة الكتاب الإداريين في علمنة الدولة العثمانية . مجلة الاجتهاد . العدد 3 / 1989 . طبع دار الاجتهاد . بيروت . ص/ 161 – 162 : بتصرف**

البعثات في التدفق نحو الغرب ، وصارت تَتَسَابق للوصول إلى أوروبا تحت هدف الاطلاع على العلوم العصرية ، ودراستها ، وجلب أساليب التقدم الغربية ، للأمة الإسلامية ، والحقيقة أنَّ هذا التقدم المزعوم وهذه الحضارة الزائفة بكل علومها بُنِيت على نزعة مادية ؛ فكان من الواجب على (الدولة العثمانية) اختيار ما يتماشى مع دينها ، وترك كل ما يعارضه ، وكان عليها أن تقوم بإرسال أناس مؤهلين دِينياً يحملون وَلاءً ، وغِيرة على دينهم ، وأمتهم ؛ لكي لا يتم استغلالهم ، وتلقينهم الأفكار المنحرفة ، والمناهج الضالة ، ولكن غياب الوعي الديني ، وعدم الاهتمام بعقيدة الولاء والبراء الإسلامية ، ومحاولة كسب وُدِّ الدول الغربية ، وتقليدها في كل شيء جعل المخاطر تحيق بالدولة شيئا فشيئا ، ويتسرب الضعف إلى بنيانها فخرت صريعة على أيدي أبنائها الذين ذهبوا ليجلبوا لها تقدمها ورقيها ، ولكنهم جلبوا لها داءً عضالاً قضى على ما تبقى من جسدها المليء بالأمراض ، وأسقط بنيانها وحلت بها العقوبة الإلهية بعد أن دخلت بنفسها في الفخ الذي رسمته لها أوروبا برعاية كنيستها التي ترى في الإسلام أكبر عدوٍ لها ، مُتناسية أن أوروبا التي اتخذت منها مَثلاً أعلى قد هربت من الله في أثناء هروبها من الكنيسة الباغية باسم الدين الزائف ، وثارت على الله – ﷻ – وفي أثناء ثورتها على الكنيسة أهدرت كل القيم الإنسانية في عنفوان سطوتها الناشئة [1] ؛ فَأُلقيت في تربتها بذرة خبيثة لم يأت عليها وقت طويل حتى نبتت منها شجرة خبيثةٌ ثمارها حلوة لكنها سامة ، أزهارها جميلة ، لكنها شائكة ، وأنَّ أهلها الذين غرسوها قد مقتوها ، وأصبحوا يتذمرون منها لأنها خلقت في كل ناحية من نواحي حياتهم مشاكل وعقداً ، لا يسعون لحلها إلاَّ وتظهر لهم مشاكل جديدة ، ولا يفصلون فرعاً إلا وتطلع فروع كثيرة أخرى ذات أشواك ؛ فهم في معالجة أدوائهم ، وإصلاح شؤونهم كمعالج الداء بالداء .[2]

والأدهى من ذلك أن بعض من أرسلوا لتلقي العلم ، وجلب الحضارة نسوا الأمر الذي أرسلوا من أجله ، وانهمكوا في إشباع غرائزهم الحيوانية ، وملذاتهم الدنيوية .

---

[1] في ظلال القرآن . سيد قطب . مرجع سابق . ج 4 / 1942 : بتصرف

[2] ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين . أبو الحسن على الندوي . مرجع سابق . ص / 197– 198 : بتصرف

يقول السلطان (عبد الحميد) – رحمه الله – : " بعض الشباب الذي كان يذهب إلى أوروبا ، كان قبل أن يرى ما يحدث في المختبرات العلمية هناك ، كان يرى السيدات تراقص الرجال ، وكان هذا الشباب يعجب بالأوروبيين ، ويشربون الخمر أيضا ، وعند عودتهم إلى بلادهم يوصون بالآخذ بكل ذلك السفه مدعين أن قمة الحضارة الأوروبية تتمثل في مثل هذه الأمور " [1]

ونستنتج من وصف السلطان (عبد الحميد) – رحمه الله – لهؤلاء المبتعثين : أنهم لم يرجعوا بشيء غير السفاهة ، ودناءات الأخلاق وتقليد الأوروبيين في كل أمورهم ، وهذا ما يريده أعداء الإسلام ، وهذا ما حذَّر منه نبينا –ﷺ– حيث قال : (لتَتَّبعن سَنَنَ الذين من قبلكم . شبراً بشبر ، وذراعاً بذراعٍ . حتَّى لو دخلوا في جحر ضبٍّ لاتبعتموهم ...)[2]

ومن أهم السفارات ، والبعثات التي أرسلتها الدولة العثمانية :

1 . سفارة رئيس الكُتَّاب (أبو بكر راتب أفندي) سنة (1729 م) إلى (فينا) عاصمة (الإمبراطورية النَّمساوية) ليطلع على أوضاعها ، وأوضاع سياسة الحكم فيها ؛ فكتب تقريراً من (خمسمائة) صفحة تكلم فيها عن إعجابه بالغرب مادحاً لهم ولبعدهم عن الدين حيث قال : " ... ليس عندهم قوانين دينية ، إذ لم يبق من القوانين المسيحية إلا ما تعلق منها بالزواج ، وحتى هذه الناحية من المُمَارسات الدِّينية لم تكن معتمدة دائما على جانب الملوك ، فالعامل الديني لم يكن ملحوظاً فيما تعلق بقضايا الميراث ... " [3]

2 . في سنة (1816 م) أوفدت أول بعثة كبيرة من مصر إلى فرنسا في عهد (محمد علي) ، واختير معهم شيخ أزهري يدعى (رفاعة الطهطاوي) * ليكون إماما لهم ، فأقام في باريس خمس سنوات تعلم فيها اللغة الفرنسية ، وانبهر بالحياة الغربية ، وتَنَكَّر لدينه الحنيف ، فبعد عودته إلى مصر بدأ في بث سمومه التي تلقاها في أوروبا ، فألف كتابه

---

[1] مذكرات السلطان عبد الحميد . مرجع سابق . ص / 183

[2] أخرجه مسلم في الصحيح . كتاب العلم . باب اتباع سنن اليهود والنصارى . حديث رقم (2669)

[3] مذكرات السلطان عبد الحميد . تقديم وترجمة . محمد حرب . ص / 161 – 162

*** هو رفاعة رافع الطهطاوي ، ولد في طهطا عام (1801 م) وإليها انتسب ، أحد خريجي الأزهر ، تعلم الفرنسية بعد سفره إلى فرنسا تأثر بالغرب ، ودعا إلى مفاهيمهم . من أشهر مؤلفاته تخليص الإبريز في تلخيص باريس ، و القانون الفرنسي . ينظر مذاهب فكرية في الميزان . علاء بكر . مكتبة فياض بالمنصورة . ط1 . 2011 م . ص / 47**

(تلخيص الإبريز في تاريخ باريس) الذي طُبع باللغة التركية ، إضافة للعربية ، كما قام بترجمة الدستور، والقانون الفرنسي ، وقانون المحاكمات ، والمخاصمات، وقانون البلديات[1] ، ثم بدأ ببث أفكاره الخبيثة كالدعوة للوطنية بالرجوع إلى (الفرعونية المصرية القديمة) ليصل من خلال هذه الدعوة إلى فصل مصر عن باقي الأمة الإسلامية ، كما دعا إلى إطلاق الحُرِّيَّات ، وطالب بتقنين الشريعة ، وحارب تعدد الزوجات ، ودعا إلى تحديد الطلاق ، والسماح بالاختلاط بين الجنسين . [2]

وحاول أن ينقل كل ما رآه وسمعه في فرنسا إلى بلاد الإسلام مُلقياً بتعاليم الشريعة الإسلامية السَّمحَاء وراء ظهره حيث يقول في أحد كتاباته مُظْهِراً إعجابه بالفسق والفجور في فرنسا : إن الرَّقص في فرنسا كان دائماً غير خارج عن قوانين الحياء ، بخلاف الرقص في أرض مصر ، فإنه من خصوصيات النساء ، لأنه لتهييج الشهوات ، وأما في باريس فإنه نمط مخصوص لا يُشمُّ منه رائحة العُهر أبداً ، وكل إنسان يَعزِمُ امرأة يرقص معها ، فإذا فرغ الرَّقص عزمها آخر للرقصة الثانية ، ويرقص الإنسان ويده في خاصرة من ترقص معه ، وأغلب الأوقات يمسكها بيده .... [3] وإن كان هذا غير مخرج عن الحياء فلا ندري ما هو المخرج عن الحياء عند الشيخ إذاً ؟

3 . ثم أوفدت مجموعة أخرى إلى فرنسا وكان من بين المبعوثين شخص يُسمَّى (قاسم أمين) * سلك بعد رجوعه لبلاد الإسلام نهج أسياده من الأوروبيين فبدأ حال عودته في نشر ما لُقِّن في فرنسا من شوائب ، ورواسب فكرية وبدأ يُدِندِن حول قضية المرأة ،

---

[1] نظرات شرعية في فكر منحرف . سليمان صالح الخراشي . روافد للطباعة والنشر . لبنان . ط1 . 2002 م . ص / 137 بتصرف

[2] مذاهب فكرية في الميزان . د علاء بكر . مرجع سابق . ص / 47

[3] تخليص الإبريز في تاريخ باريز . رفاعة رافع الطهطاوي . كلمات عربية للترجمة والنشر بالقاهرة . 2011 م . لم يذكر رقم الطبعة . ص / 137 : 138 بتصرف

*** هو قاسم محمد أمين ولد عام 1863 م لأب تركي عثماني ، وأم مصرية قدم والده إلى مصر في بداية حكم الخديوي إسماعيل . وتحصل على الشهادة الابتدائية في الإسكندرية ثم انتقلت أسرته إلى القاهرة فالتحق بالمدرسة التجهيزية القسم الفرنسي ، ثم التحق بمدرسة الحقوق والإدارة وتحصل منها على درجة الليسانس ، ثم ابتعث إلى فرنسا ، وبقي فيها أربع سنوات أنهى خلالها دراسته القانونية سنة 1885 م .عاد بعدها إلى القاهرة ليتم تعينه في القضاء . مات سنة 1908 م . ينظر الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية .**

وحقوقها ، وتعمد إلى اتباع التدرج في دعوته إلى إفساد المرأة المسلمة ، والسير على خطوات شيطانية متزايدة نحو هذا الهدف حيث كان يزعم أنه يدافع عن الحجاب ، ويكتفي فقط بالدعوة إلى كشف الوجه واليدين ، ثم شَنَّ حرباً ضد الحجاب الإسلامي ويصفه بأبشع الألفاظ . [1]

يقول في كتابه تحرير المرأة مظهراً انزعاجه من قوامة الرجل على المرأة : " مضت الأجيال عندنا ، والمرأة خاضعة لحكم القوة المغلوبة لسلطات الاستبداد من الرجل " [2]

ثم يتمادى لِيُرجع حجاب العفيفات من بنات المسلمين إلى أنه عادة وليس عباده لينتزع منه الصبغة الشرعية فيقول : " وكل من عرف التاريخ يعلم أن الحجاب دور من الأدوار التاريخية لحياة المرأة في العالم " [3] ، ويقول في موضع آخر: " لا نجد نصًّا في الشريعة يوجب الحجاب على هذه الطريقة المعهودة ، وإنما هي عادة عرضت عليهم من مخالطة الأمم ؛ فاستحسنوها ، وأخذوا بها ، وبالغوا فيها ، وألبسوها لباس الدِّين كسائر العادات الضَّارة التي تمكنت في الناس باسم الدين والدين براء منها " [4]

ومن نتائج هذه السفارات والبعثات ما يلي :

1. يتضح للباحث مدى الضعف الذي وصلت له (الدولة العثمانية) ومدى التَّأخر الذي حلَّ بها حتَّى أنها أصبحت تبحث عن أي حل يُنقذها من أزمتها ولو كان يدعو إلى التخلي عن الدين ، والمبادئ الإسلامية .

2 . ضعف الدولة ، وقلة العلماء ، وإقصاؤهم أدَّى إلى افتتان الطبقة المثقفة بالغرب ونشر أفكاره ، ومبادئه التي تقوم عليها حضارته بين المسلمين بكل يسر وحرية .

3 . ضعف الأخلاق الإسلامية ، وضياع هيبة الدولة أدّى إلى انتشار الفجور، والفواحش بين الرجال ، والنساء بسبب البعد عن أخلاق الإسلام ، والسير وراء الغرب ، وتقليدهم تحت مُسمَّى الحضارة والرقي ؛ ففي سنة (1919 م) خرجت أول مظاهرة نسائية : تزعم

---

[1] نظرات شرعية في فكر منحرف . سليمان صالح الخرشي . مرجع سابق . ج 1 / 819 . بتصرف

[2] تحرير المرأة . قاسم أمين . مؤسسة هنداوي . القاهرة . 2012 م . لم يذكر رقم الطبعة . ص / 21

[3] نفس المرجع . ص / 38

[4] نفس المرجع : 39

أنها ضد الاحتلال الإنجليزي ، ولكنها استثمرت للبدء بما يعرف (بعملية تحرير المرأة) والدعوة للسفور من خلال ما قامت به بعض النساء من رمي للحجاب الذي كُنَّ يرتدينه بتشجيع من الغرب في الخارج ، والعملاء من الداخل .

4 . القضاء على عقيدة الولاء والبراء التي نادى بها الإسلام حيث ظهر ما يعرف بمصطلح المواطنة ، وأنَّ كل مواطني الدولة سواء في الحقوق بِغَضِّ النظر عن الدين وصار الولاء للوطن دون الدين ، وأن الوطن للجميع .... إلى غير ذلك من الشعارات المستوردة التي أدت إلى تسلط غير المسلمين على الدولة وتمكنهم من الوصول إلى أعلى السلطات في الدولة ، ومن ثم عملوا على هدمها كما يريدون .

4 . حركة الامتيازات أو (عهد التنظيمات) :

التنظيمات حركة إصلاحية قامت في أواسط القرن (الثامن عشر الميلادي) بغية تنظيم شؤون الدولة على غرار الدول الغربية ، وتقريب العالم الإسلامي من العالم الغربي الذي عاش بعيداً عنه ، وذلك تحت ضغوط الهزائم العسكرية التي مني بها الجيش العثماني ، وقد أدى ذلك إلى شيوع الرأي القائل بأن أخذ الدولة بأشكال الحكم الأوروبية سيتلوه تلقائياً قيام دولة قوية . [1]

وقد مرت حركة الإصلاح المزعومة في (الدولة العثمانية) بعدة مراحل من أهمها :

المرحلة الأولى : القضاء على القوة العسكرية للدولة وتشكيل جسم جديد موازٍ لها .

وكان هدف هذه المرحلة القضاء على الجيش الإنكشاري [*] الذي كان عمودا للدولة العثمانية ، والذي كان ولاؤه للإسلام " على الرغم من الانتقادات التي وجهت له، والأخطاء التي وقع فيها بعض أفراده " ليستبدلوه بجيش آخر نُظِّمَ على النهج الغربي ، مُكَون من طوائف مُختلفة ، من بينها طائفة النصارى التي وجدت ضالتها في هذا الجيش الجديد ،

---

[1] تطور الأوضاع الثقافية في تركيا من عهد التنظيمات إلى عهد الجمهورية . سهيل صبان. مرجع سابق . ص / 14 – 15 : بتصرف

[*] الإنكشارية : جمع لكلمة انكشاري ، وهي عبارة تركية معناها النظام الجديد ، وهو المصطلح الذي أطلق على نظام التجنيد الذي أحدثه السلطان أورخان سنة 1389 م . ثم قام السلطان مراد الثاني بتنظيم قوانين هذا الجيش والتي من أبرزها : الطاعة التامة لقادة الجيش ، ووحدة الصف ، والارتباط التام بالشريعة الإسلامية . ينظر الإنكشارية والمجتمع ببايلك القسطنطينية في نهاية العهد العثماني . رسالة دكتوراه لجميلة معاشي . إشراف . كمال فيلالي . كلية العلوم الإنسانية جامعة منستوري قسنطينة ص /2

لتتسلل من خلاله إلى السيطرة على زمام الأمور في الدولة العثمانية ، فأصبحت فرقة من البلغار تقوم بتربية الخيول في إسطبلات الجيش العثماني ، ولا يدفعون الضرائب كغيرهم من الموظفين ، كما كان معظم من يشتغل فيما يسمى (الطُّوغَانجية) أو القناصة من نفس هذه الفرقة ، كما ضَمَّ سلاح المدفعية نسبة عالية من النصارى فاقت الثلث ، وقد وجد هؤلاء ضالتهم في هذا الجيش الذي لا يعرف ولاءً ، إلاَّ لدول أوروبا ، وصار الدِّين الذي كان يسيطر على العقيدة العسكرية لم يعد له وجود في الجيش الجديد ، وفي سبيل إرضاء الغرب، وبث روح التسامح بين مواطني الدولة الجديدة ، أنشئ الجيش الجديد ، واستُقدِم العديد من الضباط الغربيين لتدريب الجيش العثماني من بينهم المستشار العسكري الفرنسي البارون (دي توت) المجري المولد الذي جيء به لتدريب فرقتي المدفعية ، والمهندسين . وكان موفداً للأستانة في عام (1755 م) لتعلم اللغة التركية ، وعمل لما يقرب من عشر سنوات مبعوثاً لسفارة الفرنسية ، ثم عُيِّن مستشاراً للإصلاحات العسكرية.[1] وهكذا تم القضاء على الجيش الانكشاري على يد السلطان محمود الثاني (1808 – 1839 م) في مواجهة عنيفة قَضَىَ عليه في نهايتها في العاشر من ذي القعدة عام (1241هـ) ليحل محله الجيش الجديد .[2]

المرحلة الثانية : إصدار مرسوم (كلخانة) :

وهو عبارة عن قانون تعود بدايته إلى (القرن الثامن عشر) وكان في ملامحه شبيها بالدساتير الأوروبية ، فلم يكن مستمد من الشريعة الإسلامية . بل استهدف مصلحة الدولة بزعمهم . ففي عام (1839 م) دعا السلطان (عبد المجيد) إلى اجتماع بقصر (الورود) أو ما يعرف بقصر (كلخانة) كل رجالات الدولة من قادة الجيش ، والعلماء والوجهاء ، وممثلي الدول الأوروبية ، وَقُرِأَ هذا المرسوم على مسمع من السلطان ، وأمام الجموع من المدعوين ، ولأول مرة تعلن الدولة بأن النظم التي كانت تسير عليها لم تعد صالحة ، ولابد

---

(1) أصول التاريخ العثماني . أحمد عبد الرحيم مصطفى . مرجع سابق . ص / 172 بتصرف

(2) (سياسة بريطانيا تجاه النصارى واليهود في الدولة العثمانية) . بان غانم الصائغ . منشورات مجلة التربية والعلم بالعراق . العدد 5 . سنة . 2012 م . ج 19 / 7 : بتصرف

لها من مواكبة التطور ، والأخذ بالنظم الأوروبية ، ولو تعارض ذلك مع الدين الإسلامي .

ومن أهم بنود هذا القانون :

أ . منح جميع رعايا الدولة أَمنيَّة الروح ، والمال ، والعرض .

ب . إصلاح الإدارة ، والقضاء ، والجيش .

ج . تثبيت الضرائب والتكاليف المالية ، وتنظيم توزيعها ، وجبايتها .

كما أعطت الدولة في هذا المرسوم العديد من الامتيازات للدول الأجنبية تحت اسم التسامح الإسلامي ، والإيمان بالمساواة ، مما مكن للقوميات بالنمو، والتطور : كالقومية (البلقانية) إلى حد شجعها على حمل السلاح ، والانفصال عن الدولة بمعونة الكنيسة الروسية ، وجيوش ، وأموال القيصر ، بينما استطاع الاستعمار (الروسي) الذي اتخذت منه (الدولة العثمانية) حليفاً ، وصديقاً ، أن يقصم ظهر الولايات الإسلامية ، ويمتص منها كل حيوية .

وما زالت الدولة تتنازل عن هيبتها ، بتفريطها في دينها وتمنح الامتيازات للآخرين حتى تحصلت (لبنان) على نظام جديد مَنَحَ المسيحيين امتيازات جعلت كفتهم راجحة على كفة غيرهم . كما ضمنت الحكومة لكل الطوائف في الدولة حرية ممارسة شعائرهم ومزاولة طقوسهم ، فنفدت إلى أبواب أخرى حتى وصل عدد المسيحيين في البرلمان إلى (أربعين) من أصل (مائة وستة عشر) . [1]

المرحلة الثالثة : إصدار مجموعة القوانين التنظيمية (1840 – 1874 م) :

لم تكتف الدولة إعلان تركها لشريعة الله تعالى بل زادت من انبطاحها وموالاتها لغير المسلمين ؛ فأصدرت في أعقاب فرمان (كلخانة) مجموعة جديدة من القوانين التنظيمية أدت إلى حدوث تغيرات كبيرة شملت مختلف مجالات الحياة .

ففي سنة (1840 م) أصدرت مجموعة قوانين جنائية ، اعتبرت المواطنين العثمانيين سواء أمام القانون ، وبموجب هذه القوانين أنشئت محاكم نظامية سَحَبَت الَّدعاوى الجزائية

---

[1] الضربات التي وجهت للانقضاض على الأمة الإسلامية . أنور الجندي . دار القلم دمشق . ط 1 . 1988 م . ص / 179 – 180 : بتصرف

من القضاء الشرعي ، وفي سنة (1847 م) أُنشئت محاكم مدنية، وجنائية مختلطة تقبل شهادة المسلمين ، وغير المسلمين على السواء ، وسمحت الدولة لقضاة (أوروبيين) بالعمل في ساحة القضاء العثماني : إذا تعلقت القضايا بحقوق غير المسلمين . [1]

المرحلة الرابعة : صدور خط همايون أو(التنظيمات الخيرية)

في عام (1856 م) أصدر السلطان العثماني (عبد المجيد الثاني) [*] بعد انتصاره في حرب القرم (1853 – 1854 م) على (روسيا) بمساعدة (انجلترا) و(فرنسا) و(إيطاليا) قراراً جاء كهدية لهذه الدول جزاء وقوفها معه : يؤكد على مبدأ المساواة القانونية والمدنية بين كافة الرعايا ، والسماح لهذه الطوائف غير المسلمة بممارسة شعائرها الدينية بكل حرية ، وبناء معابدها ، وإعلان المساواة في المعاملة بين الجميع ، ومنع استقبال الألفاظ التي تحط من قيمة غير المسلمين ، والسماح لهم في التعيين والعمل في كل أجهزة الدولة . [2]

ومن أهم النتائج التي ترتبت على هذه التنظيمات :

1 . إلغاء تحكيم الشريعة الإسلامية ، وعلمنة الدولة بشكل رسمي من خلال تحكيم القوانين الوضعية .

2. زادت هذه التنظيمات من ترابط الجماعات النصرانية بسبب ما تضمنته من تنظيم شئون الكنائس ، والأسقفيات ، وتشجيع الدول الغربية لها من خلال الاهتمام بشؤونها ، والوقوف معها في كل الأحوال .

3 . منحت العديد من المزايا لغير المسلمين نتيجة للضغط الخارجي ، والتي فاقت حتى مزايا مواطني الدولة من المسلمين .

4 . ضيعت هيبة الدولة وجرأت العديد من الدول ، والأقليات عليها من خلال الحروب أو الدعوة لانفصال أقاليم معينة عنها .

---

[1] التنظيمات العثمانية وأثرها على الولايات العربية . غانية بعيو . مرجع سابق . ص / 107 – 108 : بتصرف

[*] هو السلطان عبد المجيد بن السلطان محمود الثاني تولى الحكم 1255 هـ ولم يبلغ الثامنة عشرة من عمره . ينظر تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة . محمد سهيل طقوش . دار النفائس . ط 3 – 2013 م . ص / 363: بتصرف .

[2] نفس المرجع . ص / 110 – 115 : بتصرف

5 . من أخطر النتائج لهذه التنظيمات هي بدء هجرة اليهود إلى الدولة العثمانية ، وعملهم للحصول على فلسطين كوطن قومي لهم ؛ ففي عام (1860 م) تأسس في فرنسا اتحاد يسمى بـ (الاتحاد الإسرائيلي العالمي) بقيادة مجموعة من زعماء اليهود في فرنسا ، وقد عمل هذا الاتحاد على تشجيع هجرة اليهود من دول شرق المتوسط والاستيطان في فلسطين ، كما قام هذا الاتحاد باستئجار العديد من الأراضي في فلسطين لإقامة مدرسة زراعية لليهود تُسمَّى (مكفية إسرائيل الزراعية) وفي عام (1873 م) اشترى بعض اليهود في القدس مساحة من الأرض أقاموا عليها مستعمرة تُسمَّى (بتاح تكفا) أي بوَّابة الأمل[1]، وهكذا توالت الهجرات اليهودية بكل سلاسة وسرية تتوارى عن الأنظار داخل بلاد الإسلام لتبدأ في إنشاء مشروعها الصهيوني ، وهو احتلال فلسطين وقيام دولة إسرائيل مستفيدة من هذه الامتيازات والتنظيمات المشبوهة .

5 . محاربة التعليم الديني وتأسيس المدارس الأجنبية .

على مشارف انحلال الدولة وفي ظل انتعاش الروح الاستعمارية التبشيرية في العالم ، ونشوب الاستعمار في عامة أقطار العالم الإسلامي كان المبشر الأول هو (المدرسة) وهي أَشر قُوى الغزو الفكري والثقافي . فقفزت (الدولة العثمانية) بناء على المعاهدات والتنظيمات التي أبرمتها فيما سبق ، ولتبرهن على حسن نيتها تجاه الإصلاح الغربي المزعوم بدأت تسمح بافتتاح المدارس على الطريقة الغربية بمنهج وفكر مختلف ، يختلف عن المنهج الإسلامي السمح ، فكانت أول شرارة قدحت في افتتاح هذه المدارس في بلاد المسلمين في (بيروت) : وذلك بإنشاء مدرسة للبنات في (الإمبراطورية العثمانية) سنة (1830 م) ، وكانت تعنى ببنات الأسر ، والبيوت الكبيرة اللاتي ستكون لهن السيطرة على الجيل المقبل . [2]

---

[1] موسوعة تاريخ اليهود . محمود شاكر . دار أسامة . عمّان الأردن . ط 1 . 2002 م . ص / 312 – 313 : بتصرف

[2] المدارس العالمية الأجنبية الاستعمارية تاريخها ومخاطرها . بكر عبد الله أبو زيد . دار ألفا بالقاهرة . ط 1 . 2006 م . ص/ 25 – 28 : بتصرف

كما قام السلطان (محمود الثاني) * بعد عام (1830 م) بما سُمِّيَ مشروعاً إصلاحيّاً يتضمن العديد من النقاط من بينها :

أ . ابتعاث طلبة إلى مدارس (أوروبا) ليتعلموا فيها .

ب . فصل المدارس في غير المرحلة الابتدائية عن إشراف المشيخة الإسلامية .

ج . إنشاء العديد من الكليات على النمط الغربي ككلية الطب (1828 م) وكلية إعداد المعلمين (1830 م) وكانت مناهج هذه الكليات تسير وفق برامج التعليم الفرنسي ، وكانت اللغة الفرنسية إجبارية في كل المدارس المستحدثة آنذاك ، [1] وهنا تكمن الخطورة عندما يقوم بالأمر من ولي أمرا من أمور المسلمين فهو صاحب القرار والتأثير ويفرح الغرب لذلك لهدم البيت من داخله .

وعملت البعثات التنصيرية على فتح مدارس وكليات لها بكل قوة حيث قام الآباء المسيحيون بتأسيس (الكلية الفرنسية) بالإسكندرية ، والجمعية (البروتستانتية) في مصر سنة (1840 م) ثم تبعتها مدارس الآباء (اليسوعيين) عام (1880 م) . وأنشأت الجالية اليونانية في عام (1843 م) مدرسة وكنيسة في (الإسكندرية)، ثم في (المنصورة) و(طنطا) و(بورسعيد) و(القاهرة) وغيرها .

وفي (سوريا) فتحت الإرساليات الأمريكية وحدها حتى عام (1909 م) (مائة وأربع وسبعون) مدرسة ، ثم تطور بها الحال إلى إنشاء كليات للتعليم العالي ، كانت أولاها في (بيروت) سنة (1862 م) التي تحولت فيما بعد باسم (الكلية السورية الإنجيلية) ثم هي اليوم (الجامعة الأمريكية) في بيروت . [2]

---

* **ولد سنة 1199 هـ إثر عزل السلطان مصطفى الرابع سنة 1223 هـ وعمره أربع وعشرون سنة ، كان معتقداً أن الإصلاح لا بد أن يسير وفق الطرق العصرية الأوروبية ، فبدأ في تأسيس جيش يسير على خطى الجيوش الأوروبية وجلب العديد من الضباط والإنجليز ليشرفوا على تدريبه ، كما قضى على الجيش الأول أو ما يعرف بالإنكشارية ، وألغى الطريقة البكتاشية التي كانوا ينتسبون إليها . ينظر تاريخ الدولة العثمانية . اشكيب ارسلان . مرجع سابق . ص / 267**

[1] **تطور الأوضاع الثقافية في تركيا من عهد التنظيمات إلى عهد الجمهورية . سهيل صابان . مرجع سابق . ص /25 – 26 بتصرف**

[2] **المدارس العالمية الأجنبية الاستعمارية تاريخها ومخاطرها . بكر عبد الله أبو زيد . مرجع سابق . ص : 25 – 28**

ومن المؤسسات التعليمية في استانبول ثانوية (غلطة سراي) الحكومية التي أُطْلِق عليها اسم (المكتب السلطاني) وكانت تحت إشراف الحكومة الفرنسية ، وقد قامت هذه المؤسسة بتخريج أجهزة كوادر إدارية ، ودبلوماسية ، واقتصادية تتخذ من الأفكار والإيديولوجيات الغربية مصدراً لها فيما تتبنَّاه من أفكار .[1]

ومن أهم نتائج هذه النقطة :

1 . إطلاق العنان للغرب بفتح المدارس داخل العالم الإسلامي بكل حرية ، وفرض المناهج التي يريدونها على أبناء المسلمين ، وفي هذه الخطوة من المخاطر ما الله به عليم حيث سيربى أبناء الإسلام تربية غربية وفق ما يريد الأعداء ، ومما يجب ذكره أن التعليم الذي أشرفت عليه الدولة في عهد (التنظيمات) لم يُبْنَ على قواعد سليمة تراعى فيه بنية المجتمع العثماني المسلم ، فقامت بفصل الدين عن الدولة ، ليشمل التعليم والقضاء وغير ذلك إرضاء لغير المسلمين ، ورغبة في الإصلاح المزعوم .

2 . ضعف التعليم الديني أمام هذه المدارس التي قوي نفوذها ، وزاد انتشارها ، وضعف نفوذ المراكز التعليمية الدينية كمدارس (صحن ثمان) التي أنشئت في القرنين (الخامس عشر، والسادس عشر) الميلاديين ومدارس (السليمانية) التي أنشئت في عهد السلطان (سليمان القانوني سنة 1566 م) وكان يُدَرَّسُ فيها ، وفي غيرها مختلف العلوم الشرعية ، ويتحصل الطالب فيها على أعلى الإجازات العلمية وتُخرج أجيالا من الدعاة ، والعلماء الراسخين [2] ، وصار(الأزهر) الذي كان منارة للدارسين أسيراً منبوذاً لا يدخله إلا أبناء الفقراء ، والمساكين بعد أن نازعته هذه المدارس المشبوهة في تعليم الأمة ، وأصبح جل من يدخلها من أبناء الميسورين فقط ، وما أن يتخرج حتى تُوفَّر له أعلى الوظائف في الدولة ، وأصبحت المناهج تتباين تبايناً شديداً ففي ظل ضعف مناهج التعليم الديني كمناهج (الأزهر) مثلاً . قويت مناهج هذه المدارس ، ولكنها كانت على القشور التي لا

---

[1] تطور الأوضاع الثقافية في تركيا من عهد التنظيمات إلى عهد الجمهورية . سهيل صابان . مرجع سابق . ص /25 – 26 بتصرف

[2] نفس المرجع السابق . ص / 21 – 31: بتصرف

تسمن ولا تغني من جوع ؛ لأن هدفها كان القضاء على الإسلام ، وليس بث العلم ، والنهضة بين أبناء المسلمين . [1]

3 . ساهمت هذه المدارس في ترسيخ الفكر القومي المعادي للإسلام ، وأصبحت معقلاً من معاقل التبشير والفساد ، وحضناً دافئاً للأفكار والفرق المنحرفة ، فوجد كل صاحب لوثة فكريه مأمنه فيها فكانت النتيجة أن خرج من رحمها جيل مهزوم ، لا يهمه الإسلام ولا يعبأ به ، فلا قدوة لهم إلا الغرب . منهم يستمدون مُثلهم العليا ، وثقافتهم المخلوطة ، فتجدهم يعرفون عن تاريخ انجلترا ، وفرنسا أضعاف ما يعرفون عن تاريخ المسلمين أو العرب ، وعن تاريخ الكنيسة الأوروبية ومذاهبها أكثر ما يعرفون عن تاريخ الفقه الإسلامي. [2]

4 . أدت المناهج الدراسية لهذه المدارس إلى ترسيخ روح الانهزامية والوهن ، والخمول بين أبناء المسلمين، فتناسى الطُّلاّب الحضارة التي بناها أجدادهم أيام كانت أوروبا تغط في سبات عميق وسط ظلمات القرون الوسطى ، وصاروا ينظرون إلى دول أوروبا على أنها جنة الله على الأرض .

5 . ساهمت هذه المدارس في انهيار القيم ، وسقوط الأخلاق ، والمبادئ ، فاستطاعت تفكيك الدولة ، ونجحت في غرس بذرة خبيثة لا زال العالم الإسلامي يجني ثمارها المُرَّة إلى اليوم كإدخال المناهج الغربية المعادية للدين في نظام التعليم وإبرازها بأنها هي الحقيقة والحضارة ، والتقدم ؛ فأدخلت الفلسفات المادية الإلحادية في أقسام علم النفس في الجامعات الإسلامية على أساس أنها نظريات علمية ، وفي أقسام علم الاجتماع صارت تدرس نظرية (دوركهايم)* ومنهجه المبني على أساس لا ديني ، وفي أقسام الكيمياء ، والفيزياء ، والفلك ، والطب ... تدرس مناهج محشوة بإيحاءات فلسفية ، أو وثنية ، مثل "

---

[1] رسالة في الطريق إلى ثقافتنا . محمود محمد شاكر . الهيئة المصرية للكتاب . 1997 م . ص / 146 – 174 : بتصرف

[2] الاتجاهات الوطنية في الأدب الحديث . محمد محمد حسين . مؤسسة الرسالة . ط 4 . 1984 م . ج1 / 259

*** فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي ولد سنة 1858 م بمدينة ابيبنال بفرنسا من عائلة يهودية ، ومات سنة 1917 م . كان أستاذا في جامعة السوربون . له العديد من المؤلفات منها : قواعد المنهج في علم الاجتماع ، الأشكال الأولية للحياة الدينية . ومن أهم آرائه أنه يُرجع التطور الاجتماعي إلى ثلاثة عوامل هي كثافة السكان ، وتطور وسائل المواصلات ، والوعي الاجتماعي ، ينظر الموسوعة الفلسفية . إسماعيل الشرفا . دار أسامة بالأردن . ط1 . 2003 م . ص / 95**

المادة لا تفنى ، ولا تستحدث " [1] ، وغير ذلك من الأفكار المنحرفة ، والعبارات المسمومة .

6 . تمكين الجماعات المشبوهة وأصحاب الأفكار المنحرفة من التغلغل والعمل داخل الدولة بكل حرية

إذا كان للنصارى دور كبير في هدم الخلافة الإسلامية من خلال تكبيل الدولة بما سمي (المعاهدات والتنظيمات) وما نتج عن ذلك من منح امتيازات للعديد من الفرق والطوائف من الجماعات المنحرفة ذات الأفكار المشبوهة لتعبث فسادا في الدولة ولتذكي نار الفرقة والفتنة من خلال دعمها لبعض القوميات وتشجيعها على الخروج على الدولة وغير ذلك من المؤامرات ، فقد كان لليهود الدور الأكبر في القضاء على دولة الخلافة الإسلامية ، فالنصارى كانوا يعملون في العلن غالباً وكانت مؤامراتهم واضحة للعيان ولكن جهل بعض السلاطين العثمانيين بأمور السياسة ، والحكم هو من مكنهم من تحقيق أهدافهم .

بينما كان اليهود على الجانب الآخر ينسجون مؤامراتهم بدقة وسرية تامة ، بعد أن خانوا اليد التي امتدت لهم فبعد أن تشردوا في الأرض لم يجدوا من يستقبلهم إلا دولة الإسلام (الدولة العثمانية) التي عاشوا تحت ظلها في حرية ورفاهية ، ولكن طباعهم السيئة وحقدهم الدفين على الإسلام جعلهم يُؤَسِّسُون فرقاً خبيثة لهدم الدولة والقضاء على خلافتها.

ومن هذه الجماعات :

أ . الماسونية :

هي حركة تنظيمية خفية قام بها حاخامات اليهود ، وخاصة في مراحل الضياع الذي تعرضوا له قديماً ، فأخذ هؤلاء على عاتقهم إقامة تنظيم يهودي . أعضاؤها تجمعهم غاية واحدة في الظاهر يعملون لها ولا يعلم حقيقتها إلا أفراد مميزون . [2]

---

[1] حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة . د جميل المصري . مرجع سابق . ص /146 – 147 : بتصرف

[2] الماسونية قديماً وحديثاً . خليل إبراهيم حسّونة . منشورات جمعية الدعوة الإسلامية: بتصرف . ط 2 . 1999 . ص 13 / 14

وعرفت أيضاً بأنها : " حركة تنظيمية خفية قام بها على الأرجح حاخامات التلمود، وخاصة في مراحل الضياع السياسي الذي تعرض له يهود العهد القديم فأخذ الحاخامات على عاتقهم إقامة تنظيم يهودي يهدف إلى إقامة مملكة صهيون العالمية " [1]

وعلى أي حال فإن هذه المنظمة قديمة قدم اليهود شعارها " اخلع عقيدتك كما تخلع نعليك على الباب " [2]

دور الماسونية في هدم الدولة العثمانية :

بدأت الحركة الماسونية عملها في الدولة العثمانية بشكل سري وخفي خوفاً من افتضاحها ، ومهابة لقوة الدولة التي ما زالت يخاف منها الأعداء ، ولو بشكل قليل . وارتبطت الماسونية في (الدول العثمانية) بالمحفل الماسوني المسمى بـ (المشرق الأعظم الفرنسي) في باريس إلاَّ أنَّ النَّشاط الفعلي لها يرجع إلى أواسط القرن (التاسع عشر) الميلادي في عهد السلطان (عبد المجيد الثاني 1839 – 1861 م) حيث برزت على الساحة ونالت تأييدا من رجال الدولة ، وسفراء الدول الغربية . فقد أنشأ سفير انجلترا (بولوير) في استانبول محفلاً باسمه عام (1857 م) ، وأنشأ السفير الفرنسي محفلاً سُمِّيَ بـ (الشرق) ، ثم تابعهما في ذلك سفراء الدول الأخرى ، وباقي الأقليات النصرانية الموجودة في استانبول بإنشاء المحافل الماسونية الخاصة بدولهم ، وافتتح الإيطاليون، محفلاً خاصاً بهم في مدينة (برات) بـ (ألبانيا) كما افتُتِح محفل (العشق) الذي أنشأه (الأرمن)[*] عام (1866 م) . وكانت كل هذه المحافل تابعة لمحفل يسمَّى محفل (المشرق الأعظم) موجود بباريس ، وكانت الصلة بين هذه المحافل وبين (الصهيونية العالمية) [*] واضحة لدى

---

[1] الماسونية ذلك العالم المجهول دراسة في الأسرار التنظيمية لليهودية العالمية . صابر طعيمة . دار الجيل بيروت . ط 6 . 1993 م . ص / 11

[2] مذاهب فكرية في الميزان . علاء بكر . مصدر سابق . ص / 291 – 292 : بتصرف

[*] الأرمن شعب ينتمي إلى العرق الآري استوطن هضبة أرمينيا الممتدة في الأجزاء الوسطى والشرقية من آسيا الصغرى في الألف الثالث قبل الميلاد ، واعتنقوا الديانة المسيحية سنة 406 م . ينظر الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية : ar. Wikipedia.org . مرجع سابق . بتصرف

[*] الصهيونية مشتقة من الكلمة الكنعانية صهيون وهو اسم جبل في فلسطين وهي منظمة إرهابية أسَّسها اليهود الروس بعد منتصف القرن التاسع عشر ، وانتمى لها معظم اليهود وأصبحت لها فروع عديدة ، وصارت تعنى بفلسطين وتسعى لاحتلالها واعتبارها الوطن القومي لليهود . ينظر موسوعة تاريخ اليهود . محمود شاكر . دار أسامة عمّان . ط 1 . 2002 م . ص /283

أعضائها ، وخير دليل على ذلك تقديم الماسونية العالمية كل المساعدات لأعضاء أحد الجمعيات المشبوهة التي تسمَّى بـ (جمعية الاتحاد والترقي)[*] التي شهد أحد أعضاؤها المدعو (مانياسي زاده) في تصريح له لإحدى الصحف الفرنسية في باريس قائلاً : لقد كانت للمساعدات المالية ، والمعنوية التي تلقيناها من الجمعية الماسونية الأثر الأكبر في حركتنا ، ويجب ألاَّ نستغرب ذلك لأننا ماسونيون أيضاً وأود أن أوجه شكري إلى الجمعية الماسونية الإيطالية التي أمدتنا بالعون العظيم نظراً لارتباطنا الوثيق بها . [1]

وانتشرت هذه المحافل داخل الدولة انتشار النار في الهشيم حتى وصل عددها إلى حوالي (170) محفلاً ، وبلغ عدد المنضمين إليها من الأتراك حوالي عشرة ألاف مسلم تركي معظمهم من الوزراء والنواب ، وقادة الجيش ، وكبار موظفي الدولة ، وتنبَّه السلطان (عبد الحميد) لهذا الخطر– ولكن بعد فوات الأوان – فأصدر أوامره بغلق جميع المحافل الماسونية ، وحل مجلس النواب الذي عشَّشَت فيه ، وتمكنت منه جذورها ، ولكنهم تواروا عن الأنظار، وقاموا بإخفاء نشاطاتهم في العلن، وظلوا يمارسون أعمالهم في أماكن أخرى تسكنها أقليات غير مسلمة كمدينة سالونيك [*] . [2] في ظل غفلة الدولة وتسامحها الزائد لهم فبدأوا يدمرون الدولة في الخفاء ، ويحيكون المؤامرات ، والدَّسائس ضدها بدعم من دول الغرب التي لم تنطفئ نار الحقد والحسد يوماً في قلوبهم .

---

[*] هي جمعية سرية تكونت في كلية الطب العسكري في استانبول تزعمها شاب ألباني اسمه لإبراهيم تيمور . تأثرت بالأفكار والآراء القومية . اكتسبت الكثير من الأنصار داخل المجتمع التركي ، تشرب قادتها أفكار الثورة الفرنسية وأعجبوا بها ، وكان معظمهم من أصل يهودي أو ماسوني . ينظر المسألة الشرقية . محمود الشاذلي . ص/ 38 . مرجع سابق . السلطان عبد الحميد الثاني بين الإنصاف والجمود . محمد مصطفى العلالي . دار الفكر . ط 1 . 2004 م . ص / 304 : بتصرف

[1] تطور الأوضاع الثقافية في تركيا من عهد التنظيمات إلى عهد الجمهورية . سهيل صابان . مرجع سابق . ص / 162 – 166 : بتصرف

[*] مدينة يونانية وعاصمة لإقليم مقدونيا الوسطى ، تقع على رأس خليج سالونيك الذي سميت باسمه فتحها العثمانيون سنة 1430 م ، في عهد السلطان مراد الثاني ، استوطن فيها اليهود بعد طردهم من الأندلس . ينظر الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية : ar. Wikipedia.org مرجع سابق: بتصرف

[2] مذاهب فكرية في الميزان . د علاء بكر . مرجع سابق . ص / 302 : بتصرف

ومن نتائج انتشار الماسونية داخل الدولة العثمانية :

1 . محاربة الإسلام ، وإضعاف الدولة العثمانية ، والقضاء على قوة المسلمين واحتلال أرضهم . جاء في مؤتمر للماسونية عقد في فرنسا سنة (1903 م) : إننا لا نكتفي بالانتصار على المتدينين ومعابدهم ، إنما غايتنا الأساسية هي إبادتهم من الوجود . [1]

2 . استبعاد الشريعة الإسلامية من الحياة واستبدالها بالقوانين الوضعية ؛ لأنه بفصل الناس عن الدين سيصبحون همجاً رعاعاً ، وبالتالي يسهل القضاء عليهم وعلى أوطانهم جاء في النشرة الرسمية التي نشرها محفل الشرق الأعظم في فرنسا سنة (1865 م) قولهم: " نحن الماسون لا يمكننا أن نتوقف عن الحرب بيننا وبين الأديان لأنه لا مناص من ظفرها أو ظفرنا ، ولا بد من موتها أو موتنا . [2]

3 . نجحت الماسونية في احتلال فلسطين والسيطرة على المسجد الأقصى واستجلاب المرتزقة من اليهود لتوطينهم القدس من أجل إعادة المملكة اليهودية في فلسطين .

4 . ساهمت الماسونية مع غيرها بدور بارز في القضاء على الخلافة الإسلامية ، وتقسيم دولة الخلافة إلى مجموعة من الدويلات تسير وفق أوامرهم ، وسياساتهم .

ب . تمكين المستشرقين من دخول الدولة والعمل في مؤسساتها :

الإستشراق هو : " تعبير أطلقه غير الشرقيين على الدراسات المتعلقة بالشرقيين : شعوبهم، وتاريخهم ، وأديانهم ، ولغاتهم ، وأوطانهم الاجتماعية ، وبلدانهم ، وسائر أراضيهم وما فيها من كنوز ، وخيرات ، وحضاراتهم ، وكل ما يتعلق بهم " . [3]

وكان الهدف من هذا الإطلاق العام الذي يشمل كل الشرق ، والشرقيين ، مسلمين أو غير مسلمين ، أن يكون غطاءً للهدف الأساسي ، الذي هو دراسة كل ما يتعلق بالإسلام والمسلمين ، لخدمة أغراض التبشير من جهة ، وأغراض الاستعمار الغربي لبلدان

---

[1] الماسونية ذلك العالم المجهول . صابر طعيمة . مرجع سابق . ص / 415 : بتصرف

[2] نفس المرجع . ص / 415 : بتصرف

[3] أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها . عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني . دار القلم . دمشق . ط . 8 . 2000 م . ص / 121 : بتصرف

المسلمين من جهة أخرى . ثم لإعداد الدراسات اللازمة لمحاربة الإسلام ، وتحطيم الأمة الإسلامية ، وتجزئتها ، وتفتيت وحدتها . [1]

دور الإستشراق في هدم الدولة العثمانية :

لقد توغل المستشرقون داخل الدولة العثمانية من كل حدب ، وصوب وبدأ الزَّحف البطيء المتتابع الخفي الوطء يخترق دار الإسلام في تركيا ، والشام ، ومصر ، والجزائر لابساً كل زِيّ في زِيَّ التاجر ، وزي السائح ، وزي العالم الباحث ، وزي المُسلم طالب العلم ، وعلى الوُجوه البِشْر ، والطَّلاقة والبراءة ، وفي الألسنة الحلاوة ، والطَّلاوة ، وعلى مُرور الأيام توغلوا زرافات ووُجدانا في قلب دار الإسلام يأخذون أهلها من وراء الغفلة، ويستخرجون كل مَخْبُوءٍ كان عنهم من أحوال الخاصَّةِ ، والعامَّةِ ، والعُلماء والجهلاء، والحُلمَاء والسفهاء ، والمُلوك والسَّوقة، والجُيوش والرَّعية ، يختبرون القوة والضعف، والذَّكاء والغفلة ، وتدَسَّسُوا حتى أخبار النساء في خُدورهن ، ولم يتركوا شيئاً إلا خَبَرُوه ، وفتشوه وسبروه . [2]

لقد اكتسب الاستشراق لنفسه أعوانا من اليهود ، وشُذَّاذَ الأَفاق من أهل الإسلام ومن غيرهم ، يستأجرونهم لتوسيع رقعة خبرته تارة ، ولبث أفكار مدروسة بين جماهير دار الإسلام خاصتها ، وعامتها ، وللتحكم في تصريف أموره ، وبلوغ غاياته تارة أخرى ، ثم للتمكن من إشعال نار الفتنة حين يقتضي الأمر إحداث فتن تفرق شمل الناس ، وتمزقهم ، وتشغلهم عن الكيد الخفي الذي يراد بهم ، وكل هذا كان يتم في هدوء ، وصبر، وتَسَتُّر ، من وراء الغفلة ، غفلة أهل دار الإسلام عن قضيتهم ، وعن حقيقة هذه الأشباح الغربية التي تتجول في الشوارع والطرقات ، [3] والتي ظن بعض حكام الدولة العثمانية وساستها أنهم جاءوا لغايات نبيلة ، وأهداف سامية كالبحث العلمي ، والاستكشافات التاريخية وغيرها متناسين أنه : من خدع الآمال أن ننتظر من أحد المستشرقين بحثاً مُبرّأً عن العيوب ، فذلك شيء يتنافى مع وظيفة الإستشراق الذي يمهد الطريق أمام الاستعمار، كما تمهد

---

[1] **نفس المرجع السابق . ص / 121**

[2] **رسالة في الطرق إلى ثقافتنا . محمود محمد شاكر . مرجع سابق . ص / 115 : بتصرف**

[3] **نفس المرجع. ص / 101 : بتصرف**

الدبابات الطريق أمام زحف المشاة في فنون الحرب . [1] إلاَّ القلة القليلة منهم والتي لا تكاد تذكر ، وأصابت في جانب ، وأخطأت في جوانب أخرى .

ولقد قام الإستشراق بلعب دور بارز في هدم الدولة العثمانية من خلال :

أ . تأليف الكتب الخاصة بتركيا والأتراك :

بدأ الأوروبيون يعنون بالدراسات التركية في القرن (السابع عشر الميلادي) حيث صدر كتاب (صرف اللغة التركية) لمؤلفه (دوريور) ، وفي عام (1630 م) صدرت دراسة بعنوان (المكتبة الشرقية) لمستشرق يدعى (هربلو) وقد ألفها في الغرب دون أدنى زيارة للشرق ؛ كما ظهر اهتمام بالغ بالدِّراسات العثمانية في الأدب الفرنسي ما بين عامي (1670 – 1680م) حيث توافد المستشرقون الفرنسيس على الدولة العثمانية فرادى، وجماعات ، ونشروا رحلاتهم في العديد من الكتب منها : كتاب التاريخ العام للهنغاريين والترك والمغول والتتار. للمستشرق الفرنسي دوجين سنة (1758 م) وقد أدى كِتَاب (صرف اللغة التركية) دوراً بارزاً حيث شجع الأتراك على التَّمسك بالقومية ، وأظهر مزايا اللغة التركية في هذا الكتاب ، وكان له دور عظيم في التأثير في المفكرين الأتراك ، حيث أظهر في هذا الكتاب بعض الجوانب عن تاريخ التمدن التركي قبل البعثة المحمدية الشريفة ؛ وأكد ضرورة الرجوع إلى معرفة التاريخ التركي القديم ، وبيان مفاخر هذا الشعب في التاريخ ، والحضارة .

كما استطاع المستشرق الفرنسي (ليون كوهين) الذي استخدم لنفسه اسماً مستعاراً هو (تكين ألب) الالتقاء بأعضاء جمعية (تركيا الفتاة) المنفيين في فرنسا ما بعد الستينات من (القرن التاسع عشر) ، وعقد معهم صداقات ، وأهدى إليهم كتابه الذي ألفه عام (1869 م) بعنوان : (مدخل لتاريخ آسيا الوسطى) والذي ترجم عام (1899 م) إلى اللغة التركية وقد بَيَّنَ فيه مؤلفه دور القبائل التركية في آسيا الوسطى ، واهتم بمزايا

---

[1] **دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين . محمد الغزالي . نهضة مصر للطباعة ط . 7 . 2000 م . ص / 3 : بتصرف**

الأتراك وإظهار أمجادهم ، وأصبح مصدراً فكرياً للقوميين الأتراك فيما بعد . [1] كما ساعد المستشرق (موتيز كوهين) بالتشجيع على إحياء القومية التركية في الصحف والمجلات ، وكتب في مزايا الترك ، وكان من أبرز من تحرك في مجال العمل القومي التركي ليحدث مع غيره خاصة من المستشرقين اليهود شقاً في صف الأمة الإسلامية، وقد نجحوا في ذلك فقد أرسوا القومية التركية في الدولة العثمانية ، وتصدروا للكتابة عن أصول القومية الطورانية ، وكانوا يسمون أنفسهم بأسماء إسلامية لترويج دعواتهم . كما أنهم عملوا في مختلف جمعيات القومية التركية علناً . مثل جمعية تركيا الفتاة ، والموقد التركي، وجمعية الاتحاد والترقي ، وكانوا العقل المدبر لنشاط الفكر القومي التركي . [2]

ب . التشجيع على الحفريات والقيام بالرحلات الاستكشافية :

من أهم الأعمال التي استعان بها المستشرقون في هدم الدولة العثمانية بعد تأليف الكتب، القيام بأعمال الحفريات بغية ربط الحياة الجديدة بما عليه القدماء ، وبخاصة عُهود ما قبل الميلاد ، لإحياء روح القومية التركية ، وإبعادهم عن حضارتهم الإسلامية ، وأصبح لهذا العلم مجلاَّت مُتخصصة مثل مجلة (أبحاث العالم التركي) ، ومجلة (جنوب شرق أوروبا) و(الثقافة التركية) وغيرها من المجلات .

والهدف من هذه الدراسات هو إقناع الشعب التركي بأنَّ الإسلام حدث طارئ في حياة هذا الشعب، وأن الحضارة التي أقامها قبل الإسلام كانت حضارة عظيمة ، وبالتالي فإن الإسلام ليس عنصراً أساساً في تاريخ هذا الشعب .

كما يقوم قسم آخر من المستشرقين بأعمال الجاسوسية لبلادهم بحجة الحفريات ، والبحث عن الآثار العتيقة كحجة البحث عن سفينة نوح –عليه السلام– على قمة جبل (أَرَارَات) بدلاً من جبل الجودي المذكور في القرآن الكريم للإيهام بصحة ما جاء به الإنجيل . [3]

---

[1] **تطور الأوضاع الثقافية في تركيا من عهد التنظيمات إلى عهد الجمهورية . سهيل صابان . مرجع . سابق . ص / 141 : بتصرف**

[2] **نفس المرجع . ص / 143 : بتصرف**

[3] **نفس المرجع السابق . ص / 145 – 146 : بتصرف**

ج . التدريس في الجامعات الإسلامية داخل الدولة العثمانية :

قام بعض المستشرقين بالتدريس في الجامعات التركية ، وخاصة الأقسام الحسَّاسة كالعلوم الدينية ، والتصوف ، واللهجات ، وغيرها ، فبعد تأسيس جامعة استانبول دُعِيَ (ثمانية وثلاثون) أستاذاً من الغرب ، منهم (ثلاثة وثلاثون) ألمانياً ، أكثرهم من اليهود، والخمسة الباقون فرنسيون ، وأسندت لهم المناصب داخل جامعات الإسلام ليبثوا أفكارهم ، ومناهجهم بكل حرية . [1]

د . عقد المؤتمرات والندوات الدولية داخل الدولة العثمانية وخارجها :

تعددت المؤتمرات التي انعقدت داخل حدود الدولة العثمانية وخارجها بحجة تعليم النساء وتطوير التعليم ، وإشراك النساء في العمل السياسي ، وأسباب كثيرة كان في ظاهرها التسامح ، والعطف ، وفي باطنها السُّم الزعاف الذي سيقضي على ما تبقى من هذا الجسم المنهك ، ونجحوا في ذلك فاستجاب لهم العديد من المغفلين ، والحمقى ، والخونة من أبناء الدولة الذين لا تعني لهم دولة الإسلام شيئا ؛ فانعقدت العديد من المؤتمرات المزعومة لتصف الدواء للدولة بزعمهم ، وهُم أسباب مرضها. يقول السلطان عبد الحميد : رأيت مؤتمر الدول الكبرى الذي عقد في استانبول ما عزمت عليه هذه الدول وهي ليست كما يقولون تأمين حقوق الرعايا المسيحيين بل تأمين الاستقلال الذاتي لهؤلاء الرعايا ، ثم العمل على استقلالهم التام ، وبذلك يتم تقسيم الدولة العثمانية ، وكانوا يعملون في سبيل هذا الهدف على صورتين :

الأولى : إثارة الأهالي المسيحيين ، وتعكير صفاء الجو ، وبهذا تتصدى هذه الدول لحمايتهم .

والثانية : إحداث الفتنة والفرقة بيننا أنفسنا ، واستطاعوا أن يجدوا من بيننا أنصاراً يستخدمونهم في كلا الغايتين ، وبكل أسف كان على خبز العدو شيء من السمن . [2]

---

[1] **نفس المرجع السابق . ص / 147 : بتصرف**

[2] **مذكرات السلطان عبد الحميد . ترجمة : محمد حرب . مرجع سابق . ص / 144– 145 : بتصرف**

ومن أهم هذه المؤتمرات :

أ . المؤتمر النسائي العالمي لدرس شؤون المرأة :

عقد هذا المؤتمر في مدينة (شيكاغو) الأمريكية سنة (1893 م) تحت اسم المؤتمر العالمي لدرس شؤون المرأة ، اشتركت فيه ممثلات لنحو (سبعين دولة) ومملكة من دول العالم من بينهن (الدولة العثمانية) مثلت النساء المسلمات فيه امرأة من سوريا تدعى (هناء كسباني) * وهي أول امرأة عربية تشترك في مؤتمر دولي ، ومن أهم بنود هذا المؤتمر العمل على تحرير المرأة وإقحامها داخل مجالات العمل [1] جنباً إلى جنب مثلها مثل الرجل ، والجدير بالذكر أن التحرير المزعوم هنا هو تحريرها من حجابها ، وأخلاقها وعفتها ، وطهارتها التي حافظ عليها الإسلام ، وسعى إلى صيانتها .

ب . مؤتمر اتحاد النساء العام :

نُظِّمَ هذا المؤتمر برعاية الجمعيات والأندية النسوية في بريطانيا تحت اسم مؤتمر اتحاد النساء العام في لندن (1899 م) دامت جلساته خمسة أيام نُوقشت فيه آراء بعض المشتركات ، وخلص إلى توصيات أهمها العمل على تعزيز تعليم المرأة وحقِّها في العمل السياسي ، والاجتماعي . [2]

ج . مؤتمر القاهرة :

عقد هذا المؤتمر في (4 ابريل سنة 1906 م) برعاية القس الأمريكي (زويمر) رئيس إرسالية التبشير العربية في البحرين . من أجل نشر الإنجيل بين المسلمين في منزل (أحمد عُرابي باشا)• حيث بلغ عدد مندوبي إرساليات التبشير (اثنان وستون) بين رجل

---

* أديبة وكاتبة لبنانية درست في المدرسة الأمريكية وتخرجت منها ، أقامت في بيروت بعد زواجها ، وأمضت في الولايات المتحدة ثلاث سنوات جالت خلالها في العديد من المدن ، وألقت العديد من الخطب . لها مجموعة من الكتب منها زقاق المقلاة ، رسالة في الأخلاق والعادات . ينظر الحركة الفكرية النسوية في عصر النهضة . جورج كلاس . دار الجيل بيروت . ط 1 . 1996 م . ص / 254 : بتصرف

[1] نفس المرجع السابق . ص / 254 – 255 : بتصرف

[2] نفس المرجع . ص / 255 : بتصرف

• أحمد باشا عرابي من مواليد قرية (هرية رزته) بمديرية الشرقية بمصر في 31 مارس 1841 م . التحق بالجيش ثم عين كاتبا به ، ثم تدرج في المناصب حتى تولى الخديوي محمد توفيق الحكم بمصر فرقاه إلى رتبة عميد ، وفي عام 1881 م قام بمظاهرة تعرف بعابدين طالب فيها بعزل رئيس الوزراء مصطفى رياض ، وتشكيل مجلس نواب . توفي في 21 سبتمبر 1911 م . ينظر موقع ذاكرة مصر الحديثة على الشبكة العنكبوتية . modennegpt. Bibalex.org

وامرأة انتخب القس (زويمر) رئيساً للمؤتمر ، وعين معه نائب رئيس وكتبه ، وحددت أيام الجلسات وكان من أهم المسائل التي تطرق لها هذا المؤتمر عدد المسلمين في العالم، والإسلام في إفريقيا ، والهند ، والدولة العثمانية ، والنشرات التي ينبغي نشرها بين المسلمين ، والنساء في العالم الإسلامي . [1]

وانعقاد هذا المؤتمر في منزل الزعيم (أحمد عرابي) يدل على مدى الارتباط الوثيق بين زعماء العرب والمستشرقين ، فهذا يسهل على الغرب الكثير؛ لأنهم يكونون في أمن واستقرار وهم ينفذون مخططاتهم .

ج . المؤتمر النسائي في روما

عقد هذا المؤتمر في (روما) في شهر مارس سنة (1923 م) ألقت فيه (هدى شعراوي) كلمة جاء فيها : أن للمرأة الحق في منع الزوج من الزواج بالأخرى ، كما طلب من الدولة العثمانية إلغاء هذه العادة على حسب زعمهن ، والتي تُوجِد الشقاق في الأسر، وتولد البغضاء بين الأخوة والأخوات ، فشعور المرأة بكرامتها يأبى عليها أن تقبل حالة أخرى لزوجها ، كما طُولِب بقانون يحدد سن الزواج ليحد من الزواج المبكر . والتقت هؤلاء النسوة في هذا المؤتمر بـ (موسيليني) زعيم الحزب الفاشي الإيطالي ثلاث مرات ، صافحهن واحدةً واحدة ! [2]

أهم النتائج المترتبة على تسلط المستشرقين على الدولة العثمانية :

1 . ساهم المستشرقون كغيرهم في إحلال مفاهيم جديدة ، وإحياء نعرات جاهلية في قلوب المسلمين كانت قد قضى عليها الإسلام ؛ كالقوميات الفرعونية ، والفنيقية ، والعربية ، والتركية، والفارسية ، وغيرها ، كما استطاعت هذه المؤتمرات باسم حرية المرأة ، والتحضر أن تعمل على إخراج المرأة المسلمة من عِفَّتها وحشمتها، وتجرها إلى تقليد النساء الغربيات وتجعلهن قدوة لها .

---

[1] الغارة على العالم الإسلامي . لو شاتلييه . ترجمة محب الدين الخطيب . مساعد اليافي . دار الكتب العلمية . بيروت ط 1 . 2003 م . ص / 20 – 21 : بتصرف

[2] مذكرات هدى شعراوي . هدى شعراوي . مؤسسة هنداوي للطباعة والنشر . لم يذكر رقم الطبعة ولا سنة النشر . ص / 172 – 174 : بتصرف

2 . تمكن المستشرقون من سرقة العديد من الكنوز العلمية ، والثقافية من مخطوطات وكتب ثمينة ، وأشياء تاريخية تعود لعلماء الأمة وهَرَّبُوها إلى بلدانهم لترجمتها ، والاستفادة منها في شتى نواحي الحياة .

3 . تحصل المستشرقون على كم هائل من المعلومات الإستخباراتية عن كل نواحي الدولة ومن ثم قاموا ببعثها لقادتهم للاستفادة منها ، واستخدامها للأغراض العسكرية .

4 . فرض المستشرقون سيطرتهم على عقول المُبْتعثين للدراسة في الخارج من خلال توجيههم للبحث في مواضيع لا تخدم دينهم ولا تفيد دولتهم وإنما الهدف منها إضاعة الوقت فقط .

5 . عمد أغلب المستشرقين إلى تنمية احتقار الإسلام وزرع الكراهية له ولشعوبه في نفوس الغربيَّين من خلال الشرح الخاطئ لتعاليم الإسلام ، وكتابتهم عن الواقع الإسلامي أسوأ ما رأوا أو سمعوا لإعطاء صورة سيئة عن الإسلام تشمئز منها النفوس . [1]

6 . لم تكتف هذه المؤتمرات والمكائد بإبعاد المسلمين عن دينهم بل وصل الحد بالمستشرقين إلى أن أصبحوا أداة من أدوات التبشير بالمسيحية ، فسعى الرهبان والقساوسة إلى تعلم اللغة العربية ، والتَّضلّع في الدراسات الإسلامية بغية فهم هذا الدين ثم نقضه من أساسه ورد أتباعه إلى دياناتهم . [2]

وهذه عاقبة موالاة غير المسلمين استيلاء على عقول وفكر أصحاب العقول المنيرة من أبناء المسلمين ، وبث السموم في عقولهم ، وتصدير الفكر المنحل والشبهات إلى المسلمين ، والإعلاء من قدر من تربى عندهم وفي المقابل تقليل دور الأزهر وأبنائه ودور كل مؤسسة للتعليم الديني ومحاربتهم بكل وسيلة .

كذلك ظهر جلياً خطر المؤتمرات التي عقدت داخل وخارج الدولة العثمانية تحت

---

[1] الإستشراق وجه للإستعمار الفكري . عبد المتعال محمد الجبري . مكتبة وهبة بالقاهرة . ط 1 . 1995 م . ص /134 : بتصرف

[2] الظاهرة الإستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية . ساسي سالم الحاج . منشورات مركز دراسات العالم الإسلامي . ط 2 . 1993 م . ج 1 / 44 : بتصرف

مرأىً ومسمع من قادة المسلمين الذين صنعوا في الغرب ، وتتلمذوا على أيدي من يحمل الحقد والكره للإسلام والمسلمين .

ونتج عن كل ذلك فقد سيطرة المسلمين على بلادهم وإملاء الأوامر عليهم وتولية من كان لديه ولاء للغرب ، وتقريب من يحمل فكرهم وإبعاد من يعاديهم ، وإفساد البيت المسلم بالدعوة إلى تحرير المرأة وإخراجها من مملكتها ليحل الخراب والدمار إلى البيت ، ويصبح البيت المسلم بلا مربٍّ ، لتتولى المُربّيات اليهوديات والمسيحيات تربية أبناء المسلمين .

الفصل الرابع : سنتا التدافع الحضاري والإختلاف

المبحث الأول : سنة التدافع الحضاري

المبحث الثاني : سنة الاختلاف

المبحث الأول : سنة التدافع الحضاري

تمهيد :

عندما خلق الله تعالى الخلق وجعل الصراع بين الحق والباطل مستمراً إلى يوم الدين . كلٌ منهم يدفع الآخر ويحاول إزاحته من طريقه ، ولكن الغلبة دائما للحق فإن كان للباطل جولات ، فإن للحق جولة يكتسح فيها الباطل ويقتلعه من جذوره . قال تعالى : ﴿ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ۚ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾ [1]

لذا وجب على المسلمين أن يُعِدُّوا العُدَّة لمواجهته قال تعالى : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ﴾ [2]

وما أَمَرَنَا الله تعالى بالإعداد لهم إلا لمعرفته بما في قلوبهم ، وأن صراعهم مع الحق قديم مستمر ودائم إلى يوم الدين ، ويذكر لنا القرآن الكريم أمثلة ونماذج حول هذا الموضوع . فبداية الصراع بين الحق والباطل كانت بين آدم –عليه السلام– وإبليس عندما وسوس له حتى أخرجه من الجنة . قال تعالى : ﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ . [3] ثم بين ابني آدم – عليه السلام – الّذين قتل أحدهما الآخر من أجل الحقد والبغض والمتاع الزائل . قال تعالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ . [4]

واستمر الصراع بين الحق والباطل ؛ ففي قصة طالوت وجالوت مثالاً آخر لهذا الصراع قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ۚ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا

---

[1] سورة الرعد ، الآية : 17

[2] سورة الأنفال ، الآية : 60

[3] سورة طه ، الآية : 120

[4] سورة المائدة ، الآية : 27

مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ ۚ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّـهِ ۗ وَاللَّـهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [1]

وسيستمر الصراع بين الحق والباطل إلى يوم الدين، قال تعالى : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾ [2] وقال تعالى مخاطبا نبيه محمد – ﷺ – : ﴿ ولَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ . [3]

ونستنتج من هذه الآيات أن : الصراع بين الحق والباطل دائم ما دامت الأرض ، وأن الدعوة الإسلامية دعوة عالمية ؛ لذلك فهي محارَبة وفي صراع مستمر ضد الباطل، وأن الحق والباطل لن يلتقيا أبداً .

والسِّر في حرب أهل الباطل للإسلام : أنه الدين الوحيد الذي برئ من العوج والانحراف، فهو يعطي الجواب الصحيح عن كل مسألة ، ويحكم بالحق في كل مشكلة ، وهو الذي يجمع شتات النفس كلها ويوحد وجهتها وأهدافها ، فلا تعود تتوزع بين هذه الوجهة وتلك أو بين هذا الجانب وذاك . وهو الذي لا منقذ غيره للناس مما هم فيه من شقوة وعذاب ، وحيرة واضطراب أليس من العجب أن يكرهه الناس ويتجافوه ، فأهل الباطل كلهم – وعلى مدار التاريخ – يكرهون الإسلام ؛ لأنه هو الإسلام وعلى قدر عتوهم وبعدهم عن الله يكون كرههم للمنهج الذي أنزله الله ليحكم الحياة . [4]

وعلى المسلم أن يعلم أنَّ نصر الله للحق لاشك فيه فهو الفائز وهو الغالب ، والمؤيد بنصره وعزه . قال تعالى: ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ [5]

---

[1] سورة البقرة ، الآية : 249

[2] سورة البقرة ، الآية : 217

[3] سورة البقرة ، الآية : 120

[4] جاهلية القرن العشرين . محمد قطب . دار الشروق . مصر . ط . 12 . 1992 م . ص / 267 : بتصرف

[5] سورة المجادلة ، الآية : 21

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصالِحُونَ ﴾ [1]

وقال تعالى : ﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [2]

وعلى المسلم أن يعلم أن نصر الله قادم ولن يهزم الحق أبداً ، ولكن لابد لأهله من الأخذ بالأسباب المؤدية للنصر من الإعداد المادي والمعنوي قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا ﴾ [3] وليعلموا أن الله لن يُضيع دينه الذي ارتضاه للعالمين ولن يفرط في أهله وخاصته من عباده ؛ ويتركهم لأهل الأهواء والزيغ والكفر والإلحاد ، قال تعالى : ﴿ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾ . [4]

تعريف التدافع لغة واصطلاحاً

أولاً : التدافع لغة :

من دَفَعَ والدفع : الإزالة بقوة . الدَّفعَةُ : ما دُفِع من سِقاء أو إناء فانصَبَّ بمرة . الدِّفَاع : طَحمة السيلِ العظيم والموج . المُدافع : المُجاري والمُسائل . الاندِفَاع : المُضِي في الأرض . ودَفَعَ الرجل قوسه : سَوَّاها . اندَفَعَ الفرسُ : أسرعَ في سيره . المُدَافعة : المُمَاطلة . الاندِفاع : المُضِي في الأمر. [5]

" والتدافع يحمل معنى التزاحم والحركة والتموج ، لكنه لا يحمل معنى التناحر والتكالب والإفناء ، إنما يحمل دلالة مؤداها الرد بالحجة ، فدافع دفاعاً ومدافعة ، بمعنى حام عنه وانتصر له " [6]

---

[1] سورة الأنبياء ، الآية : 105

[2] سورة البقرة ، الآية : 249

[3] سورة النساء ، الآية : 71

[4] سورة النساء ، الآية : 141

[5] المعجم الصافي في اللغة العربية . صالح على الصالح . أمينة الشيخ سالم . لم تذكر دار النشر . ولا رقم الطبعة . الرياض . 1451 هـ . ص / 170 : بتصرف

[6] قانون التدافع الحضاري . جمال عبد العزيز أحمد . مقال على الشبكة العنكبوتية . منشورات موقع شبكة الألوكة www. Alukah. net.

التدافع اصطلاحاً :

هو صراع مستمر ودائم ليتوازن الحق مع الباطل إلى يوم الدين ينتهي بفوز الحق وأهله وقد يكون بين أفراد أو أمم أو جماعات ولولا هذا الصراع والتدافع لهلكت الأرض ومن فيها .

سنة الله في التدافع :

قال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ [1]

جاء في التفسير : لقد كادت الحياة كلها تأسن، وتتعفن لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض ولولا أن في طبيعة الناس التي فطرهم الله عليها أن تتعارض مصالحهم واتجاهاتهم الظاهرية القريبة ، لتنطلق الطاقات كلها تتزاحم وتتدافع ، فتنفض عنها الكسل والخمول ، وتَسْتَجيش ما فيها من مكونات مذخورة ، وتظل أبداً يقِظة عاملة ، مستنبطة لذخائر الأرض مستخدمة قُواها ، وأسرارها الدَّفِينة ... وفي النهاية يكون الصلاح والخير والنَّما بقيام الجماعة الخيرة المهتدية المتجردة ، تَعْرِف الحقَّ الذِي بَيَّنَهُ الله لَها . وتعرف طريقها إليه واضحاً ، وتعرف أنها مكلفة بدفع الباطل وإقرار الحق في الأرض ، وتعرف طريقها واضحاً ، وتعرف أن لا نجاة لها من عذاب الله إلا أن تنهض بهذا الدور النبيل ، وتحتمل في سبيله ما تحتمل في الأرض طاعة لله ، وابتغاء لرضاه ، وهنا يمضي الله أمره، وينفذ قدره ، ويجعل كلمة الحق ، والخير ، والصلاح هي العليا ، ويجعل حصيلة الصراع والتنافس ، والتدافع في يد القوة الخيرة البانية ، التي استجاش الصراع أنبل ما فيها ، وأكرمه وأبلغها أقصى درجات الكمال المقدرة لها في الحياة . ومن هنا كانت الفئة القليلة المؤمنة بالله الواثقة تغلب في النهاية وتنتصر ؛ لأنها تمثل إرادة الله – سبحانه وتعالى – في دفع الفساد على الأرض ، وتمكين الصلاح في الحياة . [2]

---

[1] سورة البقرة ، الآية : 251

[2] في ظلال القرآن . سيد قطب . مرجع سابق . مج 1 / 271 : بتصرف .

والتدافع المقصود في هذا البحث هو التدافع بين الحق والباطل ، وهو في حقيقته تدافع بين أصحاب الحق وأصحاب الباطل ، أي بين المؤمنين وبين غيرهم ؛ لأن المؤمنين هم الذين يحملون معاني الحق ويسعون إلى إظهار هذه المعاني في الخارج ، وإقامة شؤون الحياة على أساسها ، فيحصل التعارض والتزاحم والتدافع بين الفريقين ، وهو أمر لابد منه وحتمي ؛ لأن الحق والباطل ضدان والضدان لا يجتمعان ؛ ولأن تطبيق أحدهما يستلزم مزاحمة الآخر وطرده ودفعه وإزالته ، أو على الأقل إضعافه ، ومنعه من أن يكون له تأثير في واقع الحياة .

ويسمِّي البعض هذه السنة بسنة الخَلفية أو قانون (الخَليفة) وهو قانون مُنْبَثٌ في جميع الموجودات فما من نوع إلا وفي أفراده قوة إيجاد أمثالها لتكون تلك الأمثال أخلافاً عن الأفراد عند اضمحلالها .

وأودع في جميع الكائنات إدراكات تندفع بها إلى الذَّب عن أنفسها ، ودفع العوادي عنها، عن غير بصيرة ثم تتوسع هاته الادراكات فتتفرع إلى كل ما فيه دفع المنافر من ابتداء بإهلاك من يتوقع منه الضرر، ومن طلب الكِن ، واتخاذ السلاح ، ومقاومة العدو عند توقع الهلاك ، ولو بآخر ما في القوة ، وما جعله الله في كل أنواع الموجودات من أسباب الأذى لمريد السوء به أدل دليل على أن الله خلقها لإرادة بقائها ، وقد عوّض الإنسان عما وهبه إلى الحيوان العقل ، والفكرة في التحايل على النجاة لمن يريد به ضرراً، وعلى إيقاع الضرر بمن يريده به قبل أن يقصده به ، فخلق الله تعالى أسباب الدفع بمنزلة دفع من الله يدفع مريد الضر بوسائل يستعملها المراد إضراره ، ولولا هذه الوسائل التي خولها الله تعالى أفراد الأنواع لاشتد طمع القوي في إهلاك الضعيف ، ولاشتدت جراءة من يجلب النفع إلى نفسه على منافع يجدها في غيره ، فابتزها منه ، ولأفرطت أفراد كل نوع في جلب النافع الملائم إلى أنفسها بسلب النافع الملائم لغيرها ، مما هو له ولتناسى صاحب الحاجة ، حين الاحتياج ، ما في بقاء غيره من المنفعة له أيضاً ، وهكذا يتسلط كل ذي شهوة على غيره ، وكل قوي على ضعيفة ، فَيُهلك القوي الضعيف ، ويهلك

الأقوى القوي ، وتذهب الأفراد تباعاً ، والأنواع كذلك حتى لا يبقى إلا أقوى الأفراد ، وأقوى الأنواع ، وذلك شيء قليل ، حتى إذا بقيت أعوزته حاجات كثيرة لا يجدها في نفسه ، وكان يجدها في غيره ، ولما كان نوع الإنسان هو المهيمن على بقية الموجودات على الأرض ، وهو الذي تظهر في أفراده جميع التطورات والمساعي ، خصته الآية بالكلام لأنه هو الذي جعل الله فيه القوة الشَّاهية لبقائه وبقاء نوعه ، وجعل فيه القوة الغاضبة لرد المُفرط في طلب النافع لنفسه ، وفي ذلك استبقاء بقية الأنواع . [1]

إذاً فكل شيء في هذه الدنيا له خلف لا يبقى ، فالإنسان – مثلاً – يموت وَيَخْلُفَهُ أولاده من بعده ، وهكذا سائر الحيوان، وكذلك النبات يكون البذر فيه مؤهلا للحياة عندما تموت النبتة ، فإذا ماتت نبتت مكانها أخرى تحمل نفس الصفات ، والخصائص ، وهكذا الحال في العناصر الكيميائية ، وفي غيرها مما هو موجود في هذه الدنيا ؛ فإن كل شيء يخلفه شيء آخر، وقد جعل الله – ﷻ – في طبيعة هذا الشيء أنه قابل لأن يكبر عن شيء آخر يَضْمَحِلُّ ويزول ، وهكذا الشأن تماماً في الدول ، فقد يطول عمر الدولة وقد يقصر، لكن النهاية عليها محتومة ، كالموت بالنسبة للإنسان، فقد يمتد عمر الإنسان إلى مائة سنة ، أو أكثر، لكن في النهاية لا بد أن يموت، ويكون من بعده ورثته وذريته وإذا انتهى عمر الدولة – وغالباً – ما يكون أهلها هم أسباب فنائها وموتها دفع الله لها أعدائها فأسقطوها .

والحكمة من هذا فيما يبدو : أن دين الله حق ، والحق يحتاج إلى جنود أقوياء ، وعندما تغوص الدول في مستنقعات الظلم ، والجور، والمعاصي لم تعد أهلاً لأن تحمل على عاتقها رسالة الإسلام ، والعدل والخير ؛ فيدفع الله لهذه الأمة الضعيفة المهزومة من يُزِيلها عُقُوبة لها ، وتفسح المجال لدَولة أخرى تكون قادرة على تحمل المسؤولية التاريخية

---

[1] تفسير التحرير والتنوير . محمد الطاهر بن عاشور .الدار التونسية للنشر تونس . 1984 م . لم يذكر رقم الطبعة . مج 2 / 501 – 503 : بتصرف .

في نشر رسالة الحضارة ، والتوحيد ، قال تعالى : ﴿ وإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ﴾ [1]

كذلك في التدافع ابتلاء وتمحيص للمسلمين وتثبيت لهم على الطريق الحق ، قال تعالى في كتابه العزيز : ﴿ أَلَمِ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ [2] وسنة التدافع سنة اجتماعية تحكم سائر المجتمعات البشرية وتصطبغ بها كل مظاهر الحياة الفردية والجماعية الإنسانية ، والحيوانية ، ولولا دفع الله الفساد بأهل الصلاح لغلبوا وقضوا على الأرض بفسادهم ، وقد تأخذ هذه السُّنة شكلاً آخر في التدافع حيث يُسَلط الله الظالمين بعضهم على بعض ، فتتاح الفرصة للخير لكي ينمو ويزداد قوة وصلابة ، ومن هذا القبيل إظهار حكمة عداوة الأشرار للأخيار المعبر عنها في عرف علم الاجتماع البشري بسنة (تنازع البقاء بين المتقابلات) التي تفضي إلى الجهاد والتمحيص .[3] ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : ﴿ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا ۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ ۚ كَذَٰلِكَ يضرب اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ ۚ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴾ [4]

وسنة التدافع سنة عامة تشترك فيها الدولة العثمانية مع غيرها من الدول والجماعات؛ ففي بداية الدولة وفي أزهى عصورها عرفت هذه الدولة كيف تدفع هذه السنة ، وتستخدمها لصالحها وتسير على نهجها، لأن السنن تعتمد في تحققها ونفاذها على عمل الإنسان طبقا للسنة العامة التي وردت في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴾ [5]

---

[1] سورة محمد ، الآية : 38

[2] سورة العنكبوت ، الآية : 1 – 2

[3] السنن الاجتماعية في القرآن الكريم . محمد السيسي .. بحث من منشورات كلية الآداب جامعة مكناس بالمغرب على الشبكة العنكبوتية . ص / 13 – 14 . لم يذكر تاريخ النشر .

[4] سورة الرعد ، الآية : 17

[5] سورة الرعد ، الآية : 11

فمثلاً : من المعلوم أن قانون الجاذبية الأرضية يستلزم أن ينجذب إلى الأرض كل ما يقع في نطاق هذه الجاذبية ، ولكننا نرى أن الطيور والطائرات وأمثالها لا تنجذب إلى الأرض وذلك لأنها تخضع لقانون آخر هو قانون الطيران ، وهكذا فقانون الطيران لم يلغ قانون الجاذبية ، وإنما تغلب عليه ، وإذا ما حدث خلل في الطائرة مثلاً أضعف هذا القانون أمام قانون الجاذبية فإننا سوف نرى الطائرة تهوي إلى الأرض لِتَغلب قانون الجاذبية [1] ، ومثل هذا فعل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – ﷺ – عندما توقف عن دخول حمص ، لَمَّا علِم بوجود الطاعون فيها فأخذ بقانون الوقاية بدلاً من قانون العلاج ، وهكذا فعلت الدولة العثمانية في عصورها الأولى فقد أخذت بقوانين الدفع ؛ فلم تنجذب نحو السقوط وبقيت مُحَلِّقَةً في سماء النصر ، والتمكين مئات السنين لمَّا أخذت بأوامر الله تعالى فقد أدركت أن أعداء الإسلام هدفهم رد المسلمين عن دينهم بقدر ما استطاعوا قال تعالى : ﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا ﴾ [2] وعلمت أن طاعة فريق من أهل الكتاب يكون سبباً لرجوعهم كافرين . قال تعالى : ﴿ يأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ ﴾ [3]

وإنهم إن تمكنوا من المسلمين بقوتهم وضعف المسلمين ؛ فمعنى ذلك أنهم سيعيدونهم إلى ملة الكفار وعدم الفلاح ، قال تعالى : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [4] وقال تعالى : ﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴾ [5]

ولهذا بدأت بقتالهم وجهادهم دَفعاً لكل هذه الأضرار، وامتثالاً لقول الله تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ انتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ

---

[1] سنة الله التي لا تتبدل ولا تتحول . أحمد حسن فرحان . دار عمّار بالأردن ط 1 . 1999 م . ص / 45 – 47 : بتصرف

[2] سورة البقرة ، الآية : 217

[3] سورة آل عمران ، الآية : 100

[4] سورة البقرة ، الآية : 120

[5] سورة الكهف ، الآية : 20

﴿ [1] وقوله تعالى : ﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [2] ولقوله تعالى : ﴿ انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [3] وقوله تعالى :﴿ وجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ۖ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴾.[4]

وغير ذلك من آيات القرآن الكريم التي أمرت المسلمين بقتال الأعداء ومدافعتهم ، وعدم ترك الأرض لهم ؛ ليفسدوا فيها بعد إصلاحها .

الدولة العثمانية وسنة التدافع

عرفت الدولة في أزهى عصورها أنها خاضعة لأحكام الله وسننه الكونية فأخذت بأسباب النصر ، وذلك بتطبيقها لقوانين البقاء ، ومدافعتها لسنن الله تعالى بسننه الأخرى ولهذا نصرها الله تعالى ؛ فتحققت لها الرفعة ففتحت الدول والأمصار، وصارت ترهب الأعداء ما حل اسمها ، وعاشت أكثر من ستة قرون كان جلها عزّة ، وقوة ، فلقد أدرك مُؤَسِسِو الدولة الأوائل هذه السُنة فعملوا بها . فهذا السلطان (عثمان) يوصي ابنه (أورخان) بوصية عندما حضرته الوفاة ، عند التأمل فيها ندرك مدى وعيه بسنن الله في التدافع لأجل التمكين والبقاء ، ومما جاء فيها : يابني إياك أن تشتغل بشيء لم يأمر الله به ، وإذا واجهتك في الحياة معضلة ، فاتخذ من مشورة علماء الدين موئلاً ... وإياك أن تبتعد عن أهل الشريعة ، يابني إن غايتنا هي إرضاء الله رب العالمين ، وأن بالجهاد يعم نور ديننا كل الآفاق ، فتحدث مرضاة الله تعالى ... واعلم يابني أن مقصدنا الوحيد هو نشر دين الله تعالى [1] .

---

[1] سورة البقرة ، الآية : 193

[2] سورة التوبة ، الآية : 14

[3] سورة التوبة ، الآية : 41

[4] سورة الحج ، الآية : 78

[5] الدولة العثمانية عوامل النهضة وأسباب السقوط . على محمد الصلابي . مرجع سابق . ص / 50 : بتصرف

وما إن تولى السلطان(أورخان) الحكم بعد وفاة أبيه حتى شرع يَعدُّ العدَّة لإنشاء دولة قوية محكمة البنيان ... فقام بتأسيس جيش إسلامي، واهتم بتوطيد أركان الدولة ، وإنشاء المساجد ، والمدارس التي تعلم مختلف العلوم الدينية ، والدنيوية حتى قيل إنه قضى عشرين سنة دون حروب ، من أجل بناء قاعدة قوية لدولته ، ولمعرفته بقانون الأخذ بالأسباب والإعداد المادي والمعنوي للانطلاق في مسيرة الفتوحات عبر أرجاء قارة (أوروبا) وغيرها من البلدان . [1]

وجاء في وصية السلطان (محمد الفاتح) لابنه (بايزيد) • ... يا بني اجعل كلمة الدّين فوق كل كلام ، وإياك أن تغفل عن أمر من أمُور الدّين ، وأبعد عنك الّذين لا يهتمون بأمر الدّين ... يا بني قرّب منك العلماء ، وارفع من شأنهم ... يا بني حذار أن تغرك كثرة الأموال والجنود ، وإياك أن تخالف أمر الشريعة في أي شأن ، واحرص على الدين فإنه سر انتصارنا . [2]

ففي هذه الوصية وضع القائد العظيم (محمد الفاتح) الأسس التي يحفظ بها قوة الدولة ويجعلها رائدة بين الأمم ويتجلى ذلك في التمسك بالدين كله وعدم ترك أي أمرٍ من أوامره ثم تقريبه للعلماء ؛ لأنه أهل للنصح والتوجيه والإرشاد ، ورد الظالم عن ظلمه ، وفي المقابل إبعاد للعصاة لأن في قربهم إبعاد عن الدين وعن عوامل النصر والتمكين ، وأن التواضع وعدم الاعتزاز بالقوة المادية والبشرية يكون سبباً في التغلب على الظالمين ، ثم ختم وصيته لابنه بالحرص على الدين كله لأن فيه القوة والانتصار والسيادة على الكافرين ومن المواقف التي سُجِّلت (للسلطان محمد الفاتح) أن عجوزا سألته وهو في طريقه لفتح

---

[1] نفس المرجع السابق . ص / 52 – 56 : بتصرف

• هو السلطان بايزيد الثاني بن السلطان محمد الفاتح تولى السلطنة سنة 886 هـ وقيل سنة 851 هـ عاش زاهدا ومجاهدا فاتحاً حتى أنه في فتحه (لبولونيا) أسر منها في موقعة واحدة عشرة آلاف أسير، بعد ذلك سلم الحكم في سنة (918) لابنه السلطان سليم ، ولم يطل به الزمن حتى توفي ودفن في (اسطانبول) بجوار جامعه . ينظر تاريخ سلاطين بني عثمان. عزتلو يوسف بك آصف . ص / 56 – 57 : بتصرف

[2] جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك . زياد أبو غنيمة . مرجع سابق . ص / 23: بتصرف

مدينة (طرابزون)• عام (1462 م) حيث قالت له : يا بني لماذا تلقي بنفسك وبجيشك إلى المخاطر من أجل فتح مدينة تستطيع أن تبني مئة مدينة أجمل منها وأكبر؟ فأجاب السلطان المؤمن : يا أماه إننا لا نلقي بأنفسنا إلى المخاطر من أجل مدينة ، وإنما في سبيل الله – عز وجل – حتى إذا لقيناه يوم الحساب ، قَدِمنا إليه فخورين ، لا خجلين، وبأيدينا سيوفنا التي حاربنا بها في سبيله . [1]

لقد عرف هذا السلطان طرق استجلاب نصر الله ، وأسباب التمكين ، فأخذ بقانون الدفع الإلهي فاكتملت له كل الأسباب المؤدية للنصر ففتح الله على يديه مدينة (القسطنطينية) في ملحمة رائعة من ملاحم الإسلام قَلَّ أن يحدث لها مثيل منذ ذلك العصر، ولو لم يفتح المسلمون هذه البلاد (القسطنطينية) وَيَدفعُوا الحق بالباطل لاستولى النصارى على ديار المسلمين وجعلوا منها مستعمرات للكفر والإلحاد ؛ فكل قرارات الحرب على الإسلام والمسلمين كانت تصدر من هذه المدينة . [2]

وعندما غفل الولاة عن الأخذ بسنن الانتصار كان حتماً أن يبدأ التراجع إلى الخلف وفقد السيطرة على الأمور ، وتجلَّى هذا بعد عصر السلطان (سليمان القانوني) حيث بدأ نجم الدولة في الأفول ، وإن كان بشكل بطيء وغير واضح .

وازداد ابتعاد السلاطين عن دينهم وتركهم لما كان عليه آباؤهم ، وأجدادهم من مدافعة للكفار وحرص على نشر الإسلام ، وغفلوا أو تناسوا سنن الله التي لا تحابي ولا تجامل ، فحلت بهم على الفور، وانطبقت عليهم فهي لا تمهل الغافل ، وأصبحوا من دَافِعِينَ إلى مدفوعين ، ومن منتصرين إلى مهزومين ، وتكالب عليهم الأعداء ، وبدأ نورهم يُخيِّم عليه الظلام واستمرت الدولة في التراجع ، والانحدار حتى سقطت وانتهت ؛ لأنها لم تأخذ بأسباب التمكين والنصر التي وعد الله بها من يستحقها . قال تعالى : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ

• مدينة تقع على في شمال تركيا على ساحل البحر الأسود . عمّرها التجار اليونان في القرن الثامن ق . م . وظلت يونانية حتى احتلها الرومان سنة 65 ق. م ثم فتحها العثمانيون سنة . 1462 م . ينظر الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية : بتصرف ar. Wikipedia.org

[1] جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك . زياد أبو غنيمة . مرجع سابق . ص / 38 : بتصرف

[2] المسألة الشرقية . دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية . محمود ثابت الشاذلي . مكتبة وهبة بالقاهرة . ط 1 . 1989 م . ص / 41 : بتصرف

آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [1]

انطباق سنة التدافع على الدولة العثمانية

بمجرد تولي السلطان (سليم الثاني)[*] الحكم بعد وفاة أبيه أخذت الدولة في الانهيار بسبب الخلافات والصراع على الحكم ، وبدلاً من تركيز جهوده في خدمة الدولة، وإصلاح شؤونها الداخلية ، والاستمرار على النهج الذي سلكه والده ، وتكملة مشوار الفتوحات الذي توقف، قام بالارتماء في أحضان (الأوروبيين) والتزلف لهم والتقرب إليهم، مما جعلهم يطمعون في استعادة أمجادهم الماضية وأنَّ هذه الأراضي كانت في يوم من الأيام تحت سلطتهم لِما رأوه من ضعف وانحلال بدأت جذوره تمتد داخل الدولة ، فحاولوا الانقضاض على الدولة بكل طريقة ففي سنة (1571م) دارت معركة (ليبانتو)[*] التي أبلى فيها الأسطول العثماني بلاءاً حسنا بداية الأمر، ولكن لعوامل الضعف التي ظهرت على الدولة، والتي لم تعد تخفى على أحد ، ولتفريط الحكام والقادة في الأخذ بأسباب النصر جعل الهزيمة تحل بالجيش العثماني. فقُتل حوالي (ثلاثين ألف) مقاتل وخسر الأسطول (مئتى) سفينة حربية (ثلاثة وتسعون) منها غرقت ، والباقي غنمه العدو، ولأول مرة منذ أوائل (القرن الخامس عشر) تحل الهزيمة بالعثمانيين ، وترتسم الفرحة على شفاه الأوروبيين ، فامتلأت دول أوروبا بالزينات والاحتفالات، استبشاراً بنصرهم الذي حققوه على العثمانيين بعد السنين العجاف التي ذاقوا فيها أفجع الهزائم وأقواها على مر التاريخ حتى أنهم نسوا طعم النصر في حياتهم . [2]

---

[1] سورة النور ، الآية : 55

[*] هو السلطان سليم الثاني بن السلطان سليمان القانوني . تولى الحكم بعد وفاة والده سنة 1566 م . حكم ثماني سنوات ، ولم يكن فيها محافظا على الدولة كما كان أسلافه من قبل . انتشرت في عهده الرذيلة ، والفواحش وأخذت الدولة في عهده بالترهل والسقوط . توفي سنة 1574 م . ينظر سلاطين بني عثمان . نزار قازان . دار الفكر بيروت . ط 1 . 1992 م . ص / 57

[*] معركة بحرية دارت بين الأسطول العثماني ، والأسطول الأوروبي الذي جاء على رأس حملة دعا إليها البابا (بيوس الخامس . 1560 – 1572 م) هزم الجيش العثماني في هذه المعركة هزيمة ساحقة أدت إلى كسر قوته البحرية . ينظر الدولة العثمانية عوامل النهضة وأسباب السقوط . د . على الصلابي . مرجع سابق : ص / 277

[2] نفس المرجع السابق . ص / 277 – 281 : بتصرف

وكانت هذه الهزيمة كافية لبعث روح الجهاد من جديد ، أو حتى محاولة الإصلاح ، ولكن التمادي في الغفلة ، والإصرار على عدم الرجوع للطريق القويم ، وعدم الاكتراث بالحال . كان هو النهج الذي سلكه ساسة الدولة في ذلك الوقت .

المبحث الثاني: سنـة الاختـلاف

تعريف الاختلاف لغة واصطلاحا

أولاً التعريف اللغوي :

الخِلاَفُ : مصدر خَالَفَ ، كما أن الاختلافُ مصدر اختلفَ ، والخلافُ هو : المُضَادَّة ، وقد خَالفهُ مُخَالفَةً وخِلاَفاً ، وتَخَالَفَ الأمْرانِ واختلفَا ، ولم يتفِقَا ، وكُلُّ ما لم يتساوَ فقد تَخَالَفَ واختلف [1]، قال سبحانه : ﴿ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ ﴾ [2]

(والخِلاَفُ) المُخَالفة . قال تعالى : ﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ ﴾ [3]

أي مُخَالَفَةَ رسولِ الله ﷺ . [4]

ثانيا : التعريف الاصطلاحي :

الخِلاَفُ : منازعة تجري بين المتعارضين لتحقيقِ حقٍّ أو لإبطالِ باطلٍ . [5]

وعُرِّف بأنَّه : " أن ينهج كل شخص طريقاً مغايراً للآخرِ في حالهِ أو في قولهِ " [6]

وأُعرِّفهُ بأنَّهُ أمر يقع بين شخصين أو أكثر حول أمر مَّا ينتج عنه تفرق وابتعاد فيما بينهم .

حكمة الله في الاختلاف :

والاختلاف واقع بين الناس في مختلف الأعصار والأمصار ، وهو سنة الله في خلقه، فهم مختلفون في ألوانهم ، وألسنتهم ، وطبائعهم ، ومدركاتهم ، وعقولهم ، وكل ذلك آية من آيات الله نبَّهَ عليها القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾ [7] ، وهذا الاختلاف

---

[1] لسان العرب . ابن منظور . فصل الخاء المعجمة . مادة خلف. ج 9 / 90 : بتصرف

[2] سورة الأنعام ، الآية :141

[3] سورة التوبة ، الآية : 81

[4] مختار الصحاح . محمد بن أبي بكر الرازي . مصدر سابق . ص / 186

[5] معجم التعريفات . على بن محمد الجرجاني . مصدر سابق . ص / 89

[6] أدب الاختلاف في الإسلام . طه جابر العلواني . منشورات المعهد العالي للفكر الإسلامي بأمريكا . 1992 م . لم يذكر رقم الطبعة . ص / 12

[7] سورة الروم ، الآية : 22

الظَّاهري دال على الاختلاف في الآراء والاتجاهات والأغراض ، وكتاب الله العزيز يُقرِّر هذا في الكثير من الآيات [1] ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾. [2] أي جعلهم متفاوتين في الاستعداد ، وكسب العلم ، واختلاف الاختيار، مختلفين في كل شيء حتى الدين الذي شرعه الله لتكميل فطرتهم وإزالة الاختلاف بينهم . [3] فالخلاف المَنْهِيُّ عنه والمُحرَّمُ شرعاً: هو الاختلاف المذموم وهو الذي يؤدي إلى الفرقة والبغضاء والتشاحن ، وهو سبب انهيار الأمم والمجتمعات ، ولذلك نهانا الله عنه ، قال تعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ [4] وقال تعالى : ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾ [5] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ۚ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ [6] ، وقال تعالى :﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [7]

وأَمَرنا في حالة اختلافنا أن نرجع إلى كتابه العزيز ودستورنا المنيع ، وسُنَّة نبيه محمد – ﷺ – قال تعالى في كتابه الكريم : ﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ . [8]

كما جاءت السنة النبوية المطهرة تُحذِّر من الخلاف والتفرق في الكثير من الأحاديث : قال – ﷺ – : (لا تختلفوا فتختلف قلوبكم) [9] ، وفي الصحيح عن رسول الله – ﷺ –

---

[1] أصول الحوار وآدابه في الإسلام . صالح بن عبد الله بن حميد . دار المنارة جدة . ط 1 . 1994 م . ص / 8: بتصرف

[2] سورة هود الآية : 118

[3] تفسير المنار . محمد رشيد رضا . دار المعرفة بيروت لبنان . لم تذكر سنة الطبع ولا رقم الطبعة . ج 12 / 193 : بتصرف

[4] سورة الأنفال ، الآية : 46

[5] سورة البقرة ، الآية : 176

[6] سورة آل عمران الآية : 105

[7] سورة الشورى الآية : 13

[8] سورة النساء الآية : 59

[9] أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي وابن خزيمة وابن حبان في صحيحه . وقال عنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب : صحيح

أنه قال : (دعوني ما تركتكم ، فإنما أهلك من كان قبلكم سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم) . [1]

وهذا الخلاف هو الخلاف المذموم المهلك للأمة الذي يؤدي إلى تفرقها وتشتتها ، وانعدام التناصر بين أبنائها ، واعتقاد كل طرف ببطلان ما عند الطرف الآخر ، وقد يَؤُولُ الأمرُ إلى استباحة دمائهم ، وقتال بعضهم بعضاً ؛ فيستغل العدوُّ هذه الفرصة ، وينقض على الأمة لضعفها وتشرذمها ؛ فيستولي عليها ويمسخ شخصيتها ، ويحتل أرضها ، ويهتك أعراضها . [2] وهذا هو السبب في جعل الاختلاف المذموم سبباً مهماً من أسباب هزيمة الأمَمِ وزوالها ، أمَّا اختلاف التنوع ، والتسامح أو ما يسمى بالاختلاف (المحمود) الذي هو اختلاف عرضي ناتج عن علم واجتهاد ، وتقيُّدٍ بالمنهجِ الشرعي فلا حرج فيه ، وهو من باب الرحمة والسَّعة على الأمُّة ، ولقد اختلف صحابة رسول الله – ﷺ – ، ومن بعدهمُ من الفقهاء والعلماء ، ومازالت هذه السنة ماضية إلى يوم الدين .

ويعتبر الخِلاف الذي انتشر داخل الدولة العثمانية من باب الخلاف المنبوذ الذي يقوم على الجاهلية والعصبية ، وقد رَعَاهُ وغذَّاه العُملاء ، والخونة من أبنائها بإشراف الاستعمار الغربي الذي ما ترك سبيلاً للقضاء على الدولة العثمانية إلاَّ وسلك دروبه ، وسار في أوديته ، واستطاع أن ينجح في خططه فبرز الاختلاف في شتى مفاصل الدولة سواء بين الحاكم والرعية، أو بين الرعية فيما بينهم ، واستطاعوا شقَّ صفَّ المسلمين ونشر الحقد والكراهية بينهم ، وتضييع هيبتهم وتشتيت شملهم .

---

[1] أخرجه مسلم في الصحيح . كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة . باب الإقتداء بسنن رسول الله ﷺ . حديث رقم (7288)

[2] السنن الإلهية في الحياة الإنسانية . شريف الشيخ صالح الخطيب . مكتبة الرشد بالرياض . ط1 . 2004 م . ج 1 / 139 : بتصرف

نماذج من الاختلاف المذموم الذي حصل في الدولة العثمانية :

أولاً . التَّعصُّبُ القومي :

التعصب **لغة** من (ع ص ب) الثلاثي منه ضرب و(عُصْبَةُ) الرجل بنوه وقرابته لأبيه سمُّوا بذلك لأنهم (عَصَبُوا) به بالتخفيف أي أحَاطُوا به و(العِصَابة) بالكسر الجماعة من الناس ، والخيل ، والطير . [1]

وأما في **الاصطلاح** فهو : اتجاه نفسي مغلق ومتشدد ، ومشحون بالانفعال . يتضمن دوماً الحكم على أو مع جماعة أو فكرة ، أو مبدأ من المبادئ . [2]

وأُعرِّفه بأنه : " الانتصار للجماعة أو القبيلة أو المجتمع على حساب الشرع الحكيم " وإنَّ من أشدِّ أنواع الخلاف والتفرقة بين المسلمين أنَ يْنحَى كل واحدٍ منهم في ناحية ، وينعزل عن أخوة الإسلام فيستبدلها بأخوة الوطن أو الجنس أو القبيلة ويصبح ابن بلده أو جنسه الكافر خير عنده من أخيه المسلم .

وتُعتبر هذه الفُرْقَة في صفوف الأمة من أخطر ما يعوق مسيرة التمكين ، وذلك أن قُوَّة المسلمين تكمن في وحدتهم ، فإذا تفرقوا أصبحوا أعداداً لا قيمة لهم ولا وزن ، وقد جاء الإسلام فوجدهم يتجمعون على المصالح والمنافع القريبة ، فما أن ظهر حتى نادى في الناس جميعاً أن اتركوا كل هذه الروابط الجاهلية واتحدوا في أمة شعارها " لا إله إلا الله محمد رسول الله ﷺ " [3]

ولقد كان وطن المسلم كل بلاد الإسلام على اتساعها ، فكل أرض تجري فيها أحكام الإسلام ، وتقام شعائره ، ويعلو سلطانه ، هي وطن المسلم : يغار عليه ، ويدافع عنه ، كما يدافع عن مسقط رأسه ، وكان قوم المسلم هم المسلمون الذين جمعتهم أُخُـوَّة الإسلام قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [4] ، وكان أعداء المسلم هم أعداء الإسلام ، ولو كانوا ألصق الناس به ، وأقربهم إليه ، قال تعالى : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

---

[1] مختار الصحاح . محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي . باب العين . ص / 183 : بتصرف

[2] مشكلات في طريق النهوض . عدنان السبيعي . دار الفكر دمشق . 2002 م . لم يذكر رقم الطبعة . ص / 115

[3] التمكين للأمة المسلمة في ضوء القرآن الكريم . محمد السيد محمد يوسف . دار السلام مصر . ط 1 . 1997 م. ص / 170 : بتصرف

[4] سورة الحجرات الآية : 10

الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [1]

فالمسلم حين يقف في صلاته مُناجياً ربَّهُ بهذا الدعاء ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ [2] بصيغة الجمع هذه يستحضر في حِسِّهِ وذِهنه أُمَّة الإسلام جميعاً .

وحين يقرأ قول الله تعالى في كتابه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ [3] يفهم أن هذا الخطاب موجه للمسلمين جميعاً أينما كانوا ؛ فالتفكير المسلم ، والحس الإسلامي لا يعرفان الأقلية، ولا العنصرية بحالٍ من الأحوال ، ولكن ظهرت نزعات جاهلية تنادي (بالقومية) • العنصرية ، والوطنية الإقليمية ، لا بالأخوة الإسلامية .

بل أصبحت الأوطان، والقوميات وكأنها أوثان جديدة تُعبد من دون الله ، فنادى الأتراك بالقومية الطورانية ، والعرب بالقومية العربية ، [4] بعد أن هاجت بغتة في دمائهم وعادت إليهم حمية الأنساب ، وتقاليد الجاهلية العمياء ، ورجحوا وساوس هذه العروبة الرعناء على وصايا الدين ، الذي ما كانوا قبله شيئاً مذكوراً ، وهزموه آخراً بعد أن نصرهم أولاً [5]، وتناسوا قول الله تعالى في كتابه العزيز : ﴿ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾[6] ، وقوله سبحانه : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ۚ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾[7] ، وابتعدوا عن سنة نبيهم الفعلية والقولية التي رسَّخت أواصر الوحدة بين الأمة الإسلامية ، وحذَّرت من

---

[1] سورة المجادلة الآية : 22

[2] سورة الفاتحة الآية : 6

[3] سورة البقرة ، الآية : 104

• القومية هي دعوة تقوم على الاكتفاء بربط الانتماء إلى القوم ويلزم للأخذ بها طرح كل عوامل الافتراق الاخرى إذا تعارضت معها . ينظر كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة . عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني . دار القلم دمشق . ط 4. 2007 م . ص / 247

[4] الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا . يوسف القرضاوي . مكتبة وهبة . ط 5 . 1993 م . ص / 54 – 55 : بتصرف

[5] سر تأخر العرب والمسلمين . محمد الغزالي . دار القلم . دمشق . ط 2 . 2005 م . ص / 21 : بتصرف

[6] سورة الأنبياء الآية : 92

[7] سورة آل عمران الآية : 103

الفرقة، فأول ما فعله رسول الله – ﷺ – بعد بناء المسجد كان المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار ، لِيُذهب عن المهاجرين وحشة الغربة ، ويشُدَّ أزْرَ بعضهم بعضاً فقويت عصبة المسلمين ، وهابهم القريب والبعيد وصاروا إخوة في الله . [1] حتى أثنى عليهم القرآن الكريم فقال : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [2]

ومدح – ﷺ – المؤمنين المترابطين وَوَصَفَهُم بالبنيان المرصوص . قال –ﷺ– : (المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضهُ بعضاً) [3] ، وقال في حديث آخر: (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى) [4]

وتعصب الإنسان لقوميته ، أو مِلَّته التي هو منها ، واعتبار أنها الحق ، وأن غيرها هو الباطل دون النظر أو التفكير فيما هم عليه من عقائد وسلوك ، ودون النظر والتفكير في دعوة غيرهم ، ولو كانت هذه الدعوة دعوة رسل الله القائمة على الحُجَج والبيّنات ، والتي تشهد لها ، أنها هي دعوة الحق وأن ما دونها الباطل ، وأنها هي سبيل الهداية والرشاد ؛ فالتعصب على هذا النحو سبب من أسباب الضلال التي ضل بها كثير من طوائف اليهود والنصارى ، وغيرهم . [5]

قال تعالى مُبيّناً أثر التعصب في ضلال اليهود ، وعدم إيمانهم وإتباعهم لرسول الله – ﷺ – : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [6]

وقال تعالى مُبيّناً تعصب كلّ من طائفتي اليهود والنصارى لنفسهما ، وزعم كل طائفة منهم

---

[1] التمكين للأمة المسلمة في ضوء القرآن الكريم . محمد السيد محمد يوسف . مرجع سابق . ص / 171 – 172 : بتصرف

[2] سورة الحشر ، الآية : 9

[3] أخرجه مسلم في الصحيح . كتاب البر والصلة والآداب. باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم . حديث رقم 2585

[4] أخرجه مسلم في الصحيح . كتاب البر والصلة والآداب. باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم . حديث رقم 2586

[5] السنن الإلهية في الحياة الإنسانية . شريف الشيخ صالح . مرجع سابق . ج 1 / 136 – 137 : بتصرف

[6] سورة البقرة ، الآية : 91

بِأنَّهم هم أهل الجنة : ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [1]

وعند إسقاط هذه السُّنَّة على (الدولة العثمانية) نجد أن التعصب والاختلاف المذموم قد انتشر فيها ، وبدأ يظهر بين الخاصَّة ، والعامة ؛ فانتشر بين العلماء ، وبين السلاطين والسياسيين ، وفي أوساط الرعية . الكل ينادي بمذهبه وقوميته وجنسه ...

وهنا سأكتفي بذكر نموذجين بارزين من الاختلاف الذي شقَّ صف الدولة وأدى إلى انهيارها ، ووقوعها في سنن الله التي لا تحابي أحداً ، وذلك لأنهما كانا من أبرز أنواع الخلاف الذي حصل في الدولة وأدى إلى ضياعها .

النموذج الأول : ظهور الفكر القومي

وحَّد الإسلام الشعوب تحت مُسَمَّى المسلمين قال تعالى : ﴿ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ ﴾.[2] فلم يجعل لأحد فضلاً على الآخر ولا لجنس ميزة عن جنس آخر، وهكذا تعايش أهل الإسلام جميعاً فدخل في دين الله العربي ، والكردي ، والفارسي ، والرومي ، وغير ذلك وحدهم الإسلام ، وعاشوا في كنفه مِمَّا جعل كل من يدخل الإسلام ، ويترك ملته ، وقوميته ، وعصبيته ينصهر في بوتقة العالمية الإسلامية التي أمر الله رسوله – ﷺ – أن يبلغها للناس ، قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [3]

ولقد قاوم الإسلام العصبية القومية ، واعتبرها نزعة مُنتنة ، وأقام بين المسلمين الأخوة الإيمانية الإسلامية ، ولم يلغ حق الرحم في الصلة والمصاحبة بالمعروف . [4]

ولم تكن لدى الأتراك العثمانيين أيّ نزعة قومية أوعرقية قبل النصف الثاني من القرن (التاسع عشر الميلادي) فقد عاشوا (تسعة قرون) متتالية في ظل الإسلام ، لا

---

[1] سورة البقرة ، الآية : 111

[2] سورة الحج ، الآية : 78

[3] سورة الأعراف ، الآية : 158

[4] كواشف زيوف . في المذاهب الفكرية المعاصرة . عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني. ص / 96 – 97 : بتصرف

انتماء لديهم إلاَّ(للعقيدة الإسلامية) حتى أنهم كانوا لا يعترفون بتركيبتهم أمام الإسلام .[1] ولكنَّ المخطط الذي اجتمعت عليه كل القُوى المعادية للإسلام هو تقطيع أوصال أُمَّة الإسلام ، وتقسيمها المسلمين إلى شعوب شتَّى ينتمي كلٌ منها إلى أرضه وجنسه ، ويكون ولاؤهُ لقوميته الجديدة ، وإخضاع مناهج التربية والتعليم لهذه التجزئة ، وإنشاء أجيال جديدة لا تعرف الوحدة الإسلامية الجامعة ، ومحاولة القضاء على الأقليات الإسلامية المتناثرة في عديد من الدول ذات الأغلبية المختلفة ديناً ، كذلك فقد استعان النفوذ الأجنبي بالعناصر ذات الطابع العرقي في المجتمعات الإسلامية وتوجيهها لتكون عاملاً من عوامل عدم الاستقرار، وإعلاء شأن العصبية القبلية ، وكذلك إحياء الدعوات القديمة التي صهرها الإسلام في بوتقته ، وإعادة تحريكها من جديد . [2]

فظهر هذا الفكر في بلاد الإسلام بعد أن لفظته (أوروبا) وذاقت منه أشد أنواع العذاب؛ ففكرة القومية لم تكن لِتُعرف في بلاد الإسلام لولا الأعداء الذين ألقوا بها إلى الأذناب ، والحمقى المغفلين من أبناء دولة (بني عثمان) الذين صار هدفهم الوحيد هو تشرب الفكر الغربي ، والسير في طريقه ، ولو كان ضد الإسلام ، وصار كل ما يَهُمُّهم هو تلقي القمامات والأدران التي تلفظها قارة أوروبا ؛ فتبلورت هذه الفكرة مع العديد من الدعوات الطائفية والنّعرات الجاهلية ، وبدأت تطفو على السطح ، وتنتشر داخـــل (الدولة العثمانية) وسط الأراضي التركية ، وفي بعض المناطق الأخرى التي يقطنها العرب كالشام ، ومصر ، وغيرها :

---

[1] الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط . قيس جواد العزاوي . مرجع سابق . ص / 125 : بتصرف

[2] سقوط الأيديولوجيات وكيف يملأ الإسلام الفراغ . أنور الجندي . إصدارات رابطة العالم الإسلامي . 1414 هـ . السنة الثانية عشرة . العدد 139 . ص / 105 – 107 : بتصرف

أولاً في تركيا :

ظهرت هذه النحلة في تركيا أولاً تحت مُسمَّى (الطورانية) • أو (القومية التركية) وهي فكرة لم تكن موجودة بين المسلمين في يوم من الأيام وإنما استمدت هذه الفكرة روحها من أفكار (ضياء ألــب)* الذي نادى بأن تنسلخ تركيا من ماضيها القريب وهو (الإسلام) وأن تبني حضارتها على تكوين غربي قومي خالص ، وأن تؤْثِر الحضارة الغربية على أساس أنها امتداد للحضارة القديمة التي ساهم الأتراك في تكوينها وحراستها فهو يرى أن هناك عصراً طورانياً قبل العصور القديمة لأن سكان آسيا الوسطى القدامى كانوا أجداداً للأتراك ثمَّ رقَّى الأتراك المسلمون هذه الحضارة ونقلوها إلى الأوروبيين . [1] كما تدعوا هذه الفكرة أيضاً إلى التأليف بين الناطقين باللَّهجات التركية أولاً، ثم تكوين اتحاد حلفي منهم ومن الأُمَم التي أصلها طُوراني مثل (المجر) و (بلغاريا) و(فنلندا) وغيرها ، ويعدون الاتفاق مع هؤلاء مفيداً لهم أكثر من فكرة (الجامعة الإسلامية) التي يرون فيها امتدادا للإسلام الذي احتلهم وجعل لنفسه السيادة عليهم ، وبلغ بهم الحقد على الإسلام وكرهه إلى أن نادوا للتخلص من بعض الشرائع كالوضوء الذي يرون أنه وضع لأمة تسكن البلاد الحارة والمعتدلة ، أمَّا الترك وأمثالهم من أبناء البلاد الباردة فلا تلائمهم هذه القواعد . [2]

وظهرت العديد من الجمعيات التي تنادي بهذا الفكر وتحرض على انتشاره والتي من أهمها :

• معناه الرجوع إلى خصائص الأسلاف الطورانيين وهم سكان (آسيا الوسطى) قبل دخول الإسلام ، واتخذوا شعار (الذئب الأغبر) الذي كان معبود الأتراك في جاهليتهم . ينظر جذور الفكر القومي والعلماني . عدنان محمد زرزور . المكتب الإسلامي ببيروت . ط 3 . 1993 م . ص / 51

*** هو ضياء كوك ألب . ولد سنة (1875 م) في ديار بكر ، كان من أسرة مرتبطة بوظائف رسمية رفيعة في الدولة العثمانية . تلقى تعليمه في موطنه ، وكان مولعا بالفلسفة ، والرياضيات . سافر سنة 1896 م . إلى القسطنطينية ، فلم يجد منحة إلا في كلية البيطرة ، ولولوعه بالسياسة انتخب عضواً لجمعية (الاتحاد والترقي) ، ثم صار رئيساً لجماعة (أحرار ديار بكري) التي ثارت ضد السلطان عبد الحميد رحمه الله سنة 1906 م . ينظر الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية . لأبي الحسن الندوي . دار الندوة للطبع بيروت . ط 2 . 1968 م . ص / 47 : بتصرف**

[1] نفس المرجع . ص / 47 : بتصرف

[2] الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة الإسلامية . مصطفى حلمي . دار الكتب العلمية بيروت . ط 1 . 2004 م . ص / 130 : بتصرف

1 . جمعية الاتحاد والترقي :

لم تقتصر هذه الفكرة على (ضياء ألــب) وحده بل نادى بها ، وزاد من إذكاء نارها أعضاء جمعية (الإتحاد والترقي) التي انبثقت من حركة تُسمَّى حركة الأتراك الشُّبان التي كان أغلب منتسبيها من يهود (الدونمة) وهم يهود ذووا أصول إسبانية ، وبولندية ومجرية ، وبلغارية ، أخفوا كفرهم ، وتستَّروا بأسماء إسلامية حتى لا يُكْشف أمرهم . [1] وهم أسباب جل المصائب التي نكبت بها دولة (بني عثمان) ، ولقد تأثرت هذه الجمعية بقوة بالأفكار القومية الطورانية فبمجرد سيطرتها على الحكومة غَدَت (عثمانية تركيـة) في مضمونـها ، قومية في عصبيَّتـها ، واتبعت سياسة التتريك ، كجعل اللغـة التركية هي اللغة الرسمية الوحيدة بعد أن كانت تقف اللغة العربية إلى جانبها ، مما أجَّجَّ العرب لينحوا نحوهم وينادوا بالقومية العربية [2] ، وقد أرادوا تخليد اللسان التركي ، الذي لم ينزل به من بدء الخليقة وحي ، وابتعدوا عن العربية ، فلم ينالوا منها إلا نزراً يسيرا ، لا يرشح لسيادة المسلمين أبداً ، بعد أن صار الركود في الثقافة ، وإقفار ميادينها الأثر المدمر على الأمة؛ فالمسلمون عندما واجهوا التتار كانوا أعلى ثقافة وأرفع مستوى من خصومهم الغالبين ، ومن ثم لم يمض وقت طويل ، حتى ذاب الغالب في المغلوب ، ودخل التتار الإسلام ، أمَّا أيام الدولة العثمانية فإن العرب جمدوا في أوضاعهم ، فلم يخدموا أدباً ولا عِلماً ، وتشبّث التُّرك بلغتهم وعلمهم المحدود فلما انهار العالم الإسلامي بقيادتهم كان المسلمون هملاً لا يعلمون بشيئاً ، وسرعان ما أحاط الغزاة بفلول المهزومين يحولونهم في أوروبا إلى أقليات بائسة مهينة ، لا تعرف لها ولاء ، ولا انتماء . [3]

2 . جمعية تركيا الفتاة :

ظهرت في سنة (1889 م) جمعية تسمّى بجمعية (تركيا الفتاة) أسَّسها جماعة من طلبة المدرسة الطبية العسكرية في استنبول كان هدفها الواضح هو عزل السلطـان (عبد الحميد الثاني) وقد باشرت هذه الجمعية أعمالها سنـة (1891 م) في مدينـة (جنيف)

---

[1] جذور الفكر القومي والعلماني .عدنان محمد زرزور . مرجع سابق . ص / 50 – 51 : بتصرف

[2] الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر . محمد محمد حسين . ج 2 / 145 – 147 : بتصرف

[3] المحاور الخمسة للقرآن الكريم . محمد الغزالي . دار القلم دمشق . ط 2 . 1997 م . ص / 136 – 137 : بتصرف

بسويسرا ، ثم قاموا بنقلها إلى باريس ، وكانوا يعملون على نشر دَعَواتِهم سِرّاً ، وكانت الأكثرية الغالبة في هذه الجمعية من الأعضاء الأتراك ، واليهود ، وبعض الرعايا من الأجناس الأخرى [1] ، واستمرت هذه القوميات تُصَارِع الدولة وَتَنقُضُ عُراها واحدةً تِلوَ الأُخْرَى دون أي حاجزٍ يقف في طريقها ، مُستغلَّة الظروف العصيبة التي كانت تمر بها الدولة ، كالانهيار الاقتصادي ، والهزائم المتلاحقة ، وضعف السلاطين حتَّى استطاعت إسقاط الدولة وإلغاء الخلافة الإسلامية التي كانت مِظلةً لأبناء الإسلام وحاضنة لهم .

ثانياً في البلاد العربية :

بمجرد ما ظهرت هذه الفكرة في تركيا تلقفها دعاة التغريب من أبناء العرب من أعضاء الجمعيات الماسونية وتلاميذ المستشرقين ، ومن الرعايا غير المسلمين ، فوجدوا في هذه الدعوة ضالتهم للتخلص من الإسلام ، وإنشاء دولة عربية تقوم على أساس الولاء للوطن والجنس العربي أمَّا الدِّين الإسلامي فلم يعد له وجود في تفكيرهم ، بل أصبح أمراً من الماضي عندهم ، لأنه لم يعد يصلح في وجهة نظرهم لمواكبة عصر النهضة الذي أَبعَدَ الدِّين عن الحياة في أوروبا التي هي ، قبلة لهم ، وكان التنفيذ والتخطيط من مهمة نصارى العرب الذين طالما حمتهم دولة الإسلام ودافعت عنهم ، ولكن أمنيتهم بهدم الإسلام ، وإبادة أهله وحبهم أن يكونَ المسلمون تبعاً لهم ؛ لأنهم يعدون أنفسهم خَير أهل الأرض ، وهُم الأحقُّ بحكمها ، وصدق الله في كتابه إذ يقول : ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾ [2]

ولهذا تزعموا بث هذه الفكرة ، والاستماته في نشرها والدفاع عنها بين أبناء الإسلام من العرب المسلمين ؛ فبدأت مجموعة من المثقفين المسيحيين الذين لم تكن تربطهم بالأتراك رابطة العقيدة والدِّين ، ولا رابطة الإخاء الإسلامي بالتسويق للفكر القومي ، ومحاولة إحياء الأمجاد الجاهلية الغابرة التي هدم الإسلام بعضها ، وعدّل البعض الآخر، وأصبح العرب

---

[1] **الجمعيات القومية وموقفها من الإسلام والمسلمين في القرن الرابع عشر الهجري . خالد إبراهيم الربيان . دار المسلم بالرياض . ط 4 . 2004 م ج 1 / 216 – 222 : بتصرف**

[2] **سورة البقرة ، الآية : 120**

المسلمون الذين ينقص أكثرهم العلم ، والثقافة بهذه المخططات الخبيثة وغيرها فريسة سهلة لهم ، وذلك لدهاء هؤلاء القوم في نشر أفكارهم ولمعرفتهم بأنه لا سبيل لتقبلهم في المجتمع المسلم إلا بإفشاء الفكر القومي ، وإحلاله محل الإسلام ؛ فوضعت فلسفة القومية العربية بمكرٍ، ودهاءٍ ، واستخدموا في إعدادها ، ونشرها لباقتهم الفائقة ، فمنحوها منهجاً عِلميًّا وجمعوا كل ما يحمل تأثيراً خلاَّباً على ذهن الشباب العربي ، ونجحوا في ذلك فاستطاعوا أن يزيلوا كراهية المسلمين لأهل الكفر أو يُنقصوا منها ، وأحلوا محلها كراهية الدول الإسلامية غير العربية . [1] بل الأدهى من ذلك أنهم استطاعوا خِداع مجموعة من أبناء الإسلام من العرب وضَمُّوهم تحت أجنحتهم ، فأصبحوا يرددون كلامهم ويَدعون إلى فصل العرب عن دولة الخلافة الإسلامية ، فظهرت جمعيات ، وتكتلات ، وأحزاب تدعوا إلى قومية العرب ، والتغني بأمجادهم الجاهلية التي أزالها الإسلام .

ومن أهم هذه الجمعيات :

1 . **(جمعية الآداب والعلوم) :**

أُنشئت هذه الجمعية برعاية غربية ، وارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالبعثة التبشيرية الأمريكية، وكان من أعضائها المسيحيين (نصيف اليازجي) • و(بطرس البستاني) * ، وعِدَّةُ أعضاء من الأمريكان والإنجليز، [2] وغيرهم ، وكان من شعار هذه الجمعية بث فكرة القومية وترسيخها بين المسلمين من خلال الصحف ، والكتب ، وغيرها من الوسائل .

---

[1] المؤتمرات والمخططات الدقيقة العميقة لقطع صلة العرب بالإسلام . أبو الحسن على الحسن الندوي . ط 1 . 1991 م . المطبعة الندوية بالهند . ص / 13 – 24 : بتصرف

• هو نصيف بن عبد الله بن جنبلاط بن سعد اليازجي . ولد في بيروت بلبنان سنة 1800 م . أديب وشاعر لبناني ، ينتمي إلى أسرة اشتهرت بالاهتمام باللغة العربية وآدابها . له العديد من الكتب و الأعمال من بينها المساهمة في ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة العربية ، كما لعب دوراً كبيراً في تزكية وإحياء الفكر القومي العربي . ينظر الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية : بتصرف

*** هو بطرس بن بولس بن عبد الله البستاني صاحب دائرة المعارف العربية ولد ونشأ في لبنان سنة (1819 م) كان مُلماً بالعديد من اللغات ، وعين مترجماً للقنصلية الأمريكية في بيروت ، استعان به الأمريكان على إدارة أعمال مطبعتهم وعلى ترجمة التوراة من النسخة العبرية إلى العربية ، له العديد من الكتب مثل قطر المحيط ، وتاريخ نابليون ، كما أنشأ العديد من الصحف مثل نفير سوريا ، والجنات وغيرها ، مات سنة (1883 م) . ينظر الأعلام . خير الدين الزركلي . مصدر سابق . ج 2 / 58**

[2] الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين في القرن الرابع عشر الهجري . خالد إبراهيم الربيان . دار المسلم بالرياض . ط 1 . 2004 م . ج 1/ 60 – 61: بتصرف

2 . (**الجمعية الشرقية**) :

وهي جمعية أُسست برعاية فرنسية سنة (1850 م) على الأُسس التي قامت عليها جمعية الآداب والعلوم كنشر العلم ، والاهتمام بالعلوم الحديثة بزعمهم ، وكان المحرك لهذه الجمعية هو المبشر الفرنسي (دو يرو نيير) المولود عـام (1821 م) والذي اهتم باللغة العربية ، واكتسب نفوذاً كبيراً في الشام ، وتبوأ منزلة رفيعةً فيه ، وكان أكثر أعضاء هذه الجمعية من السوريين والأجانب ، وكانوا جميعاً من النصارى . [1]

3 . الجمعية العلمية السورية :

ظهرت هذه الجمعية سنة (1857 م) وبلغ عدد أعضائها (150) عضواً ، وكان جميع أعضائها عرباً ليس فيهم أجانب ، وقد اشترك فيها زعماء عرب من مختلف العقائد كالدُّروز ، والنصارى وغيرهم ، ونالت هذه الجمعية اعتراف الحكومة بها سنة (1868 م) وفسحت لها مجال الاشتراك حتى كثر أعضاؤها واتسعت شُهرتها ، وقامت هذه الجمعية على غرار جمعية الآداب والعلوم ، والتي حَّدَدها العربيان النصرانيان (نصيف اليازجي، وبطرس البستاني) وهي إبراز فكرة القومية العربية في إطار عام أساسه أن للعرب عامة (مسلمين ومسيحيين) تراث مشترك ، وحضارة عريقة تمتد جذورها إلى ما قبل الإسلام، ولا بد من التنقيب عنها والعمل على تطويرها ، ولنشر الفكر القومي في المجتمع أصدر (بطرس البستاني) ببيروت صحيفة أسبوعية عرفت باسم (نفير سوريا) وهي أول صحيفة سياسية نذرت جهودها من أجل القومية العربية ، وإبعاد الدين عن الدولة ، ثمّ أنشأ بعد ثلاث سنوات مدرسة تُسمَّى (المدرسة الوطنية) لكي تزود التلاميذ من مختلف الأديان بتعليم قوي خال من التعاليم الدينية ؛ كما أصدر مجلة (الجنان) التي كان شعارها (الوطنية من أجل الإيمان) وعمـل (إبراهيم اليازجي) [*] وعدد من الأعضاء الآخرين

---

[1] **نفس المرجع السابق . ص / 62 : بتصرف**

[*] **هو إبراهيم بن ناصيف بن عبد الله بن جنبلاط : ولد عام (1847 م) من المهتمين بالأدب واللغة العربية ، أصله من حمص هاجر أجداده إلى لبنان نشأ في بيروت وتعلم فيها ، وتولى تحرير جريدة النجاح ، وانتدبه بعض الآباء المسيحيون للإشتغال بإصلاح ترجمة الأسفار المقدسة لديهم سافر إلى مصر ومات فيها سنة (1906 م) ثم نقل رفاه إلى بيروت . ينظر الأعلام . خير الدين الزركلي . مصدر سابق . ج 1 / 76– 77 : بتصرف**

على إلقاء ونشر قصائد وطنية ، أشادوا فيها بأمجاد العرب وحضارتهم ، ونددوا بحكم الترك للبلاد العربية . ورأوا في حكم الإسلام سُبَّة وذلة لهم حتى أنهم أنشدوا القصائد ليصوروا بها حالتهم تحت حكم (الدولة العثمانية) يقول أحدهم : [1]

أي نعيم لمن يبيت على بساط الذل جالس

ولمن تراه بائساً أبداً لذيل الترك بائس

ولمن أزمته بكف عداه يظلم وهو آيس

وانتشرت هذه الجمعيات المشبوهة وازداد عددها بشكل سريع كجمعية (بيروت) وجمعية (العهد) وغيرهما من الجمعيات السرية ، والعلنية التي قامت ، ونهضت تحت قيادة ، ورعاية المُبشرين ، والمستشرقين من أجل هدف واحد وهو تفكيك دولة الخلافة (الدولة العثمانية) وانتزاع العرب من تحت حُكمها ، وإيهامهم بتأسيس دولة عربية ذات خلافة راشدة ؛ ليضعفوا الطرفين فيسهل القضاء عليهما .

كما ظهرت دعوات أخرى كالفرعونية التي نودي بها في مصر بعد أن كانت لا تظهر إلا مُقنَّعة أو من خلف ستار ، وانتهز أصحاب هذه الدعوة ضعف (الدولة العثمانية) فكثفوا من نشاطهم ، وغزو الأفكار بها ، وملأوا أبصار قارئي الصحف ، وأسماع شاهدي الندوات بالدِّعاية لها ، ورسموا رأس تمثال (أبي الهول) على طوابع البريد ، وأوراق النقد واتُّخِذ شعاراً لنهضة (مصر) ، بعد أن وُضع نموذجه في (باريس) سنة (1920 م) واتَّخَذَت كل كُلِّية من كليات الجامعة شعاراً لها يمثل وثناً من معبودات الفراعنة ، وشاع بناء الأبنية والدوائر الحكومية على النسق الفرعوني ، وصارت هذه الدعوة دعوة انفصالية تنزع نحو الأنانية ، والانطواء على النفس ، وتعارض الجامعة الإسلامية ، وترى أن جامعة الوجود المكاني التي تربط بين من يعيشون على هذه الأرض اليوم وبين من عاشوا عليها منذ آلاف السنين هي أقوى وأحق بالرعاية من الجامعة الروحية التي تربط بينهم وبين أبناء دينهم ، ومن الجامعة الفعلية والثقافية التي تربط بينهم وبين لغتهم ، وليس ذلك

---

[1] الجمعيات القومية العربية وموقفها من الإسلام والمسلمين في القرن الرابع عشر الهجري . خالد إبراهيم الربيان . مرجع سابق . ص / 62 – 69 : بتصرف

فحسب بل لقد ظهر بين دعاة الفرعونية بعض المتطرفين الذين لا يعترفون بتلك الجامعات الأخرى على اختلافها ولا يرونها خليقة بأن تحظى من ساكني مصر بأي قدر من الرعاية أو الالتفاف . [1]

وقاد كل هذه الأفكار والاتجاهات من الجهة الأخرى مجموعة من أبناء الإسلام الذين تتلمذوا في الجامعات الغربية وتأثروا بفكر التغريب ؛ فمثلاً (رفاعة الطهطاوي) عندما عاد من فرنسا عام (1831 م) عاد منبهراً بثقافة الغرب مطالباً بتجديد الفكر الإسلامي وصياغته صياغة جديدة تتمشى مع الحياة الغربية ، ودعا (طه حسين) [*] من بعده إلى فصل اللغة العربية عن الفكر الإسلامي ، ودعا (ساطع الحصري) [*] إلى فصل العروبة عن الإسلام ، ودعا (على عبد الرازق) [*] إلى فصل الدين عن المجتمع ، ودعا (لطفي السيد) [*] [2] إلى إقامة الوطنية على أساس المنفعة والمصلحة ، ونزع صفة القداسة من الوطنية ، ويعد أول من ضرب وحدة الفكر الإسلامي العربي وفرَّقه إلى تيّارين قومي وديني ، والواضح في هذه المؤامرة تركيز دعاة القومية والَّذين في معظمهم من النصارى

---

[1] الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر . محمد محمد حسين . مرجع سابق . ج 2 / 145 – 147 : بتصرف

[*] طه بن حسين بن على بن سلامة ولد بصعيد مصر سنة 1889 م . من المهتمين بالأدب وتجديده ولد بصعيد مصر بدأ حياته العلمية في الأزهر ثم الجامعة المصرية ، ثم أوفد في رحلة علمية إلى فرنسا فدرس في جامعة السوربون ونال منها شهادة الدكتوراه تولَّى عمادة كلية الآداب القاهرة ثم عين وزيراً للمعارف له العديد من الكتب منها : على هامش السيرة ، حديث الأربعاء ، الشعر الجاهلي وهو كتاب أحدث ضجة كبيرة . توفي بالقاهرة سنة 1973 م . ينظر : الأعلام . خير الدين الزركلي . مصدر سابق ج 3 / ص 231 – 232 .

[*] ساطع بن محمد هلال الحصري ولد سنة 1879 م . كاتب وباحث تتزَّك ثم تعرَّب تعلَّم في استانبول وتنقل في التعليم والإدارة ، من مناصري القومية العربية حيث ألف العديد من الكتب في هذا المجال منها : العروبة أولاً ، والدفاع عن العروبة ، والقومية العربية والدين الإسلامي ، توفي ببغداد سنة 1968 م . ينظر : الأعلام . خير الدين الزركلي . مصدر سابق . ج 3 / ص 70

[*] ولد بصعيد مصر سنة 1888 م التحق بالأزهر بعد أن حفظ القرآن الكريم ، ولمَّا فتحت الجامعة المصرية 1908 م التحق بها ليجمع بين دراسته بالأزهر وهذه الجامعة التي كانت ترس موادها وفق المنهج الغربي ، وبعد تخرجه عين قاضيا شرعيًا بمحكمة بالمنصورة ، واستمر في عمله حتى أصدر كتابه الشهير الإسلام وأصول الحكم ففصل من عمله سنة 1925 م ، ثم أعيد للعمل مرة أخرى وأوكلت إليه وزارة الأوقاف. له العديد من الكتب منها: الإسلام وأصول الحكم ، الإجماع في الشريعة الإسلامية ، أمالي على عبد الرازق ، توفي سنة 1966 م . ينظر نظرات شرعية في فكر منحرف . سلمان بن صالح الخراشي . روافد للطباعة والنشر . بيروت لبنان . ط 1 . 2008 . ج 1 / ص 338

[*] حقوقي وكاتب صحفي مصري ولد سنة 1872 م ، اشتهر بلقب أستاذ الجيل ، شغل رئاسة مجمع اللغة العربية بالقاهرة يعتبر من أوائل دعاة العلمانية في العالم الإسلامي . ينظر : سير الأعلام دوي الطوام . احسان برهان الدين . لم تذكر سنة الطبع ولا دار النشر . ص / 9

[2] إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام . أنور الجندي . دار الإعتصام . لم يذكر رقم الطبعة ولا سنة الطبع . ص / 18 – 21: بتصرف

العرب على التعليم والإعلام لأنهما أخطر سلاح وأسرع طريق لتنفيذ الأهداف؛ فبالتعليم تستطيع أن تُفسد أجيالاً من خلال بث الأفكار والسموم في المناهج التعليمية ، ومن خلال الإعلام المتمثل في الصحف والمجلاّت في – ذلك الوقت – استطاع الأعداء خِداع العامة وأكثر الخاصة تحت مُسمَّى الإصلاح ، ومقاومة الاستبداد ، والأصل المشترك ، ووجوب الاهتمام بالمنافع العمومية التي تعود بالثروة والغنى على كل أبناء الوطن ، فحين يتكلمون عن ضرر البطالة والكسل ، يقدمون صورة من نشاط المجتمع الفرعوني القديم ، الذي يتجلى فيما خلفوه من آثار ضخمة [1] ، لِيُنسُوا المسلمين قول الله تعالى: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّه عَمَلَكُمْ وَرَسُولُـهُ والْمُؤْمِنونَ﴾ [2] وصاروا يضربون الأمثلة في الشجاعة ، والكرم بعرب الجاهلية ،لإحياء النَّعرات العصبية ، والحَميَّات القبلية، ونسوا أن الإسلام هو الذي نقل العرب من عمق الصحراء إلى العالمية والانتشار ، ومع ذلك فالإسلام ليس ملكاً للعرب وحدهم ، ولا لِأية أمة من الأمم ، وإنما هو رسالة الله الواحد الحق للإنسانية جميعاً فلقد خلق الله العرب خلقاً جديداً على أساس العقيدة والفكر ، وليس على أساس الجنس والعرف . وكان بمثابة السور المنيع الذي ردَّ عنهم العوادي وحطَّم الغزاة . [3]

---

[1] اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر . حمد بن صادق الجمال . دار الكتب بالرياض . السعودية . ط 1 . 1994 م . ج 1 / 45– 48 : بتصرف

[2] سورة التوبة ، الآية : 105

[3] أخطاء المنهج الغربي الوافد . أنور الجندي . دار الكتاب اللبناني . بيروت . ط 1 . 1974 م . ص / 212 : بتصرف .

النموذج الثاني : الصراع بين الدولة العثمانية وأصحاب الدعوة الوهابية

المُتَتَبِّعُ لما يفعلهُ الأعداء بالدولة العثمانية من محاولات حثيثةٍ لإسقاطها ، والقضاء عليها يُدرك إدراكاً واضحاً مدى معرفتهم بسنن الله الكونية ، وتعمقهم في تفاصيلها ؛ وقد يكون هذا بسبب حلولها بهم ، وتمكين المسلمين منهم قروناً طويلة ؛ فأدركوا أماكن الخلل عندهم ، وَجَمَّعُوا كل العِلَل المُجلِبة لسخط الله تعالى ، والتي تؤدي إلى سقوط الأُمم وانهيارها ، وقاموا ببثها داخل (الدولة العثمانية) بعد أن رَوَّجُوا لها على أنّها المُنقذ والمخلِّص لدولة بني عثمان مِمَّا حلَّ بها من ضعف وانهيار ، لقد أدرك ساسة أوروبا، ومفكروها هذه السنن فاتَّقَوْها ، واستفادوا منها بمجاراتها ، وعدم السير عكسها ؛ فنهضوا من جديد بعد أن حلّت بهم وذاقوا بسبب مخالفتها سوء العذاب ، ولهذا أخذوا يجُرُّون العثمانيين للوقوع في مصادمة هذه السنن حتى يتم القضاء عليهم بكل يُسر وسهولة ونجحوا في ذلك فلم يكن (للعثمانيين) دِراية واسعة بهذا العلم ، ولم تكن هناك نية صادقة لطلب الإصلاح الصحيح ، والتعلم من الأخطاء السابقة ، وإعادة بث الروح الدينية الصادقة من جديد ؛ لأنهم كانوا في غفلة من أمرهم غارقين في أمراضهم وشهواتهم ، بل أصبحوا يسيرون ضِدَّ هذه السنن ، ويستجلبون غضب الله عليهم . بارتكاب المعاصي بشتى أنواعها كترك الجهاد الذي تحولت الدولة بسبب تركه من حالة الهجوم إلى حالة الدفاع ، ولا يخرج له السلاطين كما كان يفعل أجدادهم قديماً ، وصاروا يُنِيبُون قادتهم ، ووزرائهم الذين تلقَّى أغلبهم تدريباتهم العسكرية في المدارس الأوروبية على أيدي ضباط غير مسلمين ، مِمّا جعلهم يحاربون بدون عقيدة صحيحة أو نية صادقة في نشر الإسلام.

وكثرت الأمراض في الدولة حتى أعيت مُداويها ، وتردَّى حالها ، دون اهتمام بالعلاج أو حتى بالبحث عن أسباب المرض ، كما سادت دعوات استرخائية تنادي بآراء وأفكار غريبة ليس لها قاعدة من واقع ، ولا تسهم في تشيِّيد أو بناء بقدر ما تؤدي إلى استسلام وتراخ ورضوخ ، فانصرف الجُهد إلى البدع كاحتفالات الموالد للأولياء ، وشدِّ الرحال للأضرحة ، والمقابر، وتبذير الطاقة في أعمال استهلاكية لا فائدة من ورائها غير

إهدار الزمن ، [1] ووصل الحال من الجهل إلى أن أصدر السلطان (أحمد الثالث) فرماناً يمنع فيه تداول العقاقير الطبية ، ومزاولة ما يسمى بالطب الحديث . [2]

واستفتي أحد مشائخ الأزهر في ذلك الوقت : هل يجوز تعليم المسلمين العلوم الرياضية كالهندسة والحساب والطبيعيات ... ؟ فأجاب " إن ذلك يجوز مع بيان النفع من تعلمها " [1] ، وبلغ عدم الاهتمام بأمور المسلمين وسيطرة الجهل مداهُمَا حيث إنه لا يوجد تركي واحد في الأناضول أو عربي في الدولة قد تعلم لغة (أوردو) التي يتكلم بها (ثمانون) مليون مسلم في (الهند) لِيُصرِّف بها شُؤُون أُولئك الملايين من إخوانه . [2] بينما تهافت المستشرقون والمبشرون على تعلم لغات الشعوب الإسلاميةِ لبثِّ سُمُومهم وخَرابهم في أهلها . بل وصل بهم الحد إلى تعلم لغات مَيِّتة ، ومحاولة إحيائها وإظهارها من جديد كالفرعونية والبابلية وغيرها .

ومِمَّا يدل على تفشِّي الجهل أنه من القرن (العاشر) إلى (الثالث عشر الهجري) لم يظهر في العالم الإسلامي عالم مفكر ، ولا أديب نابه ، ولا شاعر عظيم ، ولا مؤلف ذكي إلا فلتات تُعد على الأصابع ، وكان الجهل الغليظ يلف كل شيء ، وكانت عُجمة الدولة هي السبب في تخلف المسلمين ، فلقد تحول الإسلام عند بعض العامة إلى رسوم ميِّتة ، وأحاديث موضوعة ، وكثرت صور الشرك الجلي والخفي ، والظلمات ، والشعوذة ، وأُعْلِن التصوف الجاهل على هذا كله إذ أن طُرقه دخلت كل مدينة وقرية ، [3] وصار مِعولاً خطيراً في هدم المجتمع فالعبد إِذَا أدَّى مجموعة من الأوراد والأذكار ، وأطاع الشيخ واتبع هواه دون القيام بالتكاليف التي فرضها الله ، وخاصة الجهاد في سبيل الله صار من المقربين والمحظوظين ، [4] وسادت الخرافات ، وانتشرت الأوهام ، وأصبح التصوف ألعاباً

---

[1] كيف ورثنا الأُمِّية . يحي محمود ساعاتي . دار العلوم للطباعة والنشر . 1988 م . لم يذكر رقم الطبعة . ص / 84– 85 : بتصرف

[2] مجلة الإجتهاد . مرجع سابق : ص / 174 : بتصرف

[1] زعماء الإصلاح في العصر الحديث . أحمد أمين . دار الكتب العلمية بيروت . ط 1 . 2005 م . ص / 6 : بتصرف

[2] مجلة المنار . الجزء الثالث عشر . 10 يونيو 1899 م . مج 2 / 198: بتصرف

[3] الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر . محمد الغزالي . مكتبة وهبة . ط 3 . 1990 م . ص / 51 – 52 : بتصرف

[4] قضية التنوير . محمد قطب . دار الشروق ط 3 . 2006 م . ص / 6– 7 : بتصرف

بهلوانيةً والدِّين مظاهر شكلية ربما تطبق في يوم الجمعة في المساجد فقط ، ولم يكتف بعض المسلمين بذلك ، بل أشركوا مع الله حتى النبات والجماد . [5]

كذلك زاد الوضع الاقتصادي المتردي الذي آلت إليه (الدولة العثمانية) متمثلاً في الضعف الذي أصابها. فقد فقدت سيطرتها الفعلية على الكثير من المناطق التي كانت تحكمها، وأصبحت خاضعة في مواقع عدة لنفوذ الدول الأوروبية ، ثم هي مع ذلك أصبحت تمارس سياسة ظالمة في كثير من المناطق التي تحكمها ، متمثلة في معاملة المسلمين بالاضطهاد ، وإرهاقهم بالإتاوات والضرائب الثقيلة . [1]

كل هذه الأسباب وغيرها أدت إلى ظهور بعض الحركات الإصلاحية التي تتابعت في العالم الإسلامي منذ النصف الثاني من القرن (الثامن عشر الهجري) فقامت حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد ثم ظهر الإمام محمد بن على السنوسي بدعوته الإصلاحية (السنوسية) • في شمال أفريقيا وغربها ووسطها ، [2] وكان من الواجب على (الدولة العثمانية) مساندة هذه الحركات التي تدعو إلى الإصلاح على منهج الكتاب والسنة ، والبدء في دخول منهج جِديد وجدير في التغيير ودراسة الأسباب التي أدت إلى ضعف الدولة وضمور قوتها ، ولكنها نظرت لها على أساس سياسي ، وأنها تريد الوصول إلى السلطة والانفصال عن دولة الخلافة فأعلنت الحرب على كل دعوة للإصلاح الإسلامي ، وصار المنهج الغربي أو الإصلاح على خطى الغرب ، والفكر الوافد هو المنهج الصحيح الذي يجب أن لا يحيد عنه المسلمون .

---

[5] زعماء الإصلاح في العصر الحديث . أحمد أمين . مرجع سابق . ص / 10 – 11 : بتصرف

[1] مشاريع الإشهاد الحضاري . عبد المجيد عمر النجار . دار الغرب الإسلامي . ط 2 . 2006 م . ص / 19 : بتصرف

• هي حركة دينية إصلاحية تنسب إلى مؤسسها الأول الشيخ محمد بن على السنوسي بن العربي ينتهي نسبه إلى على بن أبي طالب رضي الله عنه . ولد سنة (1202 هـ) في بلدة مستغانم بالجزائر تقوم هذه الحركة على الاجتهاد ومحاربة التقليد والدعوة بالحسنى دون حمل للسلاح إلاَّ على الأعداء الذين احتلوا الأرض فترى أن الجهاد فيهم واجب ودائم . ينظر الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية . مصدر سابق

[2] الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا . على محمد الصلابي . نشر مكتبة الصحابة بالامارات . ط 1 . 2001 م . ص /8 : بتصرف

وسأتحدث هنا عن الخلاف الذي حصل بين (الدولة العثمانية) ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أو ما يعرف بـ (الوهَّابية) الذي تحول إلى حروب ، وصِدامات مُسلَّحة أحدثت شقّاً في نسيج المجتمع الإسلامي .

ظهرت هذه الدعوة في منطقة نجد في القرن (الثاني عشر الهجري) على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن على بن أحمد بن وهيب . من أسرة تنتمي للعلم والعلماء . نادى بالعودة إلى دعوة التوحيد الخالص التي جاء بها النبي – ﷺ – وحمل لواءها من بعده الصحابة والتابعون، ودعا للعودة إلى المنبع الصافي وهو كتاب الله وسنة نبيِّه – ﷺ – وإلى تخليص الإسلام من كل الشوائب التي لحقت به على مر السنين السابقة " وقد لاقت هذه الدعوة استحساناً وَغَيَّرت وِفق المنهج الإلهي وَجه الجزيرة العربية تغيِراً أساسياً "[1] وتمكن من تأسيس إمارة سُنِّيَّة سنة (1744 م) ومع ذلك لم يبلغ إلى مساعي الخلافة العثمانية خبر هذه الدعوة إلا عن طريق واليها في مكة (الشريف مسعود) الذي أرسل عريضة إلى الحكومة في عام (1749 م). أشار بوجود شخص من أهالي (العيينة) وهي إحدى قرى نجد ، يدعى (محمد بن عبد الوهاب) يصدر اجتهادات ، وقد رَّدت الحكومة العثمانية على عريضة الوالي بكتاب طلبت فيه بمعاونة والي جدة ، وشيخ الحرم المكي في ذلك الوقت إقناع صاحب هذه الدعوة بالرجوع عن آرائه واجتهاداته

وعندما لم تأتِ هذه المحاولة بنتيجة لجأت الدولة إلى الحل العسكري ؛ فأرسلت حملة من العراق على رأسها (ثويني بن عبد الله) رئيس قبائل القصيم عام (1786 م) ولكنها باءت بالفشل ، ثم حاولت عن طريق والي مكة الجديد (الشريف يحي بن سرور) ولكنه فشل ، ولم يستطع القضاء على الحركة ، ثم حاولت عن طريق والي (مسقط) (بن أحمد البوسعيدي) الذي ذهب إلى البصرة كي يبرم حلفاً مع الحكومة التركية ضد خصمه (سعود بن عبد العزيز) اعترف من خلالها بتبعيته للحكومة العثمانية ليتسع النفوذ العثماني ليشمل جميع ممتلكات إمام مسقط الواقعة في الخليج العربي ، ولكنه خلال رحلة إيابه إلى

---

[1] سلفية لا وهابية . أحمد بن عبد العزيز بن عبد الله الحصين . دار عالم الكتب . الرياض . ط 1 . 1999 م . ص / 86

(مسقط) تعرض لسفينته مجموعة من القراصنة فقتلوه سنة(1804م) وبعد رحيله تمت المصالحة بين خليفته والإمام (سعود بن عبد العزيز) ، ولمَّا لم تنجح كل هذه الحملات رأت الدولة العثمانية أن تكلف واليها في مصر(محمد على باشا) للقيام بمهمة القضاء على هذه الدعوة التي صارت دولة تسمى (الدولة السعودية) وبعد حملات متعددة استطاع أن يخرج الوهابية من مكة والمدينة ، ثم تمكن ابنه إبراهيم سنة(1818 م) من افتكاك الدرعية معقل الوهابية، وانتهت الحملة بالقضاء على ما يعرف (بالدولة السعودية الأولى) [2] .

والخلاصة أن هذه الحرب زادت من توسيع الشرخ بين المسلمين فأصبحت (الدولة العثمانية) ترى في أصحاب هذه الدعوة أنهم خوارج وبُغاة وَجَبَ قتالهم ، وهُم يرون فيها أنها لم تعد صالحة لحكم المسلمين بعد أن صارت راعيةً للبدع وحاضنة للشرك والجهل فما جاء الإسلام إلاَّ ليخرج البشرية من عبادة الطواغيت إلى عبادة الواحد الأحد سبحانه وتعالى ، وفي العهد الأخير من (الدولة العثمانية) تدنَّى التوحيد إلى الحضيض فتعددت الأرباب عند البعض إلى حجر ، وشجر ، وأعواد خشب ، وقبور أولياء ،وغير ذلك . وركنوا في حياتهم العامة إلى ذلك فالزرع ينجح لرضا ولي ويخيب لغضبه ، وما زال كل عام يمر تزداد معه الأرباب عدداً ، والنفوس ذلة حتى وصل الحال بالأمة الإسلامية إلى فقد سيادتها وانهيار عزتها. [1] ولعله لكل هذه الأسباب كانت سبباً لأصحاب هذه الدعوة في الخروج على (الدولة العثمانية) والتحرر من قبضتها .

ويرجع سبب إعلان الدولة العثمانية الحرب على الدعوة (الوهابية) التي صارت دولة بعد أن تحالفها مؤسسها مع أسرة (آل سعود) لعدة أسباب من أهمها :

أ . عدم تقبل العقلية العثمانية للإصلاح والتجديد حيث صار العلم الشرعي مقتصراً على حفظ المتون ، وتقديم الشروح عليها ، والانزواء في الزوايا والقباب والاشتغال بأمور الخوارق والكرامات الباطلة .

---

[2] خروج الوهابية على الخلافة العثمانية . ياسين بن على . طبع مجلة الزيتونة . 2014 م . لم يذكر رقم الطبعة . ص / 34– 35 : بتصرف

[1] زعماء الإصلاح أحمد أمين . مرجع سابق . ص / 13 – 14 : بتصرف

ب . عدم تحرِّ الدقة في الحكم على هذه الحركة حيث اكتفت الدولة بالأخذ بمراسلات ولاتها في الحجاز دون بعث مجموعة من العلماء أو الثقات لاستيضاح الأمر ومدى مخالفة هذه الدعوة للكتاب والسنة .

ج . خوف العثمانيين من انضمام العرب إلى هذه الدعوة والتحالف مع مؤسسيها وإعلان خلافة عربية على غرار الخلافة الراشدة .

د . إذكاء العُملاء من الغرب للصراع بين الدولة العثمانية ورعاياها في الداخل حتى يسهل القضاء عليها ، وتتفتت شوكتها بيسر وسهولة .

ونتج عن هذا الاختلاف مجموعة من النتائج من أهمها :

1 . انقسام المسلمين فيما بينهم وضعف شوكتهم .

2 . إظهار رغبة الدولة العثمانية في عدم الإصلاح والإصرار على البقاء على البدع والخرافات .

3 . تغلغل الأعداء وتمكنهم من الدخول بين المسلمين فقد حاولت بريطانيا الاستماتة على انفصال نجد عن (الدولة العثمانية) لتستأثر بهذه الغنيمة وحدها .

4 . نزول العقوبة على المسلمين بسبب تفرقهم واختلافهم ووقوعهم في سنن الله تعالى التي لا تحابي أحداً على أحد .

الفصل الخامس : النتائج المترتبة على سقوط الخلافة الإسلامية

المبحث الأول : احتلال معظم الأراضي العربية وإلغاء الخلافة الإسلامية وانتشار الجهل والتخلف

المبحث الثاني : انتشار الفرق والأحزاب المنحرفة

تمهيد :

لم يترك الغرب المسلمين ليسعدوا بما بقي لهم من الخلافة الإسلامية فانقضوا عليها للقضاء عليها حتى لا تكون لهم راية يستظلون بظلها ، ولم يسقطوا الخلافة إلاَّ بعد أن خطط الغرب لما سيحدث بعدها حتى تكون الأمور تحت سيطرتهم ، ونفذت كل مخططاتهم بيد المسلمين ؛ فصنعت رجالاً من المسلمين على أعينهم ليتولوا مقاليد الأمور ويحولوا الدول الإسلامية إلى بلاد خالية من الدين والأخلاق والقيم والمبادئ الفاضلة مهما كلفهم ذلك من ثمن .

لقد كانت الخلافة الإسلامية بمثابة الأب للمسلمين ترعى شؤونهم وتهتم بمُحتاجهم ، وتنصر مظلومهم ، ويتوحدون تحت لوائها تجمعهم كلمة التوحيد ، دينهم الإسلام وربهم الله ونبيهم محمد – ﷺ – إذا أعلنت الجهاد هبَّ الصغير قبل الكبير للدفاع عن أي مسلم على وجه الأرض ؛ لأنها يجب عليها حماية رعاياها أينما كانوا وحيثما حلوا ، وظلت هذه الخلافة محققة للمقاصد الإسلامية الكبرى ، كوحدة المسلمين وتوحيد أوطانهم فلم تعرف في ظل الخلافة الإسلامية الجنسيات ولا الحدود ولا القوانين التي تحد من عمل وعرقلة سفر المسلمين من مكان إلى آخر ، كما حافظت الخلافة على حاكِمِيَّة الشَّريعة الإسلامية ولو بشكل جُزئي . [1]

وهذا ما جعل أعداء الإسلام يسعون ليلاً ونهاراً لحرمان المسلمين من هذه المظلة التي يستظلون بظلها ، وإن كانت ضعيفة وظالمة في بعض الأزمان ، ولكن الضرر الذي يترتب على فقدانها ، لا يساويه أي ضرر ، وهذا ما عَلِمه أعداء الإسلام فَسَعوا لإسقاط الخلافة يقول السلطان عبد الحميد – رحمه الله – : " إن دولاً مثل إنجلترا وروسيا ، ترتعد من سلاح الخِلافة الذي أحمله ، ولهذا السَّبب استطاعوا الاتفاق على إنهاء الدولة العثمانية

وكان وجود الخلافة يجعل الانجليز يعيشون دائماً في دوَّامة من الاضطراب " [2] ورغم كل

---

[1] إحياء الخلافة الإسلامية حقيقة أم خيال . محمد عمارة . مكتبة الشروق الدولية بالقاهرة . ط 1 . 2005 م . ص : 17 – 24 : بتصرف

[2] مذكرات السلطان عبد الحميد . مرجع سابق . ص : 147 : بتصرف

المكائد التي أحاطت بها إلاَّ أن هذه الخلافة لم تسقط سريعاً بل صارعت الأمة الداخلية والخارجية مئات السنين في دليل قوي على تشبث هذه الخلافة بالحياة ، والقدرة على المقاومة ، وعدم الاستسلام للموت إلاَّ بعد مائة وخمسين سنة بدأت بعد حملة فرنسا على مصر، ثم الجزائر وانتهت في أعقاب الحرب العالمية الأولى [1] ، ولو عرف بعض خلفائها طريقهم إلى شرع الله ما تمكن الأوروبيون من إسقاطها ؛ لأن الله – تعالى – جعل جنده هم الغالبون .

وهذه بعض النتائج التي ترتبت على سقوط الدولة العثمانية :

المبحث الأول : احتلال معظم الأراضي العربية وإلغاء الخلافة الإسلامية وانتشار الجهل والتخلف .

أولاً : احتلال معظم الأراضي العربية

في الأيام الأخيرة للخلافة الإسلامية بدأ الغرب يقتسم ما بقي من بلاد المسلمين للسيطرة عليها واحتلالها كي يصنع فيها ما يريد فاحتُلت الجزائر ومصر وتونس ، والمغرب وغيرها من بلاد المسلمين ، وسأكتفي بذكر نموذجين من هذا الاحتلال :

أ . احتلال فلسطين :

سعت بريطانيا إلى تسليم فلسطين لليهود قبيل سقوط الدولة العثمانية ، وأكملت أمريكا المؤامرة باحتضانها ، ودعمها بالسلاح ، وإضفاء الشرعية عليها أمام العالم ، كما عمل الروس على دعمها بالكوادر البشرية ، وتجميع المرتزقة من شرق أوروبا والبعث بهم إلى فلسطين ليكثروا عدد اليهود، ويقل عدد المسلمين فيها [2] وبعد إلغاء الخلافة ، وفي منتصف ليلة (15 مايو 1948 م) أُعلن قيام دولة إسرائيل، واعترفت بها الولايات المتحدة الأمريكية ، والاتحاد السوفيتي ، وباقي دول أوروبا الشرقية [3] وقامت بقعة إسرائيل بجوار أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ، وعملت الصهيونية العالمية بمساندة الدول السابقة للاتصال بالدولة العثمانية ، وبالسلطان (عبد الحميد) ففي عام (1901 م) قام (تيودور

---

[1] حصاد الغرور . محمد الغزالي . دار القلم دمشق . ط 4 . 2003 م . ص : 130 : بتصرف

[2] التيارات الفكرية والعقدية في النصف الثاني من القرن العشرين . محمد فاروق الخالدي . مرجع سابق . ص : 239 بتصرف

[3] حاضر العالم الإسلامي . جميل المصري . مرجع سابق . ص : 257 بتصرف

هرتزل) زعيم الحركة الصهيونية العالمية يرافقه (ايمانويل قره صور) زعيم الأقلية اليهودية التركية ، وبعض الحاخامات الآخرين ، بزيارة كانت الأولى من نوعها للسلطان (عبد الحميد) حاولوا أن يحصلوا على إذن يُسمح فيه لليهود بالهجرة إلى فلسطين بصفتهم رعايا للدولة العثمانية ، كما حاولوا إغراءه بتسديد ديون الدولة العثمانية وقدرها (خمسة ملايين) من الجنيهات لخزانة السلطان الخاصة ، فرفض السلطان (عبد الحميد) وأعلن استحالة تحقيق هذا الهدف طالما هو على قيد الحياة . [1]

وهذا دأب الخليفة الذي يحافظ على كل شبر من أرضه وإن كان ثمن ذلك حياته لأنه مؤتمن على رعيته وأرضه فلا يفرط فيها ، أمَّا بعد أن سلمت مقاليد البلاد لحكام ليس لديهم ولاء لله ورسوله سلموا أنفسهم وبلادهم لبلاد الغرب إن لم يكن ظاهرياً فهم على علم بالمؤامرات والدسائس التي كانت تحاك ضد الإسلام وأهله ، ولكن معظمهم كان يغض النظر عن ذلك مادام الأمر لم يصل لإزالتهم من على سدة الحكم .

ب . سيطرة إيطاليا على طرابلس الغرب :

تكالب الأعداء على الأمة الإسلامية بعد سقوط خلافتها من كل حدب وصوب وبدأوا ينهشون جسمها من كل جهة فتجرأت إيطاليا التي تعد من أضعف دول أوروبا في ذلك الوقت على ديار الإسلام، وقامت باحتلال ليبيا بعد أن هيئت الوضع لذلك بالاتفاق مع الدول الأوروبية الأخرى كفرنسا وبريطانيا ، وغيرهما، وفي سنة (1910 م) حاصرت سواحل طرابلس وبرقة لمنع وصول المساعدات إليهما ، وبدأ الأسطول الإيطالي في قصف السواحل الليبية ، وإنزال القوات البرية في سنة (1911 م) التي أذاقت الليبيين سوء العذاب ، وهَّددت باحتلال استانبول مِمَّا اضطر الدولة العثمانية التي كانت تترنح للسقوط في ذلك الوقت للتخلي عن مواطنيها ورعاياها في ليبيا وتركتهم يواجهون مصيرهم أمام هذا العدو الغاشم الذي لا يرقب في مؤمن إلاًّ ولا ذمة . [2]

---

[1] **نفس المرجع السابق . ص : 104 – 106 . بتصرف**

[2] **الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث . إسماعيل ياغي . مرجع سابق . ص / 215 – 216 : بتصرف**

وفي فترت الاحتلال هذه كانت الشعوب الإسلامية تصنع على عين الغرب وتطمس الهوية الإسلامية إلا عند المعتصمين بحبل الله ، وانفتح المجال أمام دعاة التحرر والفسق والفجور دون رقابة ، وفي المقابل ضُيِّق الخناق على كل من يدافع عن دينه ووطنه وعرضه ، والدليل على ذلك إعدام المجاهد عمر المختار على يد الغزاة الإيطاليين وغيره الكثير من أبناء الإسلام الذين استشهدوا دفاعاً عن هذا الدين .

ثانياً إلغاء الخلافة الإسلامية :

كانت فاجعة المسلمين الكبرى يوم أن ألغى (مصطفى كمال أتاتورك) [1] الخلافة الإسلامية ، واستبدل الشريعة الإسلامية التي جاءت نظاماً محكما لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بقوانين اخترعها البشر وصاغوها حسب أهوائهم ، ومعتقداتهم ؛ فبمجرد توليه الحكم وإعلانه إلغاء الخلافة الإسلامية جاء بشريعة أخرى مقتبسة من قوانين أوروبا فرضها على المسلمين بالقوة حيث أباحت هذه القوانين التي فرضها السفور للمرأة ، ومنعت تعدد الزوجات ولو عند الضرورة ، وأجازت للمسلمة الزواج بغير المسلم ، أمرت بالاختلاط بين الشبان والشابات في المدارس والجامعات ، منعت الفقه الإسلامي منعاً باتاً من كل البلاد ألغت مشيخة الإسلام ، كما حملت هذه القوانين جميع سكان تركيا المسلمين على لبس القبعة لمجرد التشبه بالإفرنج ، كما قُتِل مئات المشائخ والعلماء ، واستعملت الحروف اللاتينية بدل العربية ، وأقفلت جميع المدارس الشرعية ، واستبدلت بمدرسة تُسمى مدرسة التعليم اللاَّهوتي، وعبث بالأوقاف الإسلامية، وأُمرت الجرائد بأن تقوم بحملة شرسة على الإسلام . [2]

---

[1] هو مصطفى على أفندي المشهور بمصطفى كمال أتاتورك ولد سنة 1880 م . في مدينة سالونيك في شمال اليونان التي كانت عامرة باليهود ومركزاً رئيسياً للنشاط الصهيوني ، أما أبوه فقد كان موظفا في الجمارك بالدولة العثمانية ، أما لقب كمال الذي لحق به فقد أطلقه عليه أساتذته في المدرسة الثانوية ، ولقب أتاتورك تعني أبو تركيا تميزاً له عن كل من هو عثماني ، تخرج من الكلية الحربية في استانبول وعين ظابطا في الجيش العثماني ، ثم ما لبث أن انظم إلى جمعية الاتحاد والترقي وظل يتقلب في المناصب حتى تمكن من رئاسة الحكومة وأعلن إلغاء الخلافة الإسلامية . ينظر : السقوط الأخير. محمد إسماعيل. مكتبة وهبة بالقاهرة . ط 1 . 2006 م . ص : 160 – 161 : بتصرف

[2] مجلة الفتح . لمحب الدين الخطيب . رئيس التحرير . عبد الباقي سرور . العدد 6 . السنة الأولى . 12 . محرم 1345 هـ . 22 . يوليو . 1926 م . ص : 8 بتصرف

وتقرر أنّ الدين قضية شخصية ، فلكل فرد أن يختار له ديناً يدين به من غير أن يكون له دخل بالسياسة ، وتقرر العمل بالقانون المدني السويسري ، والقانون الجنائي الإيطالي ، والقانون التجاري الألماني . [1] حتى صارت بعض بلاد الإسلام لا يميزها عن بلاد الكفر إلاَّ التخلف الواضح ، والموقع الجغرافي ، واختفت الهوية الإسلامية من الدولة وصار بعض المسلمين لا يحمل من الإسلام إلا الاسم ، جاء في العدد الأول من مجلة الفتح نقلاً عن شيخ الصحافة التركية في عصره (أحمد جودت بك) مؤسس جريدة (إقدام) في معرض الشكوى من تهافت الشرق على القشور في المدينة الأوروبية والانبهار بكل ما عندهم من المظاهر السيئة واختفاء المظاهر الإسلامية من الدولة : أردنا أن نقتبس الحياة المادية ، فأخذنا ذلك بدون فهم ، وأقمنا جميع مبادئنا على أساسات خاطئة ، وقد أدَّى ذلك بنا إلى اعتقاد أن الحياة المادية في الهيئة الاجتماعية تقضي بترك الساقط يسقط والفقير يعالج سكرات الموت ، ويترك الجائع يضغط على أمعائه بحجر ، وتترك الفتاة والمرأة في حاجة إلى بيع رأس مالها المعنوي لتعيش ، تركنا ما كان عندنا قديما من وسائل الرحمة والمواساة ، لقد كان عندنا في هيئتنا الاجتماعية السالفة أوضاع ومعاهد خيرية تحسدنا أوروبا عليها ، ومن ذلك ما كان يسمى (أوقاف العوارض) وفضلاً عن ذلك فقد كان في رُوح الأفراد خلق التعاون والرحمة ، فإذا مرض الفقير بادر جاره الغني لمساعدته ، وإذا ولدت المرأة الفقيرة إنهالت عليها المعونات ، فلما صرنا الآن عصريين ، انسلخنا من كل هذا وأضعفناه واكتفينا بتقليد أوروبا في أخلاقها المادية دون فضائلها المعنوية [2] حتى بلغ من الانهيار الأخلاقي أن صار الفتيان والفتيات يترددون على الحانات ، وصار معظم لباس هذه الفتيات الأزياء ذات القماش الشفاف تقليدا للأزياء الغربية .[3]

وتشبع أغلب المجتمع المسلم بروح الغرب فإذا بهم يتنفسون برئة الغرب ويفكرون بعقله، ويرددون كلمات أساتذتهم المستشرقين وينشرون أفكارهم ويشرحون نظرياتهم في

---

[1] أثر الفكر العلماني في المجتمع الإسلامي . محمد رشاد عبد العزيز . دار المحدثين للبحث العلمي . القاهرة . ط 2 . 2010 م ص : 10 بتصرف

[2] مجلة الفتح . مرجع سابق . العدد الأول . السنة الأولى . 10 يونيو 1926 م . ص : 4 . بتصرف

[3] دور السفراء العثمانيين والفرنسيين في حركة التغريب في الدولة العثمانية . وصفي مراح . رسالة دكتوراة في التاريخ الحديث . قسم التاريخ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية . بجامعة أم القرى بالسعودية . إشراف أميرة بنت على . ص / 76

إيمان عميق وحماسة زائدة وكأنهم صدى لهؤلاء الغربيين[1] حتى أنهم نحتوا تماثيل كالتماثيل الأوروبية ، واستقدموا رسامين فرنسيين ، ليعلموا الأتراك فنون الرسم الحديث والموسيقى .[2]

ثالثاً : انتشار الجهل والتَّخلف العلمي والحضاري والثقافي بين المسلمين :

أدرك الغرب أنه بقدر التعليم يكون الوعي وبقدر الجهل يكون التخلف والرجعية ، ومن ثم سلكوا طريقين في هذا المسار :

الأول : استقطاب الأذكياء من أبناء المسلمين لِيصنَعُوهم صناعة غربية علمانية مثل طه حسين ، وقاسم أمين وغيرهما الكثير؛ ليرجعوا إلى بلادهم محملين بالفكر العلماني لنشره بين المسلمين .

الثاني : سعيهم لتولية من يعادي العلم من المسلمين ، وهذا جلي في البلاد الإسلامية فنجد أن جل العلماء والمفكرين والمبدعين أخرجوا من بلادهم وبقيت تتسول من غيرها الأطباء والمبدعين بأثمان باهظة ، فنتج عن ذلك نهضة علمية متميزة لدى الغرب وجهل واضح بين المسلمين ، والدليل على ذلك في عصر الانفتاح الثقافي ، والتكنولوجيا الحديثة فإن نسبة الأُمِّية وصلت في بعض البلاد الإسلامية إلى نسب مرتفعة جداً توحي بمدى التخلف الذي وصل إليه حال المسلمين ، وأما جُلُّ المتعلمين فهم موالون للفكر الغربي البعيد عن نهج الله ورسوله ﷺ .

لقد بدأ هذا التخلف، والوهن يدبُّ شيئاً فشيئاً في جسم الأمة منذ الأيام الأخيرة للخلافة الإسلامية على شتى الصُّعد ، وفي مختلف المجالات وحاولت (الدولة العثمانية) بعض المحاولات للتطور، واللحاق بركب الحضارة الإنسانية ، ولكنها أخطأت الطريق ، وابتعدت عن الهدف الذي يجب أن تسعى نحوه ، وبعد سقوطها زاد هذا التخلف وصار المسلمون كالقطعان يتخبطون خبط عشواء ، وساروا نحو الهاوية ، وصاروا دولاً عديدة بعد أن كانوا دولة واحدة ، وأصبحت أغلب هذه الدول لا تستطيع أن تصنع غذاءها أو دواءها ، أو

---

[1] أثر الفكر العلماني في المجتمع الإسلامي . محمد رشاد عبد العزيز . دار المحدثين بالقاهرة . ط 2 . 2010 م . ص : 34 بتصرف

[2] يوم الإسلام . أحمد أمين . طبع مؤسسة هنداوي بالقاهرة . 2014 م .لم يذكر رقم الطبعة . ص : 101 . بتصرف

حتى سلاحها الذي ستقاتل به الأعداء ، بل صاروا عالة يتكفَّفُون حُكومات أوروبا من أجل حفنة من المساعدات أو شحنة من الأسلحة الفاسدة ، وانحدر العلم والثقافة إلى أدنى مستوياتهما وصارت المرأة التي هي مربية الأجيال أقرب إلى العادات الجاهلية منها إلى الإسلام الذي حررها وأنقذها من رق العبودية وظلم الرجال ، فهي لا تتعلم ولا ترث ، ولا يتعدى اهتمامها شؤون الطبخ بالإضافة إلى مجموعة ضخمة من الخرافات عن المشائخ والكرامات والعفاريت وما يفعلونه بالبشر [1] .

وللأسف استغل هذا الوضع مجموعة من العُملاء والجُهلاء من أبناء جلدتنا ليصبوا جَامَّ غضبهم على الإسلام مدَّعين أن الذي وقع على المرأة كان بسببه ، ورسَّخوا في ذهنها وذهن العامة أن كل هذا التخلف بسبب الإسلام ؛ فإذا أرادت أن تنهض من كبوتها وتلحق بركب الحضارة ما عليها إلاَّ أن تكون مقلدة لنساء الغرب في اللباس والتبرج والسفور ، واقتحام الأعمال الخاصة بالرجال ، ولا يزال هذا الضعف والتخلف يخيم على أغلب الدول الإسلامية إلى يومنا هذا فلا توجد دولة إسلامية واحدة تستطيع الاعتماد على نفسها في كل احتياجاتها ، ولا زالت تستورد غذاء أطفالها من مصانع أوروبا ، وأمريكا ، وَضَيَّع المسلمون السَّاعات والأَيّام ، بل ضيَّعوا أجيالاً انتهزت فيها الشُّعوب الأوروبية كل دقيقة وثانية ، وسارت سيراً حثيثا في كل ميدان من ميادين الحياة ، وفي ظل كل هذه الأوضاع ولدت في رحم الأمة الإسلامية نبتة خبيثة هي الكيان الإسرائيلي الذي استطاع أن يسيطر على الضفة الغربية وشبه جزيرة سيناء، وأن يمتلك القدس الشريف لأول مرة في التاريخ.[2]

---

[1] قضية التنوير في العالم الإسلامي . محمد قطب . مرجع سابق . ص : 57 : بتصرف

[2] ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين . أبو الحسن على الندوي . مرجع سابق . ص : بتصرف

المبحث الثاني : انتشار الفرق والأحزاب والجماعات المنحرفة

في ظل غياب الوعي الديني والقيادة الربانية تتولد الفرق الضالة ، وتنتشر الأفكار المسمومة بين أبناء المسلمين ، ومن ثم يصير المسلم مشتت الفكر لوجود بعض قيادات المسلمين وعلمائهم يحملون هذا الفكر . ومن أبرز الفرق الهدامة التي ظهرت في السنوات المعدودة الأخيرة للخلافة العثمانية ما يلي :

أ . فرقة القاديانية

ظهرت هذه الفرقة في الهند أثناء سيطرة الاستعمار الإنجليزي عليها على يد دجَّال يُسمَّى (غلام أحمد قادياني 1839م – 1908 م) من أسرة اشتهرت بولائها للاستعمار الإنجليزي حيث كان والده جُندياً في الجيش الانجليزي بالهند ، قاتل معه ضد المسلمين الذين عاش في كنفهم ، ثمَّ عُيِّن كاتباً بأحد المحاكم في مدينة (سيالكوت) الهندية [1] ، ولِمَّا وجده الاستعمار الإنجليزي من مقاومة ضارية من قبل المسلمين في الهند ، قرَّرَ قادته الاجتماع في لندن لوضع خطة محكمة ضد الإسلام ، فقرروا إنشاء فرقة لتشتيت قوى الإسلام ، تكون في ظاهرها حاملة لاسمه ، وهي في الحقيقة هادمة لأصوله ، فنسجت على هذا المنوال نسجاً محكماً ، وأرسلت بعثات للبحث والتقصي عن الخونة فلم يجدوا في الهند أشد وأخطر من (غلام أحمد القادياني) . [2]

وهذا ما يرده أعداء الإسلام وهو أن يحل الفكر المسموم وينشر بين المسلمين حتى لا تثور لهم ثائرة ، والأدهى من ذلك تجنيد كبار المفكرين الذين حملوا الفكر الغربي لينشروا ما يريده الاستعمار .

أهم عقائد هذه الفرقة :

أ . ادعاء (غلام أحمد) النبوة التي سمَّاها نبوة ظلِّية باقتراح من أسياده الانجليز ، ومعنى ذلك : أنه معقب على نبوة محمد – ﷺ – وأن النُّبوة لقب تشريفي ، وهو ليس نبياً مُشرِّعاً ، وقد ضحك بهذه الفكرة على الكثير من المسلمين بتصديقهم له .

---

[1] القاديانية وخطرها على الإسلام . مصباح الدين زاهدي . مؤسسة الرسالة . 1991 م . لم يذكر رقم الطبعة . ص : 32 – 33 . بتصرف

[2] القاديانية دراسات وتحليل . إحسان إلهي ظهير . دار الإمام المُجدد . بالقاهرة . ط 1 . 2005 م . ص : 24 . بتصرف

ب . أبطل الجهاد ، وتعاون مع أعداء الإسلام فأفتى بأن قتال الانجليز مُحرَّم ، وأنَّه لا يوجد جهاد في الإسلام [1] ، وأنَّ المستعمر الإنجليزي هو ولي أمر المسلمين [2] وبالتالي يُحرم قتاله ، لأنَّهم يحسُّون أنَّه بإبطال الجهاد تَمكُّن لهم ، وإذلال للمسلمين وإذاقتهم صُنوف العذاب ، فينشأ النشء على الذل والمهانة والذل ، فلا تتحرك حميته على نفسه وعرضه ودينه ؛ لأنه فقد العزة واستبدلها بالذل .

ج . ادَّعى القادياني أنَّ المسيح (عليه السلام) قد مات ، ولن يعود ثانية ، والمقصود من عودته هو شخص شبيه له ، وهو يريد بهذه الفكرة أنه هو المسيح الموعود .

د . أن محمد – ﷺ – لم يكن آخر الأنبياء ، بل باب النبوة ما زال مفتوحا على مصراعيه إلى يوم القيامة .

أخطار هذه الفرقة على المسلمين :

أ . ألغت الجهاد ضد العدو مما ساهم في بثَّ روح العجز والتكاسل والرضاء بالذل بين الكثير من طوائف المسلمين .

ب . من أخطارها أنها تسربت في بلاد المسلمين خاصة بعد سقوط (الدولة العثمانية) ففي (باكستان) عَظُم خطر القاديانيين بعد احتلالهم لمناصب خطيرة في الجيش والشرطة وتكوينهم فيها أكثرية ساحقة بحيث يستطيعون أن يحدثوا ثورة ، ويقبضوا على زمام الحكم متى شاءوا ، وقد تمكنوا من تكوين إمارة حُرَّة في منطقة البِنجَاب تُسمَّى (الرَّبوة) صارت مستعمرة قاديانية لا توظف فيها الحكومة غير القاديانيين . [3]

وهذا يدعو الفقراء والمحتاجين أن يعتنقوا الفكر القادياني لكي يحصلوا على عمل يدر عليهم دخلاً للإنفاق على أنفسهم وأهليهم ، وهذا دأب أعداء الإسلام والموالين لهم في كل عصر ومصر فإذا لم يسر الموظف على نهج وفكر الدولة فإنه يتعرض للعقاب أولاً ، ثم الفصل من عمله ، فيصبح إنسانا بلا دخل محتاجاً للسؤال وطلب المعونة .

---

[1] القاديانية وخطرها على الإسلام . مصباح الدين زاهدي . مرجع سابق . ص : 11 . بتصرف

[2] القاديانية . عامر النجار . المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر . بيروت . ط 1 . 2005 م . ص : 17 . بتصرف

[3] ثلاث رسائل عن القاديانية . الرسالة الأولى بقلم أبو الحسن الندوي . مكتبة دار الإيمان بالكويت . لم يذكر رقم الطبعة ولا سنة النشر . ص : 14 . بتصرف

ج . من مخاطر هذه الطريقة أيضاً صارت تزاحم الإسلام في كل شيء ، وتريد أن تحل محله في العقيدة والفكر والعاطفة ، وأن تستولي على نصيبه من الطاعة والحب والاحترام فهي تتبجح بإعلان تفضيل الغلام القادياني على أكثر الأنبياء والرسل، فضلاً عن الصحابة وأولياء هذه الأمة . [1] وهذا يحدث في وجود الحرية لهم بنشر سمومهم وغياب الوعي الديني الإسلامي الذي ينقذ الناس من هذا الشر .

د . من أعظم أخطار هذه الفرقة أن الكثير من الناس قد انخدع بها ، فاعتقدوا أنها من الإسلام بحق ، ولربما أثنوا عليها ، وعابوا على من يكتب في تحذير المسلمين من خطرها ولو اقتصرت هذه الطائفة على بثِّ سُمومها في غير المسلمين لخفَّ على المسلمين ضررها ولكنهم طمعوا في أخذ الشعوب التي تدرس القرآن والسنة ، فبعثوا بدعاتهم إلى سوريا ، ومصر ، وفلسطين ، والعراق ، وجدة ، وغيرها من بلاد المسلمين . [2]

ب . فرقة البهائية :

انبثقت هذه الفرقة من الوسط الشيعي في أرض فارس مُستغلة الانحرافات والخُرافات التي سادت الوسط الشيعي ، إضافة إلى احتضان الاستعمار لها خاصَّة الاستعمار الروسي الذي يحمل من الأحقاد على الدولة العثمانية ما الله به عليم .

أنشأ هذه الفرقة ودعا إليها شخصٌ شيعي يُسمَّى (على محمد الشيرازي) عام (1844م) واتَّخذ لنفسه لقب (الباب العالي) ، قاصداً به حاجب (المهدي المنتظر)• عند الشيعة ، والمتحدث باسمه ، [3] وألف كتاباً أسماه (البيان) زعم فيه أنه منزل من عند الله وأنه ناسخ للقرآن ، وهو أفضل الكتب المُنزَّلَة على الإطلاق [4]، وبعد مقتله برز اثنان من

---

[1] نفس المصدر السابق . ص : 17 . بتصرف

[2] ثلاث رسائل عن القاديانية . الرسالة الثالثة . بقلم محمد الخضر حسين . مكتبة الإيمان بالكويت . لم يذكر رقم الطبعة ولا سنة النشر . ص : 77 – 78 . بتصرف

• هو الإمام الثاني عشر من أئمة الشيعة والمعروف بمحمد الحسن العسكري المولود سنة 265 هـ ، ولا يزال حيا في اعتقادهم إلى الآن ، ولكنه مختفٍ في سرداب بمدينة سامراء . وسيظهر ويؤمن به كل من أنعم الله عليه بنعمة العقل في نظرهم . ينظر عقائد الإمامية . محمد رضا المظفر. لم يذكر رقم الطبعة ولا دار النشر. ص : 9 .

[3] النحلة اللقيطة البابية والبهائية تاريخ ووثائق . عبد المنعم أحمد النمر . مكتبة التراث الإسلامي . مصر . لم تذكر سنة الطبع ولا رقم الطبعة . ص : 10 . بتصرف

[4] فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها . غالب بن على العواجي . المكتبة العصرية الذهبية . جدة . ط . 4 . 2001 م . ج 2 / 657 . بتصرف

تلامذته هما (حسين على النوري) المولود عام (1818 م) و(يحي المازندراني النوري) المولود عام (1827 م) مدَّعياً كلَّ واحدٍ منهما أنه خليفته من بعده والمتلقي للوصاية منه؛ فشكَّل كل واحد منهما جماعة مستقلة لنفسه ، أو دينا جديداً يختلف – أحياناً – عن دين الباب الذي جاء به [1] وانتشرت هذه الفرقة في إيران وبعض المناطق الأخرى ، بشكل ضعيف ، وبعد سقوط (الدولة العثمانية) ازداد نشاطهم وتمكنهم حتى أنهم دخلوا العديد من البلاد العربية واستطاعوا تكوين قوة حقيقية لهم فيها ؛ ففي مصر مثلاً نشرت جريدة الأخبار المصرية في عددها الصادر بتاريخ (16 . 3 . 1972 م) خبراً يَذكر أنَّ عدد المقبوض عليهم في خلية للبهائيين بمدينة (طنطا) ارتفع إلى واحد وثمانين شخصاً . [2] وهذا منذ أكثر من خمسين سنة وزاد العدد الآن وللأسف وصل الحال إلى أننا بدأنا نسمع أن بعضهم قد استخرج بطاقته الشخصية مكتوب فيها أن ديانته قاديانية أو بهائية .

أهم عقائد البهائية :

للبهائية الكثير من العقائد الزائغة والأفكار المتطرفة من بينها :

أ . ينكر البهائيون أسماء الله تعالى وصفاته ، ويذكرون أنه ليس له أسماء ولا صفات ، ولا أفعال .

ب . يزعم البهائيون أن وُجود المخلوقات كان صادراً عن الله تعالى ، كالشمس التي يصدر عنها الشعاع ، لذا فهم يعتقدون بقدم العالم .

ج . يرى البهائيون أن غير البهائي كافر ، ولو كان مسلماً .

د . لا يؤمن البهائيون بانقطاع الوحي بعد النبي – ﷺ – ويرون أن الرسل حقيقة واحدة تتناسخ في الهياكل البشرية .

هـ . ذهب البهائيون إلى أنه بظهور شريعتهم نُسِخَت كل الشرائع ، وسقط العمل بالإسلام فالشَّريعة الإسلامية قد نُسخت بشريعة البهاء . [3]

---

[1] البهائية والنظام العالمي الجديد . أحمد وليد سراج الدين. مطبعة الداودي . دمشق . 1994 م . لم يذكر رقم الطبعة . ص : 36 . بتصرف

[2] قراءة في وثائق البهائية . عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ) . مركز الأهرام للترجمة والنشر . مصر . ط . 1 . 1986 م . ص : 11 . بتصرف

[3] نفس المرجع . ص : 17 – 23 . بتصرف

و. يُؤَوِّل البهائيون القرآن تأويلاً باطنيًّا غريباً عن مناهج التفسير الصحيحة فقالوا : ﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾ [1] ذهب ضوؤها ، أي أن الشريعة الإسلامية ذهب زمانها واستبدلت بشريعة البهاء .... [2]

خطر البهائية على الإسلام والمسلمين :

أ . تعد هذه النحلة كسابقتها من أخطر الحركات التي أنشأها أو دعمها الأعداء لمواجهة الإسلام ، وتدمير دولة الخلافة ، فقادتها على علاقة وثيقة بأعداء الإسلام ، ولهذا وضعت الدولة العثمانية بعضهم تحت الإقامة الجبرية بعد ثبوت تعاونهم مع الإنجليز ، والماسونية الاسكتلندية عام (1868 م) [3]

ب . استغلت هذه الفرقة ضعفاء العقول وسفهاء الأحلام فأخرجتهم من شريعة الإسلام وأدخلتهم في ملة الكفر الباطلة .

ج . ساهمت في خلق اضطرابات داخل الدولة العثمانية حتى استطاعت القضاء عليها بمعاونة قوى الشر الأخرى .

د . ساهمت في بث روح التخلف والوهن في المجتمع لأنها تعلقت بأسطورة تمثلت في شخصٍ مُسردب مُدَّعين بأنه من أهل البيت . – وحاشا آل بيت رسول الله – ﷺ – من هذه التفاهات .

حكم الإسلام في القاديانية والبهائية :

جاء في تفسير روح المعاني في تفسير قوله تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [4] : ظهر في هذا العصر عصابة من غلاة الشيعة لقبوا أنفسهم بالبابية لهم في هذا الباب فصول يحكم بكفر

---

[1] سورة التكوير ، الآية : 1

[2] في مذاهب ألاً إسلاميين . البابية . البهائية . القاديانية . عامر النجار . ص 95 . بتصرف

[3] قراءات في عقائد الغرب . فيصل بن على الكاملي . مكتبة فهد الوطنية بالسعودية . ط 1 . 1434 هـ . ص : 102 . بتصرف

[4] سورة الأحزاب ، الآية : 40

معتقدها كل من انتظم في سلك ذوي العقول ، وقد كاد يتمكن عرقهم في العراق لولا لطف الله في ذلك . [1]

أفتى الشيخ " سليم البشري " شيخ الأزهر بكفر ميرزا عباس زعيم البهائيين ونشر ذلك في جريدة مصر الفتاة بالعدد – 292 – في 27 / 12 / 1910 م . [2]

في عام (1394 هـ = 1974 م) أصدرت رابطة العالم الإسلامي بياناً مطولاً بينت فيه حكم الإسلام في القاديانية ، ومن أهم القرارات التي اتخذتها الرابطة في هذا المؤتمر :

. إعلان كفر طائفة القاديانية وخروجها عن الإسلام .

. عدم التعامل مع القاديانيين أو الأحمديين ومقاطعتهم اقتصادياً وثقافياً ، وعدم التزوج منهم ، وعدم دفنهم في مقابر المسلمين ، ومعاملتهم باعتبارهم كفاراً .

. مطالبة الحكومات الإسلامية بمنع كل نشاط لأتباع ميرزا غلام أحمد مدَّعي النبوة واعتبارهم أقلية غير مسلمة ، ويمنعون من تولي الوظائف الحسَّاسة في الدولة .

. نشر مصورات لكل التحريفات القاديانية في القرآن الكريم ، والتنبيه عليها ، ومنع تداول هذه الترجمات . [3]

ج . انتشار الأحزاب والأفكار الاشتراكية :

كثيرةٌ هي الفرق والأحزاب التي ظهرت وانتشرت في نهاية حكم الدولة العثمانية ، ولكن التي استطاعت الوصول للحكم وتولي مقاليد السلطة سريعاً هي الحركة (الاشتراكية) وهي : حركة ظهرت في الاتحاد السوفيتي تقوم على الإلحاد ، والملكية العامة ، وانتشرت هذه الفكرة في بعض دول الإسلام بعد سقوط الدولة العثمانية فبعد أن ظهرت في فلسطين سنة (1919 م) انتقلت إلى لبنان عام (1924 م) ومنها إلى سوريا ، والعراق سنة(1958م) ومصر سنة (1961 م) واليمن سنة (1962 م) وكل هذا كان برعاية الاتحاد السوفيتي

---

[1] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني . شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي . دار إحياء التراث العربي . بيروت لبنان . ط 4 . 1985 م . مج 6 / 41 : بتصرف

[2] في مذاهب اللاّ إسلاميين . البابية البهائية القاديانية . عامر النجار . مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة . ط . 1 . 2004 م . ص 104 – 105

[3] نفس المرجع . ص : 246 . بتصرف

الذي يحتضن إسرائيل ويعتبرها أول نموذج للاشتراكية العلمية الثورية خارج الاتحاد السوفيتي ، وكانت الخطة من هذا هي التقاء العرب واليهود معاً على أخوة العقيدة الجديدة، وكان من مساوئ هذه الحركة أن تسربت الأحزاب الشيوعية والتي تكونت منها حكومات معادية للدين اندست وراء الوطنية والقومية ، ومناهضة الاستعمار وأثرت بسبب ذلك في الشباب ، والعمال ، وطلاب الجامعات ، وغيرهم الكثير. [1] كما استطاعت الاشتراكية إشغال المسلمين في صراع وهمي مع الاستعمار ، وإشغالهم بحرب حقيقية فيما بينهم ، وكانت المخدر الذي أمات الشعور الإسلامي تجاه فلسطين ، وساهمت في نمو الكثير من الاتجاهات الفلسفية المادية التي تلتقي معها في عقيدة الإلحاد والدعوة للانحلال الأخلاقي والاجتماعي . [2]

---

[1] التيارات الفكرية والعقدية في النصف الثاني من القرن العشرين . محمد فاروق الخالدي . دار البيان القاهرة . ط 1 . 2002 م ص : 119 0 221 بتصرف

[2] حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة . جميل المصري . مرجع سابق . ص : 90 – 91 بتصرف

الخاتمة :

بعد هذا الجهد البسيط والمتواضع في هذا الموضوع توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج والتوصيات كانت كالنحو التالي :

أولاً النتائج :

1 . السنن الإلهية قد تستمر مئات السنين حتى تفرض حاكميتها على الدول وقد تأتي فجأة .

2 . سنن الله ثابتة وقائمة إلى يوم الدين لا تحابي أحدً ، ولا تجامله ، وإن كان مؤمنا ، والصراع بين الحق والباطل مستمر إلى يوم الدين .

3 . تُبنى الدول والحضارات بطاعة الله تعالى ، وكل نظامُ بني على مخالفة الشريعة سينهار ويزول مهما بلغ من قوة .

4 . القرآن الكريم والسنة النبوية مصدران غنيان بالسنن والوقائع التي تدعمها .

5 . تطبيق الأمم للإسلام يمنحهم القدرة على بناء الحضارات وجلب الأمجاد ، ولولا تطبيق العثمانيين للإسلام لما سادوا العالم في بداية حكمهم .

6 . حرص الأمراء العثمانيون على الإسلام وحبهم له جعل دولتهم تعيش مئات السنيين واستطاعوا ضم العديد من الدول الكافرة ، وإدخال شعوبها الإسلام وإبعاد الأعداء عنهم مئات السنين .

7 . أبعدت الدولة العثمانية الأعداء عن المسلمين مئات السنين لهجومها عليهم في وسط أراضيهم .

8 . الدولة العثمانية لم تكن في يوم من الأيام محتلة للبلاد العربية كما يروج لهذا بعض الكتاب ووسائل الإعلام

9 . إصرار الدول الغربية على إسقاط الخلافة الإسلامية وكل حكم ينتمي إلى الإسلام مستمر إلى ما شاء الله .

10 . الاختلاف المذموم مُذهب للقوة ، مُفرق للشمل ، جالب لسخط الرب

11 . عداء الكفار للمسلمين دائم ما دام الإسلام لذلك حذر الله من موالاتهم وتفضيلهم على المسلمين .

12 . كان للنصارى العرب دور رئيسي في هدم الخلافة الإسلامية والتحالف مع الأعداء من أجل إسقاطها .

13 السنن الإلهية عامة يخضع لها المسلم والكافر على السواء

14. عملت الخلافة العثمانية على حفظ حقوق المسلمين مئات السنين .

15 . مسئولية سقوط الخلافة تقع على العرب والترك على السواء .

ثانياً التوصيات :

1 . العمل على إعادة الوحدة الإسلامية وفق المنهج الإسلامي الصحيح ، وبث روح الألفة والمحبة بين المسلمين بكل أجناسهم .

2 . الاهتمام بعلم السنن الإلهية وفتح المجال في الجامعات والمراكز البحثية لدراستها والتعمق فيها ، وإدراجه كمادة رئيسية في المناهج الدراسية خاصة لطلبة الجامعات الإسلامية .

3 . إعادة النظر في بعض المناهج التاريخية التي تحث على كره وتحقير العثمانيين وتصويرهم بالمحتلين للأراضي العربية والإسلامية .

4 . العمل على عدم مخالفة سنن الله الكونية ، والسير وفق الشرع الحكيم لتفادي الوقوع فيها .

فهـــــــــارس البحث

أولاً : فهرس الآيات القرآنية.

ثانياً : فهرس الأحاديث النبوية.

ثالثاً : فهرس الموضوعات.

رابعاً : الدوريات والمجلات والبحوث

أولاً: فهرس الآيات القرآنية.

الآية الكريمة	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾	الفاتحة	6	152
﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ... ﴾	البقرة	35	15
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ ...﴾	البقرة	91	153
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا... ﴾	البقرة	104	152
﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا ...﴾	البقرة	111	154
﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ ... ﴾	البقرة	114	53
﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ ... ﴾	البقرة	164	8
﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ... ﴾	البقرة	176	149
﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ... ﴾	البقرة	193	143
﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ ... ﴾	البقرة	217	136
﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ ... ﴾	البقرة	249	136
﴿ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً ...﴾	البقرة	249	137
﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ... ﴾	البقرة	251	138
﴿ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾	البقرة	254	50
﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ... ﴾	آل عمران	11	55
﴿ لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ ... ﴾	آل عمران	28	98
﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ ... ﴾	آل عمران	47	8
﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ ...﴾	آل عمران	64	64
﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ... ﴾	آل عمران	103	152
﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا ... ﴾	آل عمران	105	149

﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا... ﴾	آل عمران	112	101
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً ... ﴾	آل عمران	118	102
﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ ... ﴾	آل عمران	137	15
﴿ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ..﴾	النساء	59	149
﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ... ﴾	النساء	65	71
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ ... ﴾	النساء	71	103
﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ... ﴾	النساء	87	5
﴿ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ... ﴾	النساء	119	88
﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ...﴾	النساء	122	5
﴿ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ ...﴾	النساء	139	99
﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا..﴾	النساء	141	137
﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ ... ﴾	النساء	171	61
﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي... ﴾	المائدة	3	71
﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ... ﴾	المائدة	27	135
﴿ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾	المائدة	44	71
﴿ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ .﴾	المائدة	72	51
﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ... ﴾	المائدة	79	102
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ... ﴾	المائدة	105	49
﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ... ﴾	الأنعام	51	78
﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ... ﴾	الأنعام	57	71
﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً... ﴾	الأنعام	99	9
﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي ...﴾	الأنعام	162	61
﴿ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا ﴾	الأعراف	13	15
﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ... ﴾	الأعراف	54	17
﴿ فعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ... ﴾	الأعراف	78،77	52
﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا ... ﴾	الأعراف	96	87

﴿ وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِم... ﴾	الأعراف	149	18
﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ... ﴾	الأعراف	158	154
﴿ وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ... ﴾	الأعراف	163	20
﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ ... ﴾	الأعراف	165	14
﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ ... ﴾	الأعراف	179	56
﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا ...﴾	الأنفال	46	149
﴿ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً... ﴾	الأنفال	53	89
﴿ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ... ﴾	الأنفال	60	40
﴿ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ ...﴾	التوبة	8	102
﴿ قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ... ﴾	التوبة	14	143
﴿ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ ...﴾	التوبة	17	103
﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ ۙ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ... ﴾	التوبة	25	16
﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ...﴾	التوبة	29	102
﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ ... ﴾	التوبة	30	62
﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ... ﴾	التوبة	41	61
﴿ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ...﴾	التوبة	70	70
﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ... ﴾	التوبة	71	103
﴿ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ ... ﴾	التوبة	81	148
﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ ...﴾	التوبة	105	163
﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ ... ﴾	التوبة	114	100
﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا ...﴾	يونس	13	52
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا ...﴾	يونس	44	49
﴿ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا ... ﴾	يونس	98	55
﴿ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ... ﴾	هود	44	51
﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ...ۖ ﴾	هود	46	100
﴿ فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا... ﴾	هود	82	78
﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ۖ ... ﴾	هود	98	81

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ ...ۖ ﴾	هود	100	57
﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ...﴾	هود	113	53
﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ ...﴾	هود	116	77
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ... ﴾	الرعد	11	14
﴿ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ... ﴾	الرعد	17	135
﴿ لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا ... ﴾	إبراهيم	28	88
﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا ... ﴾	إبراهيم	35	57
﴿ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا... ﴾	الحجر	74	18
﴿ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا ... ﴾	النحل	14	8
﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ... ﴾	النحل	90	47
﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً ... ﴾	النحل	112	76
﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا ...﴾	الإسراء	16	82
﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ ...﴾	الإسراء	17	19
﴿ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُم ...﴾	الكهف	20	142
﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ ... ﴾	الكهف	55	2
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا... ﴾	الكهف	57	52
﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ ... ﴾	طه	120	135
﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً ...﴾	الأنبياء	11	53
﴿ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ... ﴾	الأنبياء	92	152
﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ... ﴾	الأنبياء	105	137
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾	الأنبياء	107	43
﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ ﴾	الحج	31	31
﴿الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ ﴾	الحج	41	76
﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ ﴾	الحج	46	9
﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۚ هُوَ اجْتَبَاكُمْ ﴾	الحج	78	143
﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا ...﴾	المؤمنون	27	51
﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ... ﴾	الفرقان	27	49

﴿ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ... ﴾	النمل	93	10
﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾	القصص	8	54
﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ۖ... ﴾	القصص	40	53
﴿ أَلِمَ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾	العنكبوت	2 - 1	141
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ ... ﴾	الروم	22	148
﴿ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ﴾	الروم	30	88
﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ... ﴾	النور	55	146
﴿ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾	لقمان	13	50
﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ... ﴾	الأحزاب	40	182
﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾	الأحزاب	62	13
﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ ...﴾	سبأ	15	91
﴿ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ... ﴾	سبأ	28	34
﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا.. ﴾	فاطر	43	2
﴿ وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا ...﴾	يس	33	7
﴿ وَآيَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴾	يس	41	7
﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ ﴾	الزمر	5	14
﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ ﴾	الزمر	65	51
﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَىٰ وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾	غافر	29	54
﴿ فَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ ... ﴾	غافر	82	6
﴿ سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ... ﴾	غافر	85	9
﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ ...﴾	فصلت	16	51
﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ ...﴾	فصلت	17	17
﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾	فصلت	46	48
﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا... ﴾	الشورى	13	149
﴿ وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ... ﴾	الشورى	30	76
﴿ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ... ﴾	الشورى	42	53
﴿ اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ... ﴾	الجاثية	12	8

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ... ﴾	محمد	7	70
﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ﴾	محمد	38	141
﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾	الحجرات	10	151
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾	الحجرات	15	83
﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾	الذاريات	56	88
﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴾	الرحمن	5	14
﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾	المجادلة	21	100
﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ ... ﴾	المجادلة	22	152
﴿ هوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيارهم.. ﴾	الحشر	2	16
﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ ﴾	الحشر	9	153
﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ... ﴾	الممتحنة	4	100
﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ ﴾	المنافقون	8	101
﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ...﴾	الطلاق	1	52
﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ ... ﴾	التحريم	9	61
﴿قَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا ... ﴾	نوح	23	57
﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴾	النازعات	24	54
﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴾	التكوير	1	182
﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾	البروج	8	89

ثانيا فهرس الأحاديث النبوية :

ر . م	طر ف الحديث	رقم الصفحة
1	اتق دعوة المظلوم ...	49
2	إنَّ الناس إذا رأوا الظالم ...	49
3	إنّي لم أبعث لعانا ...	43
4	المسلم أخو المسلم ...	49
5	المؤمن للمؤمن ...	153
6	تؤمن بالله ورسوله ...	101
7	دعوني ما تركتكم ...	149
8	الظلم ظلمات يوم القيامة ...	49
9	في كل كبد رطبة ...	43
10	لتتبعن سنن ...	111
11	مثل المؤمنين في توادهم ...	153
12	من قاتل لتكون ...	83
13	من مات	83
14	واتق دعوة المظلوم	49
15	يا عبادي إني حرمت	48

فهرس الموضوعات :

ر . م	الموضوع	رقم الصفحة
1	الآية الكريمة	ب
2	الشكر والإهداء	جـ – د
3	التمهيد	1
4	تعريف السنن لغة واصطلاحا	2
5	تعريف السنن اصطلاحا	3
6	السنة في اصطلاح المحدثين	3
7	السنة في اصطلاح علماء أصول الفقه	3
8	السن في اصطلاح الفقهاء	3
9	السنة في الفكر الإسلامي	3
10	السبيل لمعرفة السنن	5
11	أقسام السنن	7
12	السنن الإجتماعية	7
13	السنن الكونية	7
14	أهمية دراسة السنن الإلهية	10
15	خصائص السنن الإلهية	13
16	تعريف السقوط لغة واصطلاحا	18
17	تعريف السقوط لغة	18
18	تعريف السقوط اصطلاحا	18
19	تعريف الحضارة لغة واصطلاحاً	20
20	تعريف الحضارة لغة	20
21	تعريف الحضارة اصطلاحاً	20
22	الفصل الأول : الدولة العثمانية الأصل والامتداد	21
23	المبحث الأول : أصول العثمانيين ودخولهم الإسلام وأسماء الدولة العثمانية	22

24	تمهيد	22
25	أصول العثمانيين	23
26	دخول العثمانيين للإسلام	25
27	أسماء الدولة العثمانية	26
28	المبحث الثاني : مراحل الدولة العثمانية وأهم خصائصها	27
29	المراحل التي مرت بها الدولة العثمانية	27
30	الخصائص العامة للدولة العثمانية	31
31	المبحث الثالث : دور الدولة العثمانية في نشر الجهاد	42
32	الفصل الثاني : سنة الله في الظلم والظالمين	46
33	تمهيد	47
34	المبحث الأول : تعريف الظلم وأنواعه	50
35	التعريف اللغوي	50
36	التعريف الاصطلاحي	50
37	من أنواع الظلم في القرآن الكريم	50
38	المبحث الثاني : نماذج من الدولة العثمانية	55
39	النوع الأول الشرك بالله	56
40	النوع الثاني ظلم الأفراد لأنفسهم	76
41	النوع الثالث : ظلم الحاكم للرعية	81
42	الفصل الثالث : سنتا التغير وموالاة غير المسلمين	86
43	المبحث الأول : سنة التغيير ودورها في إسقاط الدولة العثمانية	87
44	أولا : تعريف التغيير لغة واصطلاحا	87
45	التعريف اللغوي	87
46	التعريف الاصطلاحي	87
47	دور سنة التغيير في إسقاط الدولة العثمانية	87
48	نماذج من سنة التغيير في القرآن الكريم والسنة النبوية	89

49	أولا في القرآن الكريم	89
50	ثانيا في السنة النبوية	91
51	دور سنة التغير في إسقاط الدولة العثمانية	94
52	المبحث الثاني : سنة الله في موالاة غير المسلمين	98
53	تعريف الموالاة لغة واصطلاحا	98
54	تعريف الموالاة لغة	98
55	تعريف الموالاة اصطلاحا	89
56	نهي القرآن الكريم عن موالاة غير المسلمين	89
57	الأضرار المترتبة على موالاة غير المسلمين	101
58	نماذج من موالاة الدولة العثمانية لغير المسلمين	104
59	إبرام المعاهدات والاتفاقيات المشبوهة	104
60	توظيف غير المسلمين داخل أجهزة الدولة الحيوية	108
61	السفارات والبعثات الدراسية العثمانية لأوروبا	109
62	تمكين الجماعات المشبوهة وأصحاب الأفكار المنحرفة من التغلغل والعمل داخل الدولة العثمانية	122
63	تمكين المستشرقين من دخول الدولة والعمل في مؤسساتها	125
64	عقد المؤتمرات والندوات الدولية داخل الدولة العثمانية	129
65	الفصل الرابع : سنتا التدافع الحضاري والاختلاف	134
66	المبحث الأول : سنة التدافع الحضاري	135
67	تمهيد	135
68	تعريف التدافع لغة واصطلاحا	137
69	التدافع اصطلاحا	137
70	سنة الله في التدافع	138
71	الدولة العثمانية وسنة التدافع	143
72	انطباق سنة التدافع على الدولة العثمانية	143

73	المبحث الثاني : سنة الاختلاف	148
74	تعريف الاختلاف لغة واصطلاحا	148
75	التعريف اللغوي	148
76	التعريف الاصطلاحي	148
77	حكمة الله من الاختلاف	148
78	نماذج من الاختلاف المذموم الذي حصل في الدولة العثمانية	151
79	التعصب القومي	164
80	الصراع بين الدولة العثمانية وأصحاب الدعوة الوهابية	164
81	الفصل الخامس : النتائج المترتبة على سقوط الخلافة الإسلامية	170
82	تمهيد	171
83	المبحث الأول : إلغاء الخلافة الإسلامية واحتلال معظم الأراضي العربية وانتشار الجهل والتخلف	172
84	أولا: إلغاء الخلافة الإسلامية	172
85	ثانيا : انتشار التخلف العلمي والحضاري والثقافي بين المسلمين	174
86	ثالثاً : احتلال معظم الأراضي العربية	176
87	المبحث الثاني : انتشار الفرق والأحزاب والجماعات المنحرفة	178
88	القاديانية	178
89	البهائية	180
90	حكم الإسلام في القاديانية والبهائية	182
91	انتشار الأحزاب والأفكار الاشتراكية	183
92	الخاتمة	185
93	فهرس الآيات القرآنية	193-188
94	فهرس الأحاديث النبوية	194
95	فهرس الموضوعات	198 - 195
96	قائمة المصادر والمراجع	216 - 200

قائمة المصادر والمراجع :

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

أولاً المصادر :

1 . الإحكام في أصول الأحكام . سيف الدين أبي الحسن على الآمدي . دار الفكر لبنان. 2003 م . لم يذكر رقم الطبعة .

2 . الصوفية والفقراء . أحمد تقي الدين بن تيمية . المؤسسة السعودية بالقاهرة . د ن .

3 . تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي . محمد عبد الرحمن المباركفوري . تخريج عصام الصبابطة . دار الحديث . القاهرة . ط 1 . 2001 م .

4 . التعرف لمذهب أهل التصوف . أبي بكر محمد بن إسحق الكلاباذي . تحقيق . عبد الحليم محمود . مكتبة الثقافة الدينية . ط 1 . 2004 م .

5 . التعريفات . على بن محمد الجرجاني . تحقيق . إبراهيم الأبياري . دار البيان د ن .

6 . تفسير البحر المحيط . أبي حيان محمد بن يوسف الأندلسي . تحقيق . عادل أحمد عبد الموجود . دار الكتب العلمية . بيروت . ط 1 . 1993 م .

7 . تفسير التحرير والتنوير . محمد الطاهر بن عاشور . الدار التونسية للنشر. تونس . 1984 م . لم يذكر رقم الطبعة .

8 . تفسير القرآن الحكيم . الشهير بتفسير المنار . محمد رشيد رضا . دار المعرفة . بيروت . 1993 م . لم يذكر رقم الطبعة .

9 . تفسير المراغي . أحمد المراغي . تحقيق . باسل العيون السود . دار الكتب العلمية. بيروت . ط 1 . 1998 م .

10 . التفسير الوسيط . محمد سيد طنطاوي . نهضة مصر للطباعة . 1998 م . لم يذكر رقم الطبعة .

11 . تلبيس إبليس . أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي . تحقيق . محمد بن الحسن إسماعيل . مروان عبد الحميد . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . ط 2 . 2002 م .

12 . الجامع الصحيح . أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي . ضبط وتصحيح. خالد عبد الغني محفوظ . دار الكتب العلمية بيروت . ط 1 . 2003 م .

13 . جامع بيان البيان عن تأويل آي القرآن . ابن جرير الطبري . دار الفكر . بيروت . 1995 م . لم يذكر رقم الطبعة .

14 . الجامع لأحكام القرآن . أبي عبد الله بن أحمد الأنصاري . القرطبي . دار الكتب العلمية . بيروت . ط 1 . 1988 م .

15 . الجواهر الحسان في تفسير القرآن . عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي . تحقيق على محمد معوض . دار إحياء التراث العربي . بيروت . ط 1 . 1997 م .

16 . الدواهي المدهية للفرق المحمدية . أبي المواهب جعفر بن إدريس الكتاني الحسني . تحقيق . محمد حمزة الكتاني . دار الكتب العلمية . بيروت . ط 2 . 2005 م .

17 . روح البيان في تفسير القرآن . إسماعيل حقي بن مصطفى البروسوي . تحقيق . عبد اللطيف حسن . دار الكتب العلمية . بيروت . لبنان . ط 1 . 2003 م .

18 . روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني . شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي . دار إحياء التراث العربي . بيروت . لبنان . ط 4 . 1985 م .

19 . سراج الملوك . أبي بكر محمد بن الوليد الطرطوشي . تحقيق . محمد فتحي أبوبكر. الدار المصرية اللبنانية . القاهرة . ط 1 . 1994 م .

20 . سير أعلام النبلاء . أبي عبد الله شمس الدين محمد الذهبي . ترتيب غسان عبد المنان . طبع بيت الأفكار الدولية . بيروت . ط 2 . لم تذكر سنة النشر .

21 . سير أعلام النبلاء . محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي . مؤسسة الرسالة . 2001م لم يذكر رقم الطبعة.

22 . السيرة النبوية . أبي محمد عبد الملك بن هشام . تحقيق . محمد على قطب . محمد الدالي بلطة . المكتبة العصرية . لبنان . 2001 م . لم يذكر رقم الطبعة .

23 . صحيح البخاري . محمد بن إسماعيل البخاري . دار الكتب العلمية . بيروت . ط1. 1998 م .

24 . صحيح مسلم . أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري . دار الكتب العلمية . بيروت . ط1 . 1998 م .

25 . طبقات الصوفية . أبي عبد الرحمن السلمي . تحقيق . نور الدين شريبة . مكتبة الخانجي. القاهرة . ط 3 . 1997 م .

26 . طبقات المفسرين . شمس الدين محمد بن على الداودي . دار الكتب العلمية . بيروت . د ن .

27 . فتح الباري شرح صحيح البخاري . أحمد بن على بن حجر العسقلاني . دار الكتب العلمية . بيروت . ط 1 . 1989 م .

28 . القاموس المحيط . مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي . تحقيق . مكتب التراث بمؤسسة الرسالة . ط 8 . 2005 م .

29 . لسان العرب . أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور . دار صادر . بيروت. 1989 م . لم يذكر رقم الطبعة .

30 . لسان اللسان . أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور . دار الكتب العلمية . بيروت . ط 1 . 1993 م .

31 . مختار الصحاح . محمد بن أبي بكر الرازي . مكتبة لبنان . 1986 م . لم يذكر رقم الطبعة .

32 . معجم التعريفات . على محمد الجرجاني . تحقيق . محمد صديق المنشاوي . دار الفضيلة مصر . د ن .

33 . معجم الشيوخ . شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي . دار الفكر بيروت ط . 1 . 1997 م .

34 . مفاتح الغيب . فخر الدين محمد ضياء الدين عمر الرازي . دار الكتب العلمية . بيروت . ط1 . 1990 م .

35 . النهي عن الحوادث والبدع . أحمد زروق الفاسي . تحقيق . عبد الرحيم محمد السلوادي . دار زهران للنشر . عمان . 2008 م . لم يذكر رقم الطبعة .

36 . وفيات الأعيان وأنباء الزمان . شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان . تحقيق . إحسان عباس . دار صادر بيروت . د ن .

ثانيا المراجع :

1 . اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر في مصر . محمد بن صادق الجمال . دار الكتاب . الرياض . ط 1 . 1994 م .

2 . الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر . محمد محمد حسين . مؤسسة الرسالة . ط7 . 1984 م .

3 . أثر الفكر العلماني في المجتمع المسلم . محمد رشاد عبد العزيز . دار المحدثين . القاهرة. ط 2 . 2010 م .

4 . أجنحة المكر الثلاثة وخوافيها . عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني . دار القلم . دمشق . ط 8 . 2000 م .

5 . إحياء الخلافة الإسلامية حقيقة أم خيال . محمد عمارة . مكتبة الشروق الدولية . القاهرة . ط 1 . 2005 م .

6 . أخطاء المنهج الغربي الوافد . أنور الجندي . دار الكتاب اللبناني . ط 1 . 1974م.

7 . أخلاق المسلم . وهبة الزحيلي . دار الفكر دمشق . ط 4 . 2006 م .

8 . أدب الاختلاف في الإسلام . طه جابر العلواني . منشورات المعهد العالي للفكر الإسلامي . أمريكا . 1992 م . لم يذكر رقم الطبعة .

9 . إزالة أسباب الخذلان أهم وأقدم من إزالة آثار العدوان . أبو الحسن على الحسيني الندوي . دار عرفات للدراسة والنشر بالهند . لم يذكر رقم الطبعة ولا سنة النشر .

10 . أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة . حمد بن ناصر العماد . دار اشبيليا . الرياض. ط. 1998 م .

11 . استانبول حضارة الخلافة الإسلامية . برنارد لويس . ترجمة سيد رضوان على . الدار السعودية للنشر والتوزيع . ط 2 . 1982 م .

12 . الإستشراق وجه للاستعمار الفكري . عبد المتعال محمد الجبري . مكتبة وهبة . القاهرة . ط 1 . 1995 م .

13 . الأسرار الخفية وراء إلغاء الخلافة الإسلامية . مصطفى حلمي . دار الكتب العلمية. بيروت . ط 1 . 2004 م .

14 . الإسلام في الفكر الأوروبي . محمد شامة . مكتبة وهبة مصر . ط 1 . 1980 م.

15 . الإسلام والاستبداد السياسي . محمد الغزالي . دار القلم . دمشق . ط1 . 2003م.

16 . الإسلام والحضارة الإنسانية . محمد عبد المنعم خفاجي . دار الكتاب اللبناني . بيروت . 1998 م . لم يذكر رقم الطبعة .

17 . الإسلام وتركيا العلمانية . هدى درويش . دار الآفاق العربية . مصر . ط 1 . 1988 م.

18 . أصول الحديث وعلومه ومصطلحه . محمد عجاج الخطيب . دار الفكر. لبنان . ط1 . 1998 م .

19 . أصول ومقدمات تمهيدية في الثقافة الإسلامية . الصديق عمر يعقوب . دار الوليد للنشر . طرابلس ليبيا .2003 م . لم يذكر رقم الطبعة .

20 . أطلس تاريخ الإسلام . حسين مؤنس . مطابع تين واه . مكتبة السلام بالرياض . 2005 م . لم يذكر رقم الطبعة

21 . إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام . أنور الجندي . دار الاعتصام . لم يذكر رقم الطبعة ولا سنة النشر .

22 . الأعلام . خير الدين الزركلي . دار العلم للملايين . بيروت . لبنان . ط 15 . 2002 م

23 . إعلام المسلمين بحقيقة الدستور والقوانين . أحمد عشوش . البيان للطباعة والنشر . لم يذكر رقم الطبعة ولا سنة النشر .

24 . آفات على الطريق . السيد محمد نوح . دار الوفاء . ط3 . 1993 م .

25 . الأمة المشلولة . محي الدين . صبحي . مطبعة رياض الريس . ط 1 . 1997 م

26 . الأمم البائدة . هارون يحي . ترجمة ميسون نهلي . مؤسسة الرسالة . لم يذكر رقم الطبعة ولا سنة النشر .

27 . بصائر المسلم المعاصر . عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني . دار القلم . ط3 . 2000 م

28 . البهائية والنظام العالمي الجديد . أحمد وليد السراج الدين . مطبعة الداودي . دمشق . 1994 م . لم يذكر رقم الطبعة .

29 . تاريخ الدولة العثمانية . شكيب أرسلان . تحقيق . حسن سويدان . دار بن كثير . دمشق. ط 1 . 2001 م .

30 . تاريخ الدولة العثمانية وحضارتها . محمود السيد . مؤسسة شباب الجامعة للنشر . د ن .

31 . تاريخ الدولة العلية العثمانية . محمد فريد بك المحامي . تحقيق . إحسان حقي . دار النفائس . بيروت . ط 1 . 1981 م .

32 . تاريخ الشعوب الإسلامية . عبد العزيز سليمان نوار . دار الفكر العربي . القاهرة . لم يذكر رقم الطبعة ولا سنة النشر .

33 . التاريخ العثماني تفسير جديد . جمال الدين فالح الكيلاني . لم يذكر رقم الطبعة ولا سنة النشر .

34 . تاريخ العثمانيين من قيام الدولة إلى الانقلاب على الخلافة . محمد سهيل طقوش . دار النفائس . ط 3 . 2013 م .

35 . تاريخ القضاء في الإسلام . محمد الزحيلي . دار الفكر . دمشق . 2001 م . لم يذكر رقم الطبعة .

36 . تاريخ سلاطين بني عثمان . عزتلو يوسف بك آصف . مؤسسة هنداوي . القاهرة . ط 2012.1 م .

37 . تحرير المرأة . قاسم أمين . مؤسسة هنداوي . القاهرة . 2012 م . لم يذكر رقم الطبعة .

38 . التصوف بين الإفراط والتفريط . عمر عبد الله كامل . دار ابن خزيمة . بيروت . ط 2 . 2004 م .

39 . التصوف في مصر إبان العصر العثماني . توفيق الطويل . مطبعة الاعتماد . مصر . لم يذكر رقم الطبعة ولا سنة النشر .

40 . تطور الأوضاع الثقافية في تركيا من عهد التنظيمات إلى عهد الجمهورية . سهيل صابان. مراجعة عثمان على . منشورات المعهد العالي للفكر الإسلامي . أمريكا . ط 1 . 2010 م .

41 . تلخيص الإبريز في تاريخ باريز . رفاعة الطهطاوي . كلمات عربية للترجمة والنشر. القاهرة . 2011 م . لم يذكر رقم الطبعة .

42 . التمكين للأمة المسلمة في ضوء القرآن الكريم . محمد السيد محمد يوسف . دار السلام . مصر . ط 1 . 1997 م .

43 . التنظيمات العثمانية وأثرها على الولايات العربية . عانية بعيو . لم تذكر دار النشر ولا رقم الطبعة .

44 . التيارات الفكرية والعقدية في النصف الثاني من القرن العشرين . محمد فاروق الخالدي . دار البيان . القاهرة . ط 1 . 2002 م .

45 . ثلاث رسائل عن القاديانية . الرسالة الثالثة . بقلم : محمد الخضر حسين . مكتبة الإيمان . الكويت . لم يذكر رقم الطبعة . ولا سنة النشر .

46 . الثمار الزكية للحركة السنوسية في ليبيا . على محمد الصلابي . مكتبة الصحابة . الإمارات العربية . ط 1 . 2001 م .

47. جاهلية القرن العشرين . محمد قطب . دار الشروق . مصر . ط 12 . 1992 م .

جذور الفكر القومي والعلماني . عدنان محمد زرزور . المكتب الإسلامي بيروت . ط 3. 1993 م .

48 . جلال الدين الرومي بين الصوفية وعلماء الكلام . عناية الله إبلاغ الأفغاني . الدار المصرية اللبنانية . القاهرة . ط 1 . 1997 م .

49. الجمعيات القومية وموقفها من الإسلام والمسلمين في القرن الرابع عشر الهجري . خالد إبراهيم الربيان . دار المسلم . الرياض . ط 4 . 2004 م .

50 . جوانب مضيئة في تاريخ العثمانيين الأتراك . زياد أبو غنيمة . دار الفرقان . ط 1 1983 م .

51 . حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة . جميل عبد الله المصري . منشورات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة . 1381 هـ . لم يذكر رقم الطبعة .

52. حجة الله البالغة . ولي الله الدهلوي . دار المعرفة . بيروت . ط 1 . 1997 م .

53 . الحديث والمحدثون . محمود محمد أبو زهو . دار الفكر العربي . لم يذكر رقم الطبعة ولا سنة النشر .

54 . الحركة الفكرية النسوية في عصر النهضة . جورج كلاس . دار الجيل . بيروت . ط 1 . 1996 م .

55 . حصاد الغرور . محمد الغزالي . دار القلم . دمشق . ط 4 . 2003 م .

56 . الحضارة . حسين مؤنس . دار عالم المعرفة . الكويت . 1978 م . لم يذكر رقم الطبعة

57 . الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري . آدم متز . ترجمة . محمد عبد الهادي أبوريدة . مطبعة لجنة التأليف والنشر بجامعة القاهرة . ط 3 . 1957 م .

58 . حكمة الحجاب . محمد بن محمد المنصور . دار الفرقان . الأردن . ط 1 . 1988 م .

59 . الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا . يوسف القرضاوي . مكتبة وهبة . ط 5. 1993 م .

60 . خروج الوهابية على الخلافة العثمانية . ياسين بن على . طبع مجلة الزيتونة . لم يذكر رقم الطبعة ولا سنة النشر .

61 . دراسات في التاريخ العثماني . سيد محمد سيد . دار الصحوة . القاهرة . ط 1 . 1996 م

62 . دراسات في التاريخ والحضارة . محمود محمد زيادة . دار التأليف . مصر . 1969 م . لم يذكر رقم الطبعة .

63 . الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر . محمد الغزالي مكتبة وهبة . ط 3. 1990 م .

64 . الدعوة إلى الإسلام . توماس . و . ارنولد . ترجمة . حسن إبراهيم حسن . مكتبة النهضة المصرية . 1971 م . لم يذكر رقم الطبعة .

65 . دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين . محمد الغزالي . نهضة مصر للطباعة . ط7 . 2000 م .

66. الدولة العثمانية المجهولة . أحمد آق كندز . سعيد اوزترك . اسين للطباعة والتجليد . استانبول تركيا . 2008 م . لم يذكر رقم الطبعة .

67 . الدولة العثمانية تاريخ وحضارة . محمد عاكف . ترجمة . صالح سعداوي . استانبول . 1999 م . لم يذكر رقم الطبعة .

68 . الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها . عبد العزيز الشناوي . مطبعة جامعة القاهرة. 1998 م . لم يذكر رقم الطبعة .

69 . الدولة العثمانية عوامل النهضة وأسباب السقوط . على محمد الصلابي . دار التوزيع والنشر الإسلامية . مصر . ط 1 . لم تذكر سنة النشر .

70 . الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث . إسماعيل ياغي . مكتبة العبيكان . السعودية . ط 2 . 1998 م .

71 . الرحيق المختوم . صفي الدين المباركفوري . دار الكتب العلمية . بيروت . 2002م . لم يذكر رقم الطبعة .

72 . الردود البازية في بعض المسائل العقدية . عبد العزيز بن عبد الله بن باز . جمع وترتيب. أحمد محمد العمران . دار بن الأثير . السعودية . ط 1 . 2007 م .

73 . رسالة في الطريق إلى ثقافتنا . محمود محمد شاكر . الهيئة المصرية للكتاب . 1997 م . لم يذكر رقم الطبعة .

74 . زعماء الإصلاح في العصر الحديث . أحمد أمين . دار الكتب العلمية . بيروت . ط 1 . 2005 م .

75 . السقوط الأخير . محمد إسماعيل . مكتبة وهبة . القاهرة . ط 1 . 2006 م .

76 . سقوط الأيديولوجيات وكيف يملأ الإسلام الفراغ . أنور الجندي . إصدارات رابطة العالم الإسلامي . 1414 هـ . لم يذكر رقم الطبعة .

77 . سقوط الخلافة . محمد على الأحمد . دار الإسراء للنشر والتوزيع . عمان الأردن . ط 1. 2007 م .

78 . سلاطين بني عثمان . عزتلو يوسف بك آصف . مؤسسة هنداوي للطباعة . القاهرة. ط1. 2014 م .

79 . سلاطين بني عثمان . نزار قازان . دار الفكر . بيروت . ط 1 . 1992 م .

80 . سلبيات وإيجابيات الممارسات والاحتفالات الدينية . منال جاد الله . طبع منشأة المعارف . الإسكندرية . 2007 م . لم يذكر رقم الطبعة .

81 . سلسلة مدارس الدعاة . عبد الله ناصح علوان . دار الإسلام . مصر . ط 6 . 2008 م.

82. السلطان عبد الحميد الثاني آخر السلاطين العثمانيين الكبار . محمد حرب . دار القلم. دمشق . ط 1 . 1990 م .

83 . السلطان عبد الحميد الثاني بين الإنصاف والجحود . محمد مصطفى العلالي . دار الفكر . ط 1 . 2004 م .

84 . السلطان محمد الفاتح بطل الفتح الإسلامي في أوروبا الشرقية . سيد رضوان على. الدار السعودية للنشر . لم يذكر رقم الطبعة ولا سنة النشر .

85 . سلفية لا وهابية . أحمد بن عبد العزيز بن عبد الله الحصين . دار عالم الكتب . الرياض. ط 1 . 1999 م .

86 . سنة الله التي لا تتبدل ولا تتحول . أحمد حسن فرحان . دار عمار . الأردن . ط1. 1999 م .

87 . السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد . عبد الكريم زيدان . مؤسسة الرسالة. بيروت. ط 3 . 2002 م .

88 . السنن الإلهية في الحياة الإنسانية . شريف الشيخ صالح . مكتبة الرشد بالرياض. ط 1 . 2004 م .

89 . السنن الإلهية وخصائصها . رشيد كهوس . منشورات كلية أصول الدين جامعة القرويين . تطوان . المغرب . لم يذكر رقم الطبعة ولا سنة النشر .

90 . سنن القرآن الكريم في قيام الحضارات وسقوطها . محمد هيشور . طبع المعهد العالي للفكر الإسلامي . ط 1 . 1996 م .

91 . سنن الله في الأمم من خلال آيات القرآن الكريم . حسن بن صالح الحميد . دار الفضيلة بالرياض . ط 2 . 2011 م .

92 . سير الأعلام ذوي الطوام . إحسان برهان الدين . لم تذكر سنة الطبع ولا رقم الطبعة .

93 . السيرة النبوية عرض ووقائع وتحليل أحداث . على محمد الصلابي . دار المعرفة. بيروت . لبنان . ط 1 . 2004 م .

94 . سيرة عمر بن عبد العزيز . أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي . دار ابن خلدون. الإسكندرية . لم يذكر رقم الطبعة ولا سنة النشر .

95 . الشيوعية . محمد بن إبراهيم الحمد . دار ابن خزيمة . الرياض . ط 1 . 2002م

96 . الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية . أبي الحسن الندوي . دار الندوة للطباعة . بيروت . ط 2 . 1968 م .

97 . صفحات من تاريخ الدولة العثمانية . جمال عبد الهادي . دار التوزيع والنشر الإسلامية . لم يذكر رقم الطبعة ولا سنة النشر .

98 . صفحات مكثفة من تاريخ التصوف الإسلامي . كامل مصطفى الشيبي . دار المناهل بيروت . ط 1 . 1997 م .

99. الضربات التي وجهت للانقضاض على الأمة الإسلامية . أنور الجندي . دار القلم. دمشق . ط 1 . 1988 م .

100 . الطرق الصوفية . محمد البشير الإبراهيمي . مكتبة الرضوان . الجزائر . ط 1 . 2008 م

101 . الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وآثارها . عبد الله بن دجين السهيلي . كنوز إشبيليا . الرياض . ط 1 . 2005 م .

102 . الظاهرة الإستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية . ساسي محمد الحاج . منشورات مركز دراسات العالم الإسلامي . ط 2 . 1993 م .

103 . الظلم . أزهري أحمد محمد . دار بن خزينة . لم يذكر رقم الطبعة ولا سنة النشر.

133 . عالم الإسلام . حسين مؤنس . الزهراء للإعلام العربي . 1989 م . لم يذكر رقم الطبعة .

104 . العثمانيون رجالهم العظماء ومؤسساتهم الشامخة . عثمان نوري طوباش . ترجمة محمد حرب . دار الأرقم . استانبول . تركيا . 2013 م . لم يذكر رقم الطبعة .

105 . العثمانيون في التاريخ والحضارة . محمد حرب . دار القلم . دمشق . ط 2 . 1999 م .

106 . العثمانيون في التاريخ والحضارة . محمد حرب . المركز المصري للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركي . القاهرة . 1994 م .

107 . عقائد الإمامية . محمد رضا المظفر . لم يذكر رقم الطبعة . ولا سنة النشر ولا دار النشر.

108 . عقيدة ابن عربي وحياته وما قاله المؤرخون والعلماء فيه . تقي الدين الفاسي . تحقيق . على حسن عبد الحميد . مكتبة ابن الجوزي . ط 1 . 1988 م .

109 . عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين . أبو الحسن على الندوي . المختار للطباعة والنشر . القاهرة . ط 6 . 1973 م .

110 . غزوة أحد . شوقي أبو خليل . دار الفكر دمشق . 1999 م . لم يذكر رقم الطبعة .

111 . فرق معاصره تنسب نفسها إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها . غالب بن على العواجي . المكتبة العصرية الذهبية . جدة . ط 4 . 2001 م .

112 . في أصول التاريخ العثماني . أحمد عبد الرحيم مصطفى . دار الشروق . بيروت. ط 2. 1986 م .

113 . في سنن الله الكونية . محمد أحمد الغمراوي . مطبعة التأليف والترجمة والنشر . مصر . ط 1 . 1936 م .

114 . في ظلال القرآن . سيد قطب . دار الشروق . مصر . ط 2 . 2005 م .

115 . في مذاهب ألا إسلاميين . البابية . البهائية . القاديانية . عامر النجار . مكتبة الثقافة الدينية . القاهرة . ط 1 . 2004 م .

116 . القاديانية . عامر النجار . المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر . بيروت . ط 1 . 2005 م .

117 . القاديانية دراسات وتحليل . إحسان إلهي ظهير .دار الإمام المجدد . القاهرة . ط1 . 2005 م .

118 . القاديانية وخطرها على الإسلام . مصباح الدين زاهدي . مؤسسة الرسالة . 1991 م . لم يذكر رقم الطبعة .

119 . قراءات في عقائد الغرب . فيصل بن على الكاملي . مكتبة فهد الوطنية . السعودية . ط1 . 1434 هـ .

120 . قراءة في وثائق البهائية . عائشة عبد الرحمن . مركز الأهرام للترجمة والنشر . مصر . ط 1 . 1986 م .

121 . قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة . محمد الغزالي . دار الشروق . ط 6 . 2002 م .

122 . قضية التنوير في العالم الإسلامي . محمد قطب . دار الشروق . ط 3 . 2006م

123 . القوانين القرآنية للحضارات . خالد فائق العبيدي . دار الكتب العلمية . بيروت . ط 1 . 2005 م .

124 . كواشف زيوف في المذاهب الفكرية المعاصرة . عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني. دار القلم . دمشق . ط 4 . 2007 م .

125 . كيف سقطت الدولة العثمانية . سليمان الخرشي . دار القاسم . السعودية . ط 1. 1420هـ .

126. كيف نفهم الإسلام . محمد الغزالي . دار القلم . دمشق . ط 2 . 2005 م .

127 . كيف ورثنا الأمية . يحي محمود ساعاتي . دار العلوم للطباعة والنشر . 1988م لم يذكر رقم الطبعة .

128 . لا إله إلا الله عقيدة ومنهاج حياة . محمد قطب . دار الشروق . مصر . ط 2 . 2006 م .

129 . ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين . أبو الحسن على الندوي . دار القلم . دمشق. ط 3 . 2004 م .

130 . الماسونية ذلك العالم المجهول . صابر طعيمة . دار الجبل بيروت . ط 6 . 1993 م .

131 . الماسونية نشأتها وأهدافها . أسعد السحمراني . دار النفائس . لبنان . ط 5 . 2007 م .

132 . محاضرات في النصرانية . محمد أبو زهرة . دار الفكر العربي . لم يذكر رقم الطبعة ولا سنة النشر .

133 . محاضرات في تاريخ الشعوب الإسلامية في العصر الحديث . عمر عبد العزيز عمر . دار المعرفة الجامعية . مصر . د ن .

134 . المحاور الخمسة للقرآن الكريم . محمد الغزالي . دار القلم . ط 2 . 1977 م .

135 . المدارس العالمية الأجنبية الاستعمارية وتاريخها ومخاطرها . بكر عبد الله أبوزيد. دار ألفا . القاهرة . ط 1 . 2001 م .

136 . مذاهب فكرية في الميزان علاء بكر . مكتبة فياض . المنصورة . ط 1 . 2011م

137 . مذكرات السلطان عبد الحميد . ترجمة . محمد حرب . دار القلم . دمشق . ط 3. 1991 م .

138 . مذكرات هدى شعراوي . هدى شعراوي . مؤسسة هنداوي للطباعة . لم يذكر رقم الطبعة ولا سنة النشر .

139 . المرأة المسلمة من منظور غربي . عماد الدين خليل عمر . التغيير للنشر والإعلان . أربيل . العراق . ط 1 . 2008 م .

140 . المسألة الشرقي . دراسة وثائقية عن الخلافة العثمانية . محمود ثابت الشادلي . مكتبة وهبة . القاهرة . ط 1 . 1989 م .

141 . المستشرقون والإسلام . محمد قطب . مكتبة وهبة . القاهرة . ط 1 . لم تذكر سنة النشر.

142 . المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة . عبد الكريم زيدان . مؤسسة الرسالة . دمشق. ط 1 . 2006 م .

143 .المشاهير . سعيد جودة السَّحار . مكتبة مصر . مصر . لم يذكر رقم الطبعة ولا سنة النشر .

144 . مشكلات في طريق النهوض عدنان السبيعي . دار الفكر . دمشق . 2002 م . لم يذكر رقم الطبعة .

145 . المعجم الصافي في اللغة العربية . صالح على الصالح . أمينة الشيخ سالم . الرياض . 1451 هـ . لم يذكر رقم الطبعة .

146 . معجم الصوفية ممدوح الزوبي . دار الجيل بيروت . ط 1 . 2004 م .

147 . معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية . محمود عبد الرحمن عبد المنعم . دار الفضيلة مصر . د ن .

148 . المعجم الوسيط . من إصدارات مجمع اللغة العربية . منشورات دار الدعوة . تركيا . 1992 م . لم يذكر رقم الطبعة .

149 . صفحات مكثفة من تاريخ التصوف الإسلامي . كامل مصطفى الشيبي . دار المناهل . بيروت . ط 1 . 1997 م .

150 . موازين الصوفية . أبو عبد الرحمن على بن السيد الوصفي . دار الإيمان . الإسكندرية . 2006 م . لم يذكر رقم الطبعة .

151 . الموالاة والمعاداة في الشريعة الإسلامية . محماس بن عبد الله الجلعود .الرياض . ط 1 . 1987 م . لم تذكر دار النشر .

152 . المؤتمرات والمخططات الدقيقة العميقة لقطع صلة العرب بالإسلام . أبو الحسن على الحسن الندوي . المطبعة الندوية . الهند . ط 1 . 1991 م .

153 . موجز التاريخ الإسلامي . أحمد محمود العسيري . مكتبة الملك فهد بالدمام . السعودية . ط 1 . 1996 م .

154 . موجز التاريخ الإسلامي . محمد عبد الله عودة . الأهلية للنشر والطباعة . لم يذكر رقم الطبعة ولا سنة النشر .

155 . الموسوعة الصوفية . عبد المنعم الحفني . دار الرشاد . ط 1 . 1992 م .

156 . الموسوعة الفلسفية . إسماعيل الشرفا . دار أسامة بالأردن . ط 1 . 2002 م .

157 . الموسوعة الفلسفية المختصرة . ترجمة فؤاد كامل . دار القلم . لبنان . لم يذكر رقم الطبعة ولا سنة النشر .

158 . الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة . مانع بن حماد الجهني . دار الندوة . الرياض . ط 4 . 1420 هـ .

159 . موسوعة تاريخ العرب . مجموعة من المؤلفين . دار البحار . بيروت . ط1 . 1999 م .

160 . موسوعة تاريخ اليهود . محمود شاكر . دار أسامة . عمان الأردن . ط 1 . 2002 م .

161 . نحن والحضارة الغربية . أبو الأعلى المودودي . مؤسسة الرسالة . لم يذكر رقم الطبعة ولا سنة النشر .

162 . نظرات شرعية في فكر منحرف . سليمان الخراشي . روافد للطباعة . لبنان . ط1. 2002 م .

163 . نظرية الاتصال عند الصوفية في ضوء الإسلام . سارة عبد المحسن آل سعود . دار المنارة للنشر والتوزيع . جدة . ط 1 . 1991 م .

164 . هذا ديننا . محمد متولي الشعراوي . دار الروضة بالقاهرة . 2004 م . لم يذكر رقم الطبعة .

165 . يوم الإسلام . أحمد أمين . مؤسسة هنداوي للطباعة . القاهرة . 2004 م . لم يذكر رقم الطبعة .

الدوريات والمجلات والبحوث والمواقع الإلكترونية :

1 . أثر الدولة العثمانية في نشر الإسلام في أوروبا . رسالة دكتوراة إعداد : فائقة محمد بحري . إشراف : يوسف على الثقفي . جامعة أم القرى . 1989 م .

2 . الإنكشارية والمجتمع ببالك القسطنطينية في نهاية العهد العثماني . رسالة دكتوراة . إعداد: جميلة معاش . إشراف . كمال فيلالي . كلية العلوم الإنسانية . جامعة منستوري. قسنطينة . الجزائر .

2 . دور السفراء العثمانيين والفرنسيين في حركة التغريب في الدولة العثمانية . رسالة دكتوراة إعداد : أميرة على . إشراف : وصفي مراح . قسم التاريخ بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية . جامعة أم القرى . السعودية .

3 . مجلة الاجتهاد : العدد : 3 . 1899 م . طبع دار الاجتهاد . بيروت .

4 . مجلة البيان . الكويت . العدد : 50 . 1992 م .

5 . مجلة التربية والعلم . العراق . العدد : 5 . 2012 م .

6 . مجلة الفتح . العدد : 6 . السنة الأولى . 12 . محرم . 1345هـ . 22 يوليو . 1926 م .

7 . مجلة القسم العربي . العدد : 15 . 2008 م .

8 . مجلة المنار . العدد : 13 . السبت 15 يوليو 1899 م . العدد 27 السنة : الثانية : 16 سبتمبر 1899 م .

9 . مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآني . السعودية . العدد : 7 . جمادي الآخر 1430 هـ .

10 . السنن الاجتماعية في القرآن الكريم . محمد السيسي .. بحث من منشورات كلية الآداب جامعة مكناس بالمغرب على الشبكة العنكبوتية

11 . الموسوعة الحرة على الشبكة العنكبوتية : Wikipedia . org

12 . موقع وشبكة الألوكة : www. Alukah . net

13 . موقع ذاكرة مصر الحديثة على الشبكة العنكبوتية . modennegpt. Bibalex.org